الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة العباسية

٥٧٥ . ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ . ١٢٥٨ م

أطروحة تقدم بها

خالد يوسف صالح

إلى

مجلس كلية التربية في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات شهادة الدكتوراه فلسفة

في اختصاص التاريخ الاسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

نزار محمد قادر النعيمي

١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد بأن هذه الأطروحة جرى تحت إشرافي في جامعة الموصل ، وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في اختصاص التاريخ الإسلامي .

التوقيع :

المشرف : أ . د . نزار محمد قادر النعيمي

أستاذ

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

إقرار المقوم اللغوي

اشهد بان هذه الأطروحة الموسومة بـ " **الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة العباسية ٥٧٥ ـ ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٥٨ م** " تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك أصبحت الأطروحة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير .

التوقيع :

الأسم : أ . م . د . خزعل فتحي زيدان

كلية التربية / جامعة الموصل

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

إقرار رئيس لجنة الدراسات العليا

بناء على التوصيات التي قدمها المشرف والمقوم اللغوي أرشح هذه الأطروحة للمناقشة .

التوقيع :

الأسم : أ . د . خليل علي مراد

رئيس لجنة الدراسات العليا

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

إقرار رئيس القسم العلمي

بناءاً على التوصيات التي تقدم بها المشرف والمقوم اللغوي ورئيس لجنة الدراسات العليا أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

رئيس القسم : أ . م . د . هاشم عبد الرحمن

رئيس قسم التاريخ

التاريخ : / / ٢٠٠٥ م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة ، قد أطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ " **الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة العباسية ٥٧٥ ـ ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٥٨ م** "، وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ / / ٢٠٠٥ م وأنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اختصاص التاريخ الاسلامي .

الأستاذ المساعد	الأستاذ	الأستاذ
الدكتور طارق فتحي سلطان	الدكتور محمود ياسين التكريتي	الدكتور خليل ابراهيم جاسم
عضواً	عضواً	رئيس اللجنة

الأستاذ المساعد	الأستاذ المساعد	الأستاذ
الدكتور حسين علي طحطوح	الدكتور حسين حديس الجميلي	الدكتور نزار محمد قادر
عضواً	عضواً	عضوا ومشرفاً

قرار مجلس الكلية

اجتمع مجلس كلية التربية في جامعة الموصل بجلسته المنعقدة بتاريخ / / ٢٠٠٦م وقرر المصادقة على قرار اللجنة .

أ . د . مزاحم قاسم الملاح	أ . د . عبد الواحد ذنون طه
مقرر مجلس الكلية (م . العميد)	رئيس مجلس الكلية (العميد)

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور نزار محمد قادر الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على اعداد هذه الاطروحة ، ولما أحاطني به من رعاية جليلة ، وما أبداه لي من آراء قيّمة وملاحظات دقيقة وتوجيهات صائبة أسهمت في إغناء هذه الأطروحة واخراجها بهذا الشكل ، كما أشكر أساتذتي في قسم التاريخ الذين كان لهم الفضل في استكمال دراستي .

ويسعدني أن أقدم شكري إلى كل العاملين في المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب بجامعة الموصل ومكتبة المتحف الحضاري وإلى كلية الآداب . جامعة بغداد . ومن العرفان بالجميل أن أشكر لكل السادة الأفاضل من القطر السوري الشقيق العاملين في مكتبات جامعة حلب ، وجامعة تشرين ، وجامعة دمشق ، وموظفي مكتبة الأسد بدمشق لما قدموه لي من مساعدات وتسهيلات أثناء زيارتي إلى القطر السوري الشقيق وإلى كل من ساهم برأي وفكرة عززت هذا العمل خالص الشكر والتقدير .

الباحث

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
استمارة مستخلصات أطاريح الدراسات العليا للجامعات العراقية

رقم الاستمارة	٤٨٦

الجامعة	الكلية	القسم	الفرع
الموصل	التربية	التاريخ	

عنوان الرسالة	تاريخ تسجيل الرسالة	طبيعة البحث	الجهة المستفيدة
الأوضاع الاقتصادية للعراق وأثرها في انهيار الخلافة العباسية ٥٧٥ ـ ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٥٨ م	٢٠٠٣	أكاديمي	للتطبيق فقط

أسم الطالب	العمر	الجنس	جهة الانتساب	تاريخ القبول	قناة القبول
خالد يوسف صالح	٥٦	ذكر	المديرية العامة لتربية نينوى	٢٠٠٢/١٠/١	متميزين

أسم المشرف	الدرجة العلمية	العمر	الجنس	جهة الانتساب
د. نزار محمد قادر النعيمي	أستاذ	٤٩	ذكر	كلية التربية /جامعة الموصل

الجهة المانحة للشهادة : جامعة الموصل/ العراق

تاريخ الحصول على الشهادة : ١٩٩٤

تاريخ آخر ترقية علمية : ٢٠٠٢

تاريخ صدور الأمر الجامعي	الشهادة	الاختصاص العام	الاختصاص الدقيق
	دكتوراه	تاريخ عباسي	تنظيمات عسكرية

الكلمات المفتاحية : العصر العباسي الاخير ، الاوضاع الاقتصادية ، العلاقات السياسية ، عزو المغول لبغداد ، سقوط الخلافة العباسية

المستخلص بلغة الرسالة

أحتوت الاطروحة فصولا خمسة . تناول الفصل الاول منها الاوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية للخلافة العباسية (٥١٢-٥٧٥ هـ / ١١١٨-١١٧٩ م) تمهيدا للموضوع ، احتوى على اربعة مباحث استهدفت التعرف على طبيعة اوضاع الخلافة خلال هذه المدة ،للوصول الى حقيقة المتغيرات التي حصلت على واقعها في مدة الدراسة.

في حين اهتم الفصل الثاني بدراسة الاوضاع الاقتصادية للعراق خلال المدة (٥٧٥-٦٥٦هـ/ ١١٧٩-١٢٥٨ م) ،وقد فصلت هذه الدراسة في تبيان الواقع الاقتصادي للعراق للوصول الى حقيقته ومدى انعكاسه على الخلافة وضعفها . اما الفصل الثالث فقد تناول موارد الخلافة ونفقاتها ، للتعرف على الواقع المالي للخلافة من خلال الموازنة بين مواردها ونفقاتها .

وأهتم الفصل الرابع بدراسة انعكاس الاوضاع الاقتصادية على النواحي السياسية ومنها السياسة الداخلية والخارجية.

اماالفصل الخامس فقد اختص بتناول التأثيرات الاقتصادية على النواحي العسكرية موضحا مدى تاثير الموسسة العسكرية ودورها في الدفاع عن البلاد ومواجهة الاخطار الخارجية، واخيرا ختمت الاطروحة باهم النتائج التي أفرزتها الدراسة من خلال استنباط عوامل الضعف التي افرزها الواقع الاقتصادي.

توقيع مسؤول الدراسات العليا في الكلية

د.مزاحم قاسم الملاح

فهرست المحتويات

المقدمة

ونطاق البحث

مثّل احتلال المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، والمصير الذي آلت إليه الخلافة العباسية صدمة مروعة أهتز لها العالم الإسلامي الذي يدين لها بالولاء ، لِما لبغداد من مكانة دينية وحضارية وسياسية في نفوس المسلمين،فهي حاضرتهم السياسية لِما يقرب من خمسة قرون ترنو إليها أبصارهم وتهفو إلى زيارتها نفوسهم أينما كانوا . فضلاً عّما مثله الخليفة من مرجعية دينية واعتبارية مثّل امتداداً للخلافة الأولى ، فهو حامي العقيدة والمدافع عنها وفيه تتمثل وحدة العالم الاسلامي .

لقد ألقت هذه الفاجعة بظلالها على المسلمين بمختلف مشاربهم وإتجاهاتهم ولم يفيقوا من آثار هذه الكارثة إلاّ وقد انتهى كل شيء فلم يبقَ من بغداد وخلافتها سوى الأسم والتاريخ .

وتحت وطأة ما حصل وما أعقبه من نتائج بدأ الكل يبحث عن المسببات ، وذهب المؤرخون والباحثون من شتى المذاهب في تعليل هذه النتيجة المأساوية، فمنهم من ألقى تبعية المسؤولية على آخر الخلفاء " المستعصم بالله " لافتقاده لمؤهلات منصبه ، ولإنشغله بأموره الشخصية ، مهملاً أمور البلاد والعباد ، إذ لم يكن بمستوى ما كانت تتعرض له الأمة من أخطار، فتركها تواجه المصير ، وهو منكفئ في عاصمته وقصره [(١)] ، ومنهم من حمل سياسة الخلافة المسؤولية لسعيها في إضعاف القوى الاسلامية من خلال ضرب بعضها ببعض ، مما أدى إلى عدم وجود قوة كبيرة مؤهلة لوقف الزحف المغولي [(٢)] . في حين حمل آخرون ، ملوك وأمراء هذه القوى مسؤولية ما تعرض له العالم الاسلامي،لإنشغالهم بمصالحهم الذاتية الضيقة وصراعاتهم فيما بينهم ، بما ولّدت حالة من الشك والعداء أخفقت أية محاولة لتكوين جبهة عسكرية من هذه القوى لمواجهة الخطر [(٣)] ، في حين كان للجبهة الداخلية وانقسامها وعدم توحدها بسبب خلافاتها الدينية والسياسية نصيباً من المسوغات [(٤)]، في حين أشر البعض

(١) غريغورس أبو الفرج أهرون الطيب بن العبري : تاريخ مختصر الدول (بيروت، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨) ، ص ٢٥٥ .

(٢) عزالدين علي بن أبي الكرم بن الأثير: الكامل في التاريخ (بيروت ، دار صادر، ١٩٦٥) ١٢/ ٤٤٠ .

(٣) أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد اليونيني : ذيل مرآة الزمان (الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥٤ . ١٩٥٥) ١ / ١٢ ، ١٧٣ .

(٤) برنارد لويس : السياسة والحرب من كتاب تراث الاسلام ، ترجمة : محمد زهير (الكويت ، ١٩٧٨) ١ / ٢٥١ ؛ مصطفى طه بدر : محنة الاسلام الكبرى زوال الخلافة العباسية على يد المغول (القاهرة ، ١٩٤٦) ، ص ١٧٨ .

الآخر اخفاق الخلافة في سياستها العسكرية من خلال اعتمادها على تجنيد عناصر من المماليك فاقدين لشعور الولاء والانتماء ، ولم يكن يهمهم سوى الحصول على الأموال والامتيازات ، في وقت أهمل الاعتماد على عامة أهل البلد وتهيئتهم للدفاع عن بلادهم ورموزهم وهم معين لا ينضب ، فآل الأمر بجيش الخلافة إلى أن يكون جيشاً استعراضياً أكثر منه جيشاً مهيأ للمهمات الصعبة [(١)] .

وهكذا حاول الكل البحث عن الأسباب مدفوعين بمواقفهم واتجاهاتهم السياسية والمذهبية لعرض وجهة نظرهم ، والكل يعذر تحت وطأة هول ما حصل .

إلاّ أن قراءة متأنية واعية للأحداث ،مجردة من الميول والاتجاهات،منصفة وبعيدة عن التشنج ، لابد أن تعود بالتاريخ إلى الوراء للوصول إلى نتائج منطقية ، إذ أن ما حصل لم يكن سببه همجية المغول وقوة جيوشهم فحسب ، بل ضعف الخلافة خاصةً والعالم الإسلامي عامة أسهم في هذا المصير، ولم يكن هذا الضعف آنياً ومرحلياً يتحمل وزره شخص أو جهة أو فئة معينة،بل تضافرت في ذلك عوامل متعددة على امتداد مدة زمنية طويلة أوصلت الخلافة إلى هذا المخاض الصعب .

لقد بدأ الانحدار في قوة الخلافة ومكانتها وسيطرتها على أقاليمها منذ منتصف القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد تقريباً لأسباب متعددة كانت لها نتائج على مختلف المستويات ، حتى آل بها الأمر إلى وقوعها تحت السيطرة المباشرة لقوى البويهيين والسلاجقة ، ولأكثر من قرنين جردت الخلافة من كل شيء فصّلت في حيثياته الكثير من الدراسات مما يغني عن الدخول في التفاصل [(٢)]، وأصبحت الخلافة رمزاً أبقى عليها المتسلطون لنيل تفويضها بحكم البلاد والعباد ، وعندما استفاقت من هذه السيطرة وحققت تحررها ، لم تستطع أن تعود بالأمور إلى سابق عهدها الأول ، واكتفت بما هيأته لها امكانياتها الذاتية بسلطة محدودة على عدد من مدن العراق .

من هنا يمكن القول أن الخلافة لم يكن لديها من الامكانيات ما يساعدها على نجاحها في بناء قوتها بما يؤهلها لاداء دورها بوصفها ممثلة للعالم الاسلامي ، ولعل العائق الأكبر الذي عرقل سياسة الخلافة ومخططاتها ، كان الوضع الاقتصادي بما مثّله

---

(١) الفتح بن علي بن محمد البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق (بيروت ، دار الآفاق ، ١٩٧٨) ، ص ٢٠١ ، ٢١٧ .

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي (بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٥) ؛ سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام منذ المبعث حتى سقوط بغداد (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٥) ؛ محمد صالح القزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (النجف ، مطبعة القضاء ، ١٩٧١) .

من محدودية في الموارد ، فضلاً عن أزمات اقتصادية متوالية ، بفعل السياسة الادارية والكوارث الطبيعية ، مما جعل خزينة الخلافة تعاني طيلة هذه المدة من عجز في ميزانيتها ، مما استلزم سياسات قد تبدو قاصرة ، ولكنها محكومة بالامكانيات .

من هذا المنطلق توخيت دراسة هذا الموضوع للوقوف على واقع الأوضاع الاقتصادية للخلافة في المدة من ٥٧٥ . ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ . ١٢٥٨م ومدى انعكاسها سلباً وإيجاباً على سياسة الخلافة ومن ثَمَّ اسهامها فيما آل إليه مصيرها ، ليس من واقع التفسير المادي للتاريخ ، بل في تأثيره متضافراً مع عوامل أخرى في الحدث صياغةً وتشكيلاً .

لا شكّ أن دراسات متعددة سبقت ، تناولت الجوانب الاقتصادية للخلافة في هذه المدة بالذات أسهمت في إيضاح الصورة وتقليل الجهد (١)، إلاّ أن هذه الدراسات كانت مجردة بمعنى أنها لم تربط ماهيتها بالواقع السياسي والعسكري ، ومن ثمَّ انعكاساتها على قوة الخلافة وضعفها ، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة والوقوف على واقع الحال وصولاً إلى كشفه واثباته ، احتوت الأطروحة على خمسة فصول وخاتمة .

تعرض الفصل الأول منها إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية للخلافة العباسية ٥١٢ . ٥٧٥ هـ / ١١١٨ . ١١٧٩م في أربعة مباحث تمهيداً للموضوع ، إذ من خلاله نتعرف على طبيعة أوضاع الخلافة خلال هذه المدة وصولاً إلى ما حصل من تغيرات على واقعها في مدة الدراسة ، تضمن المبحث الأول ، تبيان الحدود الادارية للخلافة العباسية ، من خلال الخلافة بفرض سيطرتها على عدد من مدن العراق بعد تحررها من السيطرة السلجوقية ، في حين تعرض المبحث الثاني ، إلى دراسة الأوضاع السياسية للخلافة في ظل التسلط السلجوقي مشيراً إلى صيغ المقاومة وأساليبها ، ومن ثم تحقيق إستقلالها وسيادتها ، وهذا ما جعلها تتخذ سياسة جديدة في موقفها من أمراء القوى المحلية كأمراء الحلة والبطائح والموصل ،أما المبحث الثالث فقد تناول دراسة الأوضاع الاقتصادية للخلافة ، من خلال التعرض السريع لمجمل نشاطاتها ، فضلاً عن وارداتها ونفقاتها ، مستهدفاً الوقوف على حقيقة الوضع المالي في هذه المدة بما يعين على تأشير

---

(١) ناجية عبد الله ابراهيم : ريف بغداد (دراسة تاريخية لتنظيماته الادارية وأحواله الاقتصادية) ٥٧٥ هـ ـ ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ . ١٢٥٨ م (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨) ؛ أحلام حسن مصطفى النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ،(جامعة بغداد . كلية الآداب ، ١٩٨٨) ؛ وليد مصطفى نجم : الأوضاع الاقتصادية في عهد الخليفة المستعصم بالله العباسي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٩) ؛ حسين حديس جاسم الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ٦٢٣ . ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ . ١٢٤٢ م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٩) .

المتغيرات في المدة اللاحقة،أما المبحث الرابع،فقد اختص بدراسة الأوضاع العسكرية ، متعرضاً إلى محاولات الخلافة لإعادة بناء قوتها العسكرية ، وما حققته هذه القوة من إنجازات على صعيد تحقيق أهداف الخلافة ، ثم تناولت الادارة العسكرية من حيث عناصر الجيش واعداده وهيئاته الادارية ، فضلاً عن أرزاقه ورواتبه .

أما الفصل الثاني ، فقد تناول دراسة الأوضاع الاقتصادية للعراق خلال مدة الدراسة ٥٧٥ . ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ . ١٢٥٨ م ، وقد فصّلت الأطروحة في تبيان الواقع الاقتصادي للخلافة ، للوصول إلى حقيقته ومدى انعكاسه على قوة الخلافة وضعفها ، فتم التطرق إلى مجمل النشاطات الاقتصادية ، وفي مقدمتها الزراعة من حيث نطاق الأراضي الزراعية ، كالاقطاع (استغلال ، وتمليك) والضمان وأراضي الخلافة والأراضي الوقفية ، التي مثّلت بمجموعها موارد الخلافة ، ثم تطرقت في المجال ذاته إلى نظام الري المعتمد في هذه المدة ، ودور الخلافة في حفر وكري الأنهار والقنوات الاروائية وبناء السدود والسكور وسد البثوق ووسائل الري للتعرف على مدى جدية الخلافة في النهوض بالواقع الزراعي لما يمثله من أهمية بوصفه مورداً أساسياً من واردات بيت المال . كما تعرض المبحث إلى أهم المحاصيل الزراعية التي أمتازت بانتاجها المدن العراقية ، فضلاً عن واقع الثروة الحيوانية ، وفي نهاية المبحث عولج واقع النشاط الزراعي من خلال تحليل لحيثياته مبرزاً الجوانب السلبية التي عانى منها خلال هذه المدة وما أحدثه من انعكاسات على واقع الخلافة الاقتصادي ، أما المبحث الثاني فقد اختص بدراسة الصناعة بوصفها مظهراً من مظاهر الأنشطة الاقتصادية متعرضاً إلى أنواع الصناعات والثروة المعدنية ، ومن ثم تبيان واقع النشاط الصناعي . وتناول المبحث الثالث التجارة ، من خلال ذكر أهم الطرق التجارية (النهرية والبرية والبحرية) ثم المراكز التجارية، والأسواق ، والبضائع المستوردة والمصدرة، فضلاً عن المعاملات التجارية ، وختم بتحليل للنشاط التجاري .

أما الفصل الثالث ، فقد تناول موارد الخلافة ونفقاتها ، إذ عُني المبحث الأول بالوقوف على موارد الخلافة التي توزعت على (الضرائب الشرعية) الخراج،الجزية، والزكاة ، و (الضرائب غير الشرعية) ، فضلاً عن موارد مالية أخرى خارج هذين النطاقين ، في حين تناول المبحث الثاني نفقات الخلافة التي اشتملت على النفقات العسكرية ، ورواتب الموظفين ، والمشاريع العمرانية ، فضلاً عن نفقات تصرف على الخلع والصدقات . وعرض المبحث الثالث الحياة المعيشية ، من خلال ذكر الأجور ومستوى الأسعار للوصول إلى واقع المستوى المعيشي للأفراد في هذه المدة .

واختص الفصل الرابع بالتعرض إلى أثر الأوضاع الاقتصادية في النواحي السياسية ، من خلال عرض أهم المجالات التي كان للوضع الاقتصادي انعكاس سلبي على حيثيلتها ، ومنها السياسة الادارية التي مثّلت اجراءات الخلافة ذات الطابع الاداري . الاقتصادي ، مبيناً أسبابها ونتائجها على مركزية النظام الاداري للخلافة وسيادتها على مدنها وأقاليمها .أما المبحث الثاني ، فقد عُني بدراسة ، سياسة الخلافة تجاه القوى الاسلامية ، (السلاجقة،الخوارزميون،الأيوبيون) ، الذين عدتهم الخلافة رعايا لها ويحكمون بموجب تفويضها ، موضحاً أثر الأوضاع الاقتصادية في النهج الذي اعتمدته الخلافة مع هذه القوى ، إذ أنها مثلث نداً لها وأعلنت مناوءتها ، فاتسم موقفها بالولاء والطاعة،ولم أشأ التطرق إلى سياسة الخلافة تجاه رعاياها ضمن سلطتها الفعلية ، لعدم وضوح التأثيرات الاقتصادية باستثناء ما أفرزته من حركات ومظاهر اجتماعية واتجاهات دينية فصّلت القول فيه دراسات سابقة ، في حين تطرقنا في المبحث الثالث إلى سياسة الخلافة تجاه الأخطار الخارجية والتي تمثلت في هذه المدة بالغزو الصليبي للعالم الاسلامي واستيطانه في المنطقة ، والغزو المغولي للمشرق الاسلامي الذي وضع نهاية الخلافة العباسية ، موضحاً انعكاس الوضع الاقتصادي على الدور القاصر للخلافة في التعامل مع هذه الأخطار .

واختص الفصل الخامس ، بأثر الأوضاع الاقتصادية في النواحي العسكرية مستعرضاً هيكلية هذه المؤسسة من خلال تنظيماتها ، ممثلة بعناصر الجيش وتشكيلاته وحجمه ، فضلاً عن التنظيمات الادارية والاقتصادية للمؤسسة العسكرية ، موضحاً مدى تأثر هذه المؤسسة بالأوضاع الاقتصادية ودورها في الدفاع عن البلاد ومواجهة الأخطار الخارجية لا سيما الغزو المغولي للعالم الاسلامي عامة وبغداد خاصة .

وأخيراً ختمت الأطروحة بأهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة من خلال استنباط عوامل الضعف التي أفرزها الواقع الاقتصادي وانعكاسها على مجمل نشاطات الخلافة .

نظرة في المصادر والمراجع :

١ . المصادر :

ثمة مصادر مهمة أفادت البحث ، ومن أهمها :

كتاب **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة،وذلك لأن مؤلفه عاصر الخلافة العباسية، ولا سيما في فترة مهمة من مدة الدراسة ، ضمّ مؤلفه العديد من التراجم (الوفيات) متبعاً نظام الحوليات ، وقد أفادتني نصوصه في الاطلاع على أحوال العراق الاجتماعية والاقتصادية والادارية .

أما كتاب **الكامل في التاريخ** لأبن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، فهو من المصادر المهمة ، وذلك لكونه قريباً من الحدث التاريخي ، كما عرض الأخبار بشكل دقيق .

ومن المصادر القيمة أيضاً كتاب **تاريخ دولة آل سلجوق** لمؤلفه البنداري (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) إذ أغنى البحث بمعلومات مفيدة عن العلاقة بين الخلافة العباسية والسلاجقة .

ويعد كتاب **الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير** ، لمؤلفه ابن الساعي (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) من المصادر المهمة ، وذلك لأن ابن الساعي يعد من أبرز المؤرخين العراقيين في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد ، وان كتابه قد رتبه على السنين مقدماً الحوادث على الوفيات ، وتكمن أهميته في أنه ضمَّ الحديث عن شخصيات ادارية لها مكانتها في المجتمع العباسي .

ويعد كتاب **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** ، لـ سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) من كتّاب التاريخ العام ، حيث رتبه على الحوادث والوفيات ، وفيه معلومات قيمة عن حالة العراق السياسية والاقتصادية ، ويمكن عدّه امتداداً لكتاب **المنتظم** الذي ألفه جده ابن الجوزي .

أما كتاب **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** ، المنسوب لأبن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) فهو أوسع كتاب باقٍ لدينا عن العراق في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد واحتوى معلومات سياسية واقتصادية وادارية وعسكرية مفصلة عن الخلافة العباسية حتى سقوطها ، وذكر الوزراء والقادة والأمراء،

والجند ونظامهم ، والمناصب ودرجاتها ، والجزية وطريقة استيفائها ، ولابن الفوطي كتاب آخر أغنى البحث بكثير من المعلومات هو : **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** في الجزء الرابع بأقسامه الأربعة .

ومن الكتب الأخرى التي أفادت البحث **جامع التواريخ** ، لرشيد الدين الهمداني (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) والمعلومات الموجودة في هذا الكتاب تمثل وجهة نظر المغول لأن المؤلف كان كاتباً في بلاط المغول رافقهم في تحركاتهم وأرّخ لهم وسجّل هجوم المغول على بغداد واسقاط الخلافة العباسية ، فكان شاهد عيان للأحداث .

ويعد كتاب **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك** ، لمؤلفه الأشرف الغساني (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) من المصادر الأساسية لما احتواه من معلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية خلال سرده لحوادث السنين مفصلاً الكثير من الأحداث المهمة التي مرّت بالخلافة العباسية في سنواتها الأخيرة .

وتضمنت مصادر الأحكام السلطانية والفقه الكثير من المعلومات عن الحياة الاقتصادية والادارية والتجارية وملكية الأرض ، كما تضمنت معلومات عن الاقطاع والضمان ، ومن هذه الكتب **الأحكام السلطانية** ، للماوردي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) و **احياء علوم الدين** للغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)، فضلاً عن كتب الحسبة ومنها كتاب **معالم القربة في أحكام الحسبة** لابن الأخوة (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) .

وقدمت مصادر الجغرافية والرحلات معلومات كثيرة عن مختلف الجوانب الاقتصادية كالزراعة والصناعة والتجارة ، ومن هذه الكتب **معجم البلدان** ، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) الذي حوى معلومات مهمة جغرافية واقتصادية لمدن وقرى العراق في مدة البحث .

وقدّم ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) في كتابه **الرحلة** معلومات اقتصادية عن مدن وقرى العراق التي زارها خلال رحلته ولا سيّما المدن التي تقع على طريق الحج ، فزار بغداد والنجف والكوفة وقدّم لنا وصفاً عن أحوالها الاقتصادية ، كما وصف أحوالها السياسية والاجتماعية .

وقدّم لنا ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) في رحلته المسمّاة **تحفة النظّار في غرائب الأمصار** ، وصف ما شاهده في البلدان التي زارها وما يتعلق بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، ووصف الموانيء العربية كالأبله والبصرة ، وذكر التجارة والتجار الذين كانوا يسافرون عن طريق البحر إلى الهند، وقد نقل عن ابن جبير كثيراً .

٢ . المراجـع :

فضلاً عن المصادر التاريخية ، تطرقت المراجع العربية والمعربة التي تطرقت لجوانب عديدة من مواضيع البحث ،وقد اطلعت عليها، وذلك لمعرفة وجهات نظرها وآرائها ، ومن أهم تلك الكتب **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع للهجرة** للدكتور عبد العزيز الدوري الذي يضم جوانب اقتصادية مهمة لا غنى للباحث عنها ، وبحثه **نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية** ، فضلاً عن كتاب **تاريخ العراق في العصر السلجوقي** للدكتور حسين أمين ، وكذلك **كتاب العراق في عهد المغول الايلخانيين** للدكتور جعفر حسين خصباك ، ومن الكتب القيمة الأخرى **تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير** للدكتور بدري محمد فهد ، وكتاب **الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير** للدكتور محمد صالح داؤد القزاز ، وكتاب **ريف بغداد (دراسة لتنظيماته الادارية وأحواله الاقتصادية ٥٧٥ . ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ . ١٢٥٨)** للدكتورة ناجية عبد الله ابراهيم ، ومن الكتب المعربة التي أفادت البحث كتاب **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى** لمؤلفه آ.أشتور .

وأسهمت عدد من الدراسات الأكاديمية في توضيح بعض الجوانب الاقتصادية ومنها : رسالة الماجستير ، الموسومة بـ **سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية** ، رسالة غير منشورة ، كلية الآداب (جامعة بغداد ،١٩٨٨) للدكتورة أحلام حسن مصطفى النقيب ؛ ورسالة الماجستير الموسومة بـ **الأوضاع الاقتصادية في عهد الخليفة المستعصم بالله العباسي** ،رسالة غير منشورة ، كلية الآداب (جامعة الموصل، ١٩٨٩) للدكتور وليد مصطفى نجم ؛ ورسالة الماجستير الموسومة بـ **عصر الخليفة المستنصر بالله** ، رسالة غير منشورة ، كلية الآداب (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) للدكتور حسين حديس جاسم الجميلي .

وفي الختام أرجو أن يكون هذا البحث جهداً متواضعاً يلقي الضوء على جانب مهم من تاريخ الأمة العربية ، وأن يكون مفيداً لإغناء تراثنا العربي الإسلامي .. ولله الكمال وحده سبحانه ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

الأوضاع السياسة والاقتصادية والعسكرية للخلافة العباسية

٥١٢ . ٥٧٥ هـ / ١١١٨ . ١١٧٩ م

أولاً ـ الحدود الادارية لنفوذ الخلافة العباسية :

لم تعد الخلافة العباسية في هذا العصر تبسط سيطرتها على بلاد واسعة ، إذ فقدت سيادتها على مناطق كثيرة كانت واقعة تحت نفوذها ، نتيجة لما آلت إليه من ضعف بفعل عوامل متعددة أدّت إلى أن تصبح حاضرتها تحت السيطرة الأجنبية .

ونتيجة لعوامل سياسية وعسكرية فقد شهدت الحدود الادارية للخلافة كثيراً من التغير ممّا أدى إلى صعوبة في تعيين خارطتها السياسية ، فكان لذلك انعكاس على موقف الجغرافيين المتمثل في صعوبة الفصل بين الحدود الجغرافية ومناطق نفوذ الخلافة فهم يتفقون على حدود العراق الجغرافية ، حيث عدّوا حدود العراق هي حدود السواد [(١)] مع الاختلاف في تحديد الحد الشمالي له ، إذ يرى الأصطخري [(٢)] أن حدود العراق في الطول من حد تكريت[(٣)] إلى حد عبادان [(٤)] على الخليج العربي وفي العرض من بغداد في قادسية الكوفة [(٥)] إلى حلوان [(٦)] وعرضه بواسط . من واسط [(٧)] إلى قريب الطيب [(٨)] وعرضه

---

(١) سمي السواد سواداً لأن المسلمين عندما قدموا يفتحون الكوفة فلّما أبصروا النخل قالوا ما هذا السواد فكلمة سواد أصبحت مدلولاً على الأراضي الزراعية التي تشمل الأراضي الخصبة . أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الأولى (القاهرة ،١٩٦٠) ص ١٧٤ ؛ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام (بيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت) ١ / ٢٤ ؛ أمين : تاريخ العراق ، ص ١٢ .

(٢) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الأصطخري : المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال (القاهرة ، ١٩٦١) ص ٥٦ ؛ أمين : تاريخ العراق : ص ١٣ .

(٣) **تكريت** : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان (بيروت ، دار صادر . دار بيروت ، ١٩٥٧) ، ٢ / ٣٨ .

(٤) **عبادان** : وهي مدينة تقع تحت البصرة قريبة من البحر . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ /٧٤ .

(٥) **الكوفة** : وهي مدينة تقع إلى الجنوب من العراق في أرض السواد كان تمصيرها في أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ٤٩٠ . ٤٩١ .

(٦) **حلوان** : وهي موضع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢ / ٢٩٠ .

(٧) **واسط** : مدينة تقع على نهر دجلة متوسطة بين البصرة والكوفة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي في العصر الأموي . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥ ، ٣٤٧ .

(٨) **الطيب** : بلدة صغيرة بين واسط وخوزستان . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ٥٣ .

بالبصرة . من البصرة إلى حدود جبي [١] . أما الخطيب البغدادي [٢] فإنه يحدد العراق من بلد [٣] إلى عبادان وعرضه من العذيب [٤] إلى جبل حلوان . ويحدد ابن حوقل [٥] العراق كما يأتي :من تكريت شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً ، ومن حلوان شرقاً إلى القادسية [٦] غرباً . كما أنه يجعل حديه في القسم الوسطي بين واسط والطيب . وفي القسم الجنوبي بين البصرة وجُبّي [٧] ، ويحد هذا الأقليم من الشمال خط يمر من الأنبار على نهر الفرات إلى تكريت على نهر دجلة [٨] ، وتعد هاتان المدينتان من مدن العراق ، ويتكون هذا الأقليم من أرض رسوبية خصبة يطلق عليها السواد وترويها عدة أنهار [٩] .

إلاّ أن حدود العراق الجغرافية هي غير الحدود التي امتدت إليها نفوذ الخلافة نتيجة لقيام العديد من الكيانات التي لا تدين بالولاء الفعلي للخلافة العباسية ، إذ لم يبقَ للخليفة من السلطة سوى على بغداد وبعض السواد [١٠] .

إلاّ أن التغير الذي طرأ على موازين القوى نتيجة لضعف القوة السلجوقية بما انعكس ايجاباً على استرداد الخلافة لمكانتها وسعيها لفرض نفوذها على ما أنسلخ عنها من مناطق أحدث تغيراً في خارطة نفوذها السياسية .

فمنذ خلافة المسترشد بالله (٥١٢ . ٥٢٩ هـ / ١١١٨ . ١١٣٥ م) سعت الخلافة لاستعادة نفوذها وسيادتها على العراق مستغلة ضعف السلاجقة ، إذ للمرة الأولى

---

(١) **جبي** : بلدة من أعمال خوزستان قريبة إلى البصرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢ / ٩٧ .

(٢) تاريخ بغداد ، ١ / ٢٤ .

(٣) **بلد** : مدينة تقع على دجلة فوق مدينة الموصل . باقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٤٨١ .

(٤) **العذيب** : موضع قريب من البصرة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٩٢ .

(٥) أبو القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الأرض (ليدن ، ١٩٠٩) ص ٢٠٨ ؛ عبد العزيز عبد الكريم الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع للهجرة ، الطبعة الرابعة (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩) ، ص ٢٠ .

(٦) **القادسية** :مدينة تقع جنوب العراق بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ / ٢٩١ .

(٧) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٥٦ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٦ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٨ .

(٩) محمد حسين الزبيدي : العراق في العصر البويهي (التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية) ، (٣٣٤ . ٤٤٧ هـ /٩٤٥ . ١٠٥٨ م) ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩) ، ص ٦٨

(١٠) محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق : البرت يوسيف كنعان (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦١) ، ص ١٠١ ؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن أبي الحسن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٩) ، ص ٦ ، ٢٨٨ ؛ مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تحقيق : عمر السعيدي (دمشق ، ١٩٧٢ و ١٩٧٣) ، ٤ / ٢٩٨ .

في هذه المدة يقود الخليفة الجيش لمواجهة اعدائه والمنشقين على سلطته ، حيث واجه أمير الحلة (دبيس بن صدقة) وحدّ من نفوذه [1] ، وحاصر الموصل سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م وأرغم عماد الدين زنكي على الاذعان لطاعته [2] ، وأخضع تكريت لسلطان الخلافة [3] .

وفي خلافة المقتفي لأمر الله (٥٣٠ . ٥٥٥ هـ / ١١٣٥ . ١١٦٠ م) بسطت الخلافة سلطتها على الحلة والكوفة وواسط والبصرة وتكريت فأصبح نفوذ الخلافة يمتد من " أقصى الكوفة إلى حلوان ومن حد تكريت إلى عبادان " [4] .

وعززت الخلافة سلطتها في عهد المستنجد بالله (٥٥٥ . ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ . ١١٧٠ م) على ما أعيد السيطرة عليه ، وعادت في خلافة المستضيء بأمر الله سلطة الخلافة على مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م [5] وعلى الحرمين في نفس السنة [6] .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ٩/ ٢١٧ . ٢١٨ ، ٢٤٢ . ٢٤٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ١٠ / ٦٠٧ . ٦١٠ ؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف (بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٧٩) ، ٢ / ٩٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ١٠ / ٣٠ ؛ ابن الأثير : الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية ، تحقيق : عبد القادر طليمات ، (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ص ٤٧ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ١٠ / ٣٠ .

(٤) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٦ . ٢١٧ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ١٠ / ٢٣٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ١١ / ٣٦٨ . ٣٦٩ .

(٦) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي :مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٦٤) ، ٢ / ٥١ . ٥٤ .

ثانياً . الأوضاع السياسية :

١ . موقف الخلافة من التسلط السلجوقي :

تعود صلات السلاجقة [(١)] بالخلافة العباسية بعد الانتصارات التي أحرزوها على الغزنويين سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩م [(٢)] إذ على أثرها بعث أمراء السلاجقة وفداً إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م ليظهروا طاعتهم

(١) **السلاجقة** : من عشائر الغز الكبيرة تنسب إلى مقدمها سلجوق بن دقاق وكانت هذه العشيرة تقيم في بلاد تركستان تحت حكم ملك الترك المسمى (بيغوا) وكان تقاق مقدم العشيرة إلى قوله يرجعون وعن أمره يصدرون وولد له ابنه سلجوق بذلك الاقليم فلما كبر ظهرت عليه امارات النجابة ، ودقاق أو تقاق كلمة تركية معناها القوس من الحديد ، وكان لسلجوق بن دقاق أربعة أولاد هم : اسرائيل وموسى بيغو ويونس وميكائيل . وقاد اسرائيل قومه بعد وفاة والده سلجوق ، وكانت أراضي السلاجقة قد ضاقت بهم فأخذوا ينتقلون ما بين (نور بخارى) في الشتاء وفي (نسف سمرقند) في الصيف ، ثم انتشروا غرباً فدخلوا خراسان بعد أن طلبوا الأذن من السلطان محمود الغزنوي بعبور نهر جيحون ، بحجة قلّة المراعي حول مدينة بخارى وعدم كفايتها لمواشيهم وبذلك قامت الدولة السلجوقية ولعبت دوراً في توجيه الأحداث في المشرق الاسلامي .

ابن الأثير : الكامل ، ٩ / ٤٣٢ ، ٤٧٩ ؛ محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسيني اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق : عبد النعيم محمد حسنين وحسين أمين ، (بغداد ، مطبعة الجامعة ، ١٩٧٩) ، ص ٣١ ؛ محمد الخضري بك : تاريخ الأمم الاسلامية (مصر، ١٩٧٠) ، ٢ /٤١٢ ؛ أمين : تاريخ العراق ، ص ٤٧ . ٤٨ ؛ عبد النعيم محمد حسنين سلاجقة إيران والعراق ، الطبعة الثانية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠) ، ص ١ ؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ، الطبعة الأولى (بيروت ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩) ، ص ٢١ ؛ التاريخ الاسلامي الوجيز (بيروت ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢) ، ص ١٩٢ .

(٢) محمد بن علي بن سليمان الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ترجمة : ابراهيم أمين الشواربي وعبد المنعم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي (القاهرة ، دار الصياد ، ١٩٦٠) ، ص ١٦٢ ؛ توفيق سلطان اليوزبكي : " **دور العناصر الأجنبية في تجزئة الدولة العربية الاسلامية** "،مجلة آداب الرافدين ، العدد ٢٩ ، كانون الثاني ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٩٧) ، ص ١١٠ .

وولاءهم للخليفة العباسي وأنهم على أتم استعداد ليكونوا عبيداً للخليفة في حفظ البلاد والعباد [1].وقد دفع هذا التجاوب الخليفة إلى الاعتراف بما تحت ايديهم من البلاد .

وتذهب عدد من الروايات إلى أن دخول طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٨ م كان باستدعاء من الخليفة أو من وزيره [2] . إلاّ أن هذا التجاوب زال لعدم التزام السلاجقة بعهودهم للخلافة ولتسلطهم على الأمور في بغداد مما أثار سخط الخليفة والرعية الذين كانوا أول الأمر مستبشرين لخلاصهم من التسلط البويهي[3] .

وعلى الرغم من حالة الاستكانة والرضوخ التي أبداها خلفاء هذه المدة القائم بأمر الله (٤٢٢ . ٤٦٧هـ / ١٠٣١ . ١٠٧٥م) والمقتدي بأمر الله (٤٦٧ . ٤٨٧ هـ / ١٠٧٥ . ١٠٩٤ م) والمستظهر بالله (٤٨٧ . ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ . ١١١٨ م) لافتقادهم لمقومات المواجهة ، إلاّ أن ذلك لم يمنع من محاولة بعض الخلفاء من القيام بمحاولات لاستعادة ما فقدته الخلافة من سلطة ونفوذ تجلى ذلك فيما ابداه الخليفة الشاب المسترشد بالله (٥١٢ . ٥٢٩ هـ / ١١١٨ . ١١٣٥ م) إذ عدت خلافته مرحلة انتقالية بين الخضوع وحالة الرفض والتصدي والسعي للتحرر من السيطرة السلجوقية .

استطاع الخليفة المسترشد بالله من تعبئة قوى العامة التي منحته ولاءها المطلق والتفت حوله لدعمه في تحقيق أهدافه في احياء مجد الخلافة وتولي مسؤولياتها تجاه العالم الاسلامي ، ففي سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م هدد دبيس بن صدقة . أمير الامارة

---

(١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٠ ؛ اليوزبكي : دور العناصر الأجنبية ، ص ١١٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ٨ / ١٦٤ .

(٣) **البويهيون** : ينتسبون إلى أبي شجاع بويه بن فنا خسرو بن تمام الديلمي ، وعندما مات بويه ترك وراءه ثلاثة أبناء هم : علي والحسن وأحمد ، وقد نجح هؤلاء الأخوة خلال زمن قصير في الاستيلاء على بلاد فارس والري وأصبهان والجبل ، ثم تطلعوا إلى مد نفوذهم إلى العراق وشجعهم على ذلك الصراع العنيف الذي كان قائماً بين أمير الأمراء وبين منافسيه على السلطة في مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية فنجحوا في دخول مدينة واسط وبغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م .

أنظر : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، نشر : هيورت (القاهرة ، مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥) ، ص ٢٥٨ ؛ الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ، ص ١٠١ ؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠) ص ٣٣٠ . ٣٣١ ؛ تقي الدين عارف الدوري : عصر أمرة الأمراء في العراق (بغداد ، مطبعة أسعد ،١٩٧٥) ، ص ٥٤ . ٥٦ ؛ عبد الكريم عبده حتاملة : " **دور الخليفة المقتفي لأمر الله في إضعاف النفوذ السلجوقي** " ، مجلة المنارة ، جامعة آل البيت ، العدد الأول، المجلد الأول ، كانون الثاني) (الأردن ، ١٩٩٦) ، ص ١٢٥ .

المزيدية في الحلة . بمهاجمة بغداد فأخرج الخليفة السرادق " ونودي النفير فأمير المؤمنين خارج إلى القتال عنكم يا مسلمين " (١) . ومن خلال التزامه بقيم الاسلام ومبادئه التي سعت سياسته إلى ترسيخها في المجتمع ، فقد استعان بالفقهاء لاستحصال الفتاوى التي أعطت المسوغات الدينية للعامة في مواجهة اعدائها (٢) ، إذ لبت نداء الخليفة عند اعلان الجهاد والنفير ، ففي سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م خرج مع الخليفة لمواجهة الملك طغرل السلجوقي ودبيس " نحو من ثلاثين ألف شاب بعضهم بالسلاح والآخر رماة البندق وبعضهم بأيديهم المقاليع " (٣) . وفي سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م أصر السلطان محمود على دخول بغداد فاحتج الخليفة على موقفه وخرج من داره وعبر إلى الجانب الغربي " فبكى الناس جميعهم بكاءً عظيماً لم يشاهد مثله " (٤) ، ووقفوا يسبون السلطان والأتراك (٥) .

وقد خرج الخليفة المسترشد بالله سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م على السلطان محمود ابن محمد بن ملكشاه ، وهزم قواته (٦) ، ويعلق المؤرخ البنداري (٧) على تحرك الجيش السلجوقي نحو العراق قائلاً : ... فعزم على الحركة واندفع كالسيل ...ولم يترك الترك ورداً إلاّ شفهوه ، ولا حسناً إلاّ شوهوه ، ولا ناراً إلاّ أرشوها ، ولا داراً إلاّ شعثوها ، ولا عصمة إلاّ رفعوها، ولا وصمة إلاّ وصفوها... فما جاءوا إلى بلدة إلاّ ملكوا مالكها، وملأوا مسالكها ، وأرعبوا ساكنيها الرعب ، وغلبوا ولاتها وولوها الغلب وازوروا إلى الزور وأشاعوا اليد بالغارة الشعواء " .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٣٥ . ٥٣٨ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ /٢٣٦ . ٣٤٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٠٨ ؛ ينظر : نزار محمد قادر : " **سياسة المسترشد بالله العسكرية وأثرها في مقاومة النفوذ الأجنبي** " ، مجلة التربية والعلم ، العدد السابع ، (جامعة الموصل . كلية التربية ، ١٩٨٩) ، ص ٢١٨ وما بعدها .

(٣) محمد بن علي بن محمد بن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي (القاهرة ، ١٩٧٥) ، ص ٢١٥ .

(٤) عماد الدين اسماعيل بن عمر ابن كثير : البداية والنهاية (القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٢) ١٢ / ١٩٧ .

(٥) المصدر نفسه ١٢ / ١٩٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ١٠ /٦٣٥ . ٦٣٨ ؛ علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٩) ، ص ٤٥٦ .

(٧) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٠ . ١١ .

وفي سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م انتهك جند السلطان محمود دار الخلافة فاستاء العامة " فاجتمعوا ونادوا الغزاة فأقبلوا من كل ناحية " (١) ،وكان مع الخليفة في مواجهته للسلطان محمود هذه السنة ثلاثون ألف مقاتل من متطوعي أهل بغداد والسواد (٢) .

واصل الخليفة المسترشد بالله سياسته القائمة على التخلص من التسلط السلجوقي ، فبعد وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م (٣) أقيمت الخطبة ببغداد للسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (٤) بعد أن دارت بين ابناء البيت السلجوقي معارك عدة في العراق والمشرق حول السلطنة (٥) .

ومن مأثور قول الخليفة المسترشد بالله : " فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق فبغوا علينا ، "فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثيراً منهم فاسقون " (٦) . إنّ هذا دليل قوي على تفهم عميق وإدراك بالغ لِما وصلت إليه الأمور من التحكم الاستبدادي والظلم والفساد (٧) .

أخذ الخليفة المسترشد بالله يستعد لطوارئ الحرب التي قد تحصل بينه وبين السلاجقة ، وبدأ ببناء سور بغداد الشرقية ، الذي يعد من الأعمال الجليلة للخليفة المسترشد وسنرى أن هذا السور سيحمي مدينة بغداد من الغارات والاعتداءات فيما بعد (٨)، وبدأ بأعمال اصلاحية جذبت إليه تأييد الناس (٩).ولتحقيق أهدافه قام باجراءات لمواجهة خطر السلاجقة والتي كان بدايتها لجوء والي الحلة دبيس بن صدقة إلى الأمير

---

(١) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٣٧ ؛ محمد بن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داؤد (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٧٧) ١٢ / ١٧٣ ، ١٨٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٣٧ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٥ . ٣٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٣٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢١ ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص ٣٠٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ٦٩٩/١٠.

(٦) سورة الحديد ، الآية ١٦ ؛ أحمد بن عمر بن علي السمرقندي : جهار مقالة ، تعليق : محمد عبد الوهاب القزويني ، ترجمة : عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، الطبعة الأولى (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩) ، ص ٣١ .

(٧) حسين أمين : " **حصار بغداد في العصر العباسي ، صمودها وانتصارها** " مجلة المورد ، المجلد الثالث والعشرون ، العدد الثاني (بغداد ، ١٩٩٥) ، ص ٩ .

(٨) المرجع نفسه : حصار بغداد ، ص ٩ ؛ حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، الطبعة الخامسة ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢) ، ص ٦٢٠ .

(٩) النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، ص ١٠ .

السلجوقي طغرل بن محمد بن ملكشاه ليتحالف مع اعداء الخلافة ، لذلك قاد جيشاً كبيراً لمحاصرة بغداد وهدد الخليفة بقوله: "والله لانقضنّ الدار حجراً حجراً " (١).

وكان شعور الخليفة بالقوة ازاء موقفه من رسول عماد الدين زنكي الذي جاء يطلب العفو لسيده على فعلته في مهاجمة بغداد بقصد احتلالها سنة ٥٢٦ هـ /١١٣١ م حيث ردّ رسوله وأرجع هداياه قائلاً له : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۞ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢) . وعزم على قصد عماد الدين زنكي في الموصل فخرج إليه سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ، ولما سمع زنكي بقدومه فر من الموصل إلى سنجار (٣) فحاصرها الخليفة قرابة ثلاثة أشهر ثم رجع إلى بغداد (٤) ، وكان حصار المسترشد للموصل يستهدف اشعار عماد الدين زنكي وأمراء الأطراف بقوة الخلافة (٥)وقُتِلَ الخليفة وهو يقود جيش الخلافة لمواجهة الجيش السلجوقي في موقعة دايمرج سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م (٦) .

تولى الخلافة بعد مقتل المسترشد بالله ابنه أبو جعفر الملقب بـ الراشد بالله ٥٢٩ . ٥٣٠ هـ / ١١٣٤ . ١١٣٥ م (٧) ، وقد حدد السلطان مسعود صلاحياته بقوله : " لا أريد أن يجلس إلاّ مَنْ لا يداخل نفسه في غير أمور الدين ولا يجند ولا يتخذ ولا يجمع ،ولا يخرج عليّ ولا على أهل بيتي " (٨). إذ فرض على الراشد بأن لا يجند أو

---

(١) ابن العمراني : الأنباء ص ٢١٣ ؛ حتاملة : دور الخليفة المقتفي لأمر الله ، ص ٢١١ .

(٢) سورة النمل ، الآيتين : ٣٦ ، ٣٧ . .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٠ ؛ ابن الأثير : الباهر ، ص ٤٧ ؛ الكامل ١١ / ٥ . ٦ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٠ .

(٥) قادر : سياسة المسترشد بالله العسكرية ، ص ٢٢٨ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٦ . ٤١ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٧ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦٤ . ١٦٥ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٤٦ ، ٤٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٨ .

(٨) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق (بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٤٨) هامش ص ٢١٥ ؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥٣) ٦١/١ . ٦٢ .

يعمل للخروج على السلطان ومتى فعل ذلك خلع نفسه من الخلافة [١] . وعلى الرغم من هذا الحظر فقد سعى السلاجقة للإيغال بإضعافه عندما طولب بمبلغ ألف ألف وخمسمائة ألف دينار [٢] لم يتمكن من الإيفاء بها لخلو الخزينة التي نهبت بعد مقتل المسترشد بالله ، فلم يكن أمامه سوى المواجهة [٣] .

وعلى الرغم من ضعف امكاناته إلاّ أنه تمكن بما لديه من عساكر جنّدها حديثاً وبمساندة أهل بغداد ، من طرد عسكر السلطان الذي كان مع نائبه (يرنقش) والشحنة " بك أبه " من بغداد [٤] ، وعندما تحرك السلطان مسعود لحصار بغداد استعان الراشد بالله بقوى أمراء الأطراف ، الذين لم تكن لديهم مصلحة في الدفاع عن الخلافة . فلم يلبثوا أن تفرقوا عند محاصرة السلطان لبغداد [٥] ، فرحل الراشد إلى الموصل وخلع السلطان الخليفة لخروجه على ما أشترط عليه [٦] . وولي بدلاً عنه محمداً بن المستظهر ولقّب بالمقتفي لأمر الله ٥٣٠ . ٥٥٥ هـ / ١١٣٥ . ١١٦٠ م [٧] ، وتنقل الراشد بين الموصل وأذربيجان وأصفهان حيث قتل سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م [٨] .

حرص السلطان مسعود على تجريد الخليفة الجديد من كل ما من شأنه أن يعزز قوته ، فصادر جميع ما كان في دار الخلافة من أموال وسلاح وخيل [٩] وسلب أمواله حتى باع عقاره [١٠] وسيطر على دار الضرب في بغداد [١١] .

إلاّ أن الخليفة لم يرضخ لحالة العجز هذه ، بل ظلّ يرقب حتى تحين الفرصة للخروج على الشروط التي فرضها السلطان ، فاستغل هرب الشحنة على أثر مهاجمة عدد

---

(١) اين الأثير : الكامل ١١ / ٤١ . ٤٢ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ١٠ / ٥٤ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٤ .
(٥) المصدر نفسه ١٠ / ٦٧ . ٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٦٢ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ١١ / ٤٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ / ٦١ . ٦٢ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر ، ص ٢٠٥ .
(٧) ابن الحوزي : المنتظم ١٠ / ٦٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٤٢ . ٤٣ .
(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ /٥٩ ، ٧٢ ، ٧٦ ؛ عمر بن أبي علي حسن بن علي بن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس (بغداد ، مطبعة المعارف ،١٩٤٦) ، ص ١٥٥ . ١٥٦ ؛ القلقشندي : مآثر ٢ / ٣٣ . ٣٤ .
(٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٦١.
(١٠) المصدر نفسه ١٠ / ٦٢ .
(١١) المصدر نفسه ١٠ / ٦٦ ، ١١٩ .

من أمراء السلاجقة المخالفين للسلطان سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م فكتب إليه الخليفة يخبره بواقع الحال ، فأذن له بأن يجند ويتخذ العساكر للدفاع عن بغداد [١] . وبدأ الخليفة منذ هذا التاريخ وبمساعدة وزيرة يحيى بن هبيرة بتكوين قوته العسكرية معتمداً على عامة أهل بغداد [٢] ، ومثلت وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م
انطلاقة الخلافة لاستعادة قوتها وسلطانها، فاستكثر الخليفة من التجنيد [٣] ، وسيطر على ممتلكات السلاجقة في بغداد بعد أن هرب شحنتها إلى تكريت [٤] ، وتمكن الخليفة بما توافرت له من القوات من استعادة فرض السيطرة والنفوذ على مدن العراق ، فأخضع الحلة والكوفة وواسط والبصرة [٥] . وفي محاولة لاستعادة سيطرتهم حاول السلاجقة بقيادة محمد شاه السلجوقي دخول بغداد سنة ٥٥٢ هـ /١١٥٧م إلاّ أن صمود الخليفة ودفاعه عن المدينة اضطرت السلطان على الانسحاب بعد ثلاثة أشهر من حصاره للمدينة [٦] . فكان ذلك نهاية للنفوذ السلجوقي في بغداد ، فلم تفلح كل المحاولات التي قاموا بها بعد ذلك لدخول المدينة [٧] ، ولكل ذلك نال الخليفة المقتفي لأمر الله إطراء المؤرخين [٨] .

ومنذ تولي المستنجد بالله الخلافة ٥٥٥ . ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ . ١١٧٠ م بعد وفاة والده المقتفي لأمر الله سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م سار على سياسة أسلافه القائمة على التحرر من التسلط السلجوقي ، فلّما طلب إليه السلاجقة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م أن تكون الخطبة في بغداد لارسلان شاه ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه وأن تعاد العلاقات بين

---

(١) المصدر نفسه ١٠ / ٦٦ ، ١٣١ ؛ القلقشندي : مآثر ٢ / ٣٧ . ٣٨ .
(٢) علي بن السيد أحمد الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، اعتناء : محمد اقبال (لاهور ، ١٩٣٣) ، ص ١٢٠ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٤٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٦١/١١ ؛ ابن دحية : النبراس ، ص ١٥٧ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ١١ / ١٦١ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٥٢ . ١٥٣ .
(٦) المصدر نفسه ١٠ / ١٧٠ . ١٧١ .
(٧) القزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ٦١ .
(٨) ينظر : ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٥٦ ؛ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي : تاريخ ابن الوردي (النجف ، ١٩٦٩) ٢ / ٨٩ ؛ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (بيروت ، مؤسسة شعبان ، د . ت) ٢/ ٣٦٢ ؛ مرتضى أفندي نظمي زادة : كلشن خلفا ، ترجمة : موسى كاظم نورس (النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٧١) ص ١١٧ ؛ محمد جاسم حمادي المشهداني : " **نهاية النفوذ السلجوقي في العراق** " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس (بغداد ، اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٨٤) ، ص ١٩٨ ؛ النقيب : سياسة الخليفة الناصر الداخلية ، ص ١٤ .

السلاجقة والخلافة إلى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود أهين رسولهم وأعيد إليهم على أقبح حاله (١) .

واتبع الخليفة المستنجد بالله سياسة الخلفاء الجديدة ونعني بها طلبه الاستقلال في شؤونه ، واستطاع أن يقضي نهائياً على أحفاد صدقة الحلي وطرد بني أسد من ديارهم وقسّمها بين الأسرة الزنكية (٢) .

ويبدو أن الخليفة المستنجد بالله لم يستمر في سياسته بل سرعان ما اعتزل في قصره ، حتى قتله بعض الأمراء والمماليك عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م (٣) .

وفي عهد الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٦٦ . ٥٧٥ هـ /١١٧٠ . ١١٧٩م) لم يحاول السلاجقة التعرض إلى الخلافة في العراق لسببين : أحدهما أن زعماء السلاجقة بلغوا من الضعف درجة بحيث تمكن فيها الأتابكة من السيطرة عليهم ، والآخر هو أن الخليفة العباسي قد تعالت مكانته حينما حقق صلاح الدين الأيوبي هيمنته على مصر بعد السيطرة عليها واسقاط الخلافة الفاطمية (٤) ، إذ أمر الخطباء أن يخطبوا للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م (٥) .

وقد واصل الخليفة المستضيء بأمر الله جهود والده المستنجد بالله في الاستعداد والترقب للسلاجقة ، وضرب العابثين بالأمن في العراق ، لهذا وجدناه عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م وعلى أثر سماعه بقدوم العساكر السلجوقية أمر بالتجنيد وعمارة سور بغداد ،

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٥٦ . ١٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٥٦ ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٢ ؛ عبد القادر سلمان المعاضيدي : " **المقاومة العربية للتحدي السلجوقي** " ، مجلة المورد ، المجلد السادس والعشرون ، العدد الثالث (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٩٨) ، ص ١٣ .

(٢) ريجارد كوك : بغداد (مدينة السلام) ، ترجمة : فؤاد جميل ومصطفى جواد (بغداد ، مطبعة شفيق ، ١٩٦٢) ١ / ١٧١ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٣٢ ؛ عبد الجبار ناجي وآخرون : الدولة العربية في العصر العباسي (جامعة البصرة ، مطابع التعليم العالي ، ١٩٨٩) ص ٤٢٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٦٨ ؛ صالح أحمد العلي : التسلط الأجنبي ، نشر ضمن كتاب : العراق في التاريخ (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٣) ٤٥٠ ؛ فاروق عمر فوزي : تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية (بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٨٨) ص ٣٣٧ .

(٥) ابن دحية : النبراس ، ص ١٥١ ؛ عماد الدين اسماعيل بن محمد أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (مصر ، المطبعة الحسينية المصرية ، د . ت) ٣ /٥١ ؛ الحافظ شمس الدين الذهبي : دول الاسلام ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤) ٢ / ٧٩ . ٨٠ ؛ كوك : بغداد مدينة السلام ، ص ١٨٠ .

وجمع الغلات وخزنها ثم عرض العسكر [١] ، ثم قاده عام ٥٦٩ هـ /١١٧٣ م للقضاء على أحد أمراء السلاجقة [٢] ، وكما قام جيش الخلافة عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م بطرد بعض المغامرين من السلاجقة [٣] .

غير أن المستضيء بأمر الله على الرغم من حسن سيرته في الرعية ، إلاّ أنه احتجب عن أكثر الناس وبلغ من اعتزاله أن دار الخلافة حوصرت ذات مرة وأغلقت أبوابها وهو لا يعرف عن ذلك شيئاً [٤] .

وهكذا أثمرت جهود الخلفاء في إنهاء السيطرة السلجوقية على العراق تساندهم عامة أهل بغداد ليصبح بعد ذلك مستقلاً مالكاً لارادته [٥] .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ص ٢٤٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٤٠٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٦٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٤٤٠ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٥٠ . ٢٥١ ؛ محمد بن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٥١) ١ / ١٣٧ . ١٣٨ ؛ نافع توفيق العبود : " **جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري** " ، مجلة المورد ، المجلد التاسع عشر ، العدد الأول (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٩٠) ، ص ٥٣ .

(٥) بدري محمد فهد : " **الخلافة العباسية في أواسط القرن الخامس والسابع** " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٥٢ (بغداد ، اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٩٥) ، ص ١١٦ .

٢ ـ موقف الخلافة من أمراء القوى المحلية :

أ ـ أمراء الحلة (المزيديون) (١) :

نظراً لغياب السلطة القوية أتيحت الفرصة لأصحاب الأطماع لتحقيق مطامحهم الشخصية ، ولا سيما دبيس بن صدقة المزيدي الذي استغل تلك الظروف ، ونشر الرعب وأعمال السلب والنهب والاعتداء على العديد من المدن القريبة من بغداد (٢) .

(١) **المزيديون** : تنتمي الأسرة المزيدية إلى قبيلة بني أسد العربية ، التي سكنت أنحاء متفرقة من العراق منذ بداية حروب التحرير العربية الاسلامية ، وقد برز المزيديون قوة جديدة ومؤثرة على المسرح السياسي في العراق منذ أواخر القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد وبدايات القرن الخامس للهجرة ، حيث استطاعوا أن يؤسسوا امارة مستقلة لهم في منطقة الفرات الأوسط وتحديداً في مدينة الحلة فيما بعد ، مستغلين الاضطراب الذي شهدته سلطة البويهيين وضعف سيطرتها على العراق .

اتسع نفوذ هذه الأسرة وسيطرت على مناطق واسعة من العراق وبخاصة في عهدي أميرها علي ابن مزيد ٣٥٠ ـ ٤٠٨ هـ /٩٦١ ـ ١٠١٧م وابنه دبيس ٤٠٨ ـ ٤٧٤ هـ /١٠١٧ ـ ١٠٨١م اللذين عملا طيلة سنين من أجل تثبيت أسس امارتهما وتوسيع حدودها .

عاصرت هذه الامارة فترتين مهمتين من فترات التسلط الأجنبي على العراق (البويهي والسلجوقي) ، وأدى بعض أمرائها خلالها دوراً متميزاً أسهمت في اشغال السلطة الأجنبية وتفتيت قوتها ، كما انها حالت دون استمرار تسلطهم على العراق .

ينظر : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه : احسان عباس (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٠) ٢ / ٤٩٠ ـ ٤٩١ ؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر (بيروت ، دار مؤسسة جمال ، ١٩٧٩) ٤ / ٢٧٦ ؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس في شرح القاموس ، الطبعة الأولى (القاهرة ، ١٣٠٦ هـ) ، مادة (حلل) ٧ / ٢٨٣ ؛ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٦) ١ / ٢٥٣ ؛ عبد الجبار ناجي : الامارة المزيدية (دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي) (بغداد ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٠) ، ص ٥٩ وما بعدها .

Bosworth . C . E .The Islamic Dynasties . (Edinburgh University Press 1976) P. 5 .

رعد زهراو مطشر : عصر الخليفة المتقفي لأمر الله ٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ / ١١٣٥ ـ ١١٦٠ م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة البصرة ـ كلية الآداب ، ١٩٨٧) ، ص ١٤١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩/ ٢١٧ ـ ٢١٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٥٦٥ ؛ الذهبي : دول الاسلام ٢ / ٤١ .

وأمام هذه الفوضى أرسل الخليفة المسترشد بالله يستنكر أعمال دبيس ويأمره بالتوقف عن الفساد ، فلم يستجب بل ازداد وقاحةً حين قصد بغداد " وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة ... وقال : أنك أرسلت تستدعي السلطان فإن اعدتموه وإلاّ فعلت وصنعت " [(١)] ، وبقي في بغداد إلى أن قدمها السلطان محمود ، فغادرها قاصداً ايلغازي ابن ارتق صاحب ماردين [(٢)] .

ولم يكن أمام الخليفة المسترشد بالله إزاء إفتقاده للقوة العسكرية سوى الاستعانة بالسلاجقة لوقف عبث دبيس وتطاوله على الخلافة ، كما حدث سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م و ٥١٦ هـ / ١١٢٢م [(٣)]، إلاّ أن السلاجقة حرصوا على إبقاء دبيس خطراً " ليكون في وجه المسترشد " [(٤)] ، فلم يكن أمام المسترشد بالله سوى الاعتماد على امكانياته الذاتية ، فأعلن الدعوة للجهاد ، للقضاء على دبيس ، لخروجه على تعاليم الاسلام فأفتى الفقهاء بقتاله [(٥)] ، وتولى الخليفة قيادة الجيش الذي اجتمع في بغداد من العامة وعساكر أمراء الأطراف [(٦)] ، وهي أول مرة يقوم بها خلفاء هذه الفترة بقيادة الجيش ولإشعار دبيس بقوة الخلافة، أرسل إليه ينذره بقوله:﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا** ﴾ [(٧)] ، وتمكن جيش الخلافة من تحقيق نصر كبير على جيش دبيس في منطقة المباركة [(٨)] في مستهل سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م [(٩)] كان من نتائجها القضاء على قوة دبيس بحيث لم يكن قادراً على استفزاز الخلافة بالاعتماد على امكانياته العسكرية ، فلجأ إلى طغرل بن محمد السلجوقي

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٦٥/١٠ ؛ أنظر : أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥١ . ١٩٥٣) ج ٨ ق ١/ ٩٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٢ / ١٨٥ .

(٢) **ماردين** : قلعة مشرفة على نصيبين . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ٣٩ ؛ صالح رمضان حسن : مقاومة الخلافة العباسية للنفوذ السلجوقي في العراق ٥١٢ . ٥٥٥ هـ / ١١١٨ . ١١٦٠ م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٧) ، ص ٩٢ .

(٣) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٣ . ٢١٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٥٩٨ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٣ . ٥٤ .

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ١ / ١٠١ .

(٦) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٣٥ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية ١٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٣٧ .

(٨) **المباركة** : قرية ونهر فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ٥١ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٠٩ ؛ ابن كثير : البداية ١٢ / ١٩٠ . ١٩١ .

في همدان للاستعانة به في مهاجمة بغداد (١)، إلاّ أن الخليفة تمكن من الحاق الهزيمة بهما عند النهروان سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م (٢). وأسر دبيس في المعركة ، إلاّ أن الخليفة رقّ له وعفا عنه بعدما أبدى الذل والخنوع (٣)، فلجأ وطغرل إلى السلطان سنجر بخراسان يحذرونه من الخليفة ويألبونه عليه (٤)، لذلك لم يستجب السلطان سنجر لطلب الخليفة بإبعاد دبيس عنه ، بل سلمه سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ إلى السلطان محمود على أن يكرمه ، وطلب العفو له من الخليفة (٥)، إلاّ أن الخليفة رفض التماس السلطان محمود الذي قصد بغداد سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م لهذا الغرض (٦). وقد أظهر هذا الموقف أهداف السلاجقة من وراء الإبقاء على دبيس فكان للقوة التي أبداها الخليفة وما حققه من انتصارات بعد اعادة تكوين الجيش أن تعززت مخاوف سنجر وأحس بخطورة ما آلت إليه الخلافة ، فأوعز سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م إلى عماد الدين زنكي ودبيس بالاستيلاء على بغداد (٧) فتوجها من الموصل على رأس جيش قدّر بأثني عشر الف فارس (٨). فاستعد الخليفة للمواجهة وخرج من جديد على رأس جيشه ، والتحق به عامة أهل بغداد كبيرها وصغيرها والتقى الطرفان في موضع يقال له " حصن البرامكة " وتمكن الخليفة من تشتيت قوات اعدائه ، فهرب دبيس إلى جهة الغراف ، وفرّ زنكي إلى تكريت تاركين القتلى والأسرى (٩)، وواصل الخليفة تعقبه لدبيس الذي هرب إلى الحلة فأمر الخليفة نائبه فيها اقبال المسترشدي بإرسال قوة من بغداد تمكنت من دحره في السنة نفسها فهرب إلى واسط ، حيث التحق به من كان بها من الأمراء السلاجقة ، إلاّ أن جيش الخلافة بقيادة اقبال المسترشدي تمكن من هزيمته وأسر من كان معه من السلاجقة وذلك سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م (١٠).

---

(١) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٥ . ٢٧ ؛ ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة بغداد ٢ / ٩٥ .
(٢) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٥ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٣٥ .
(٤) المصدر نفسه : المنتظم ٩ / ٢٥٢ . ٢٥٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٢ / ١٩٤ . ١٩٥ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٨ . ٩ .
(٦) المصدر نفسه ١٠ / ١١ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٧٨ .
(٨) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٧ .
(٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٦ ؛ ابن الأثير : الباهر ، ص ٤٦ .
(١٠) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٧٩ .

وفي سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م قتل دبيس من قبل السلطان مسعود ، بعد أن دّبر السلاجقة قتل الخليفة المسترشد بالله [١] ، وفي سبب قتله يقول ابن الأثير [٢] : " لم يكن يعلم . يعني دبيس . أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدّة لمقاومة المسترشد بالله ، فلما زال السبب زال المسبب " .

تولى صدقة بن دبيس امارة المزيدين بعد مقتل والده وانتهج في مستهل ولايته سياسة تقوم على الوقوف إلى جانب الخلافة ، فقد ساند الخليفة الراشد بالله في نزاعه مع السلطان مسعود في سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م [٣] ، والظاهر أن الأمير صدقة أراد أن يطبق سياسة المزيدين القائمة على استغلال النزاع القائم بين أبناء البيت السلجوقي على السلطة ، فقد ذكر ابن الأثير [٤] أنه وقف مع السلطان مسعود في نزاعه مع الملك داؤد ابن السلطان محمود ، وأنه قتل في أثناء المعركة التي دارت بين الطرفين في سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م .

بعد وفاة الأمير صدقة توالى على حكم الامارة المزيدية أمراء لم يؤدوا دوراً مهماً في الأحداث السياسية آنذاك [٥] . وشرع الخليفة المقتفي منة سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م لاعادة سيطرته على مدن العراق مستغلاً اضطراب أوضاع السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود [٦] ، فقام بالاكثار من جمع الرجال وحشد العساكر والجيوش وأعلن التعبئة [٧] . ففي التاسع عشر من شعبان من السنة نفسها ، أرسل جيشاً بقيادة وزيره إلى الحلة ، ولم يتمكن مسعود بلال الذي كان قد سيطر عليها من مواجهة قوات الخليفة ففر من ساحة المعركة ، واستقبلت جماهير العامة في الحلة نبأ الانتصار بالفرح والاستبشار [٨] ، وواصل جيش الخلافة تقدمه فأعاد السيطرة على الكوفة وواسط [٩] ، ثم قام الخليفة بزيارة المدن المحررة

(١) المعاضيدي : المقاومة ، ص ١٠ .
(٢) الكامل ١١ / ٣٠ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٥٤/١٠ . ٥٥ ؛ البنداري : تاريخ دول آل سلجوق ، ص ١٦٦ ؛ المعاضيدي : المقاومة ، ص ١٠ .
(٤) الكامل ١١ / ٢٦ .
(٥) المصدر نفسه ١١ / ٦٠ ، ٦١ .
(٦) ابن واصل مفرج الكروب ١ / ١٣٢ .
(٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٤٧ . ١٤٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ / ١٣٢ .
(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٤٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ١٦٢ .
(٩) المصدر نفسه ١١ / ١٦٢ .

[1] ، وأدى مراسم الزيارة في الكوفة ، وعاد إلى بغداد في ذي القعدة سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م [2] .

ب . أمراء البطائح :

منذ منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد حكمت البطائح [3] أسرة عربية هي أسرة آل أبي الجبر الليثي ، حيث تمكن الأمير أبو علي محمد بن أبي الجبر من استغلال الأوضاع المرتبكة جراء دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م وأعلن نفسه أميراً على البطائح سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م [4] .

وكانت البطائح مخبأً محبباً لجميع اللصوص وقطّاع الطرق والثائرين لصعوبة الوصول إليها ، ولذلك فقد أقيم الحراس في بقاع مختلفة منها زمن الخلافة العباسية لحماية المسافرين وتأمين الطرق والسير خلال القنوات [5] .

---

(١) ينظر عن الزيارات التفقدية للخليفة المقتفي لأمر الله : ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٦٥ ؛ ١٨١ ، ١٨٩ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٦ . ٢٦٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١١ / ١٦٢ .

(٣) **البطائح** : يطلق اسم البطائح على ذلك المنخفض الذي كان يتعرض لغمر المياه بشكل منتظم وقد أطلقه الجغرافيون العرب خلال الفترة العباسية على المستنقعات الواقعة في القسم الأسفل من الفرات بين الكوفة وواسط شمالاً والبصرة جنوباً ، أنها غالباً ما تسمى البطائح " جمع بطيحة " وهي تشمل بطائح البصرة وبطائح الكوفة وواسط .

أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب اليعقوبي : البلدان (ليدن ، نشر دي غويه ، ١٨٩٢) ، ص ٣٢٣ ؛ أبو القاسم عبيد بن عبد الله بن خرداذبة : المسالك والممالك (ليدن ، بريل ، ١٩٨٩ م) ، ص ١٧٤ ؛ الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٥٧ . ٥٨ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٢ ؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٩ م) ، ص١٢٤؛ أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا (مصر ، ١٩٥٤) ٢٥٩/١ ؛ محمود بن عمر الزمخشري : الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق : ابراهيم السامرائي (بغداد ، د . ت) ، ص ١٢٦ ؛ وأنظر كذلك :

(AL – Batiha) E I (2) by Salih , EL . Ali and Streck (London 1960) Volume (1) . P. 1043 .

ابراهيم جدوع محسن : امارة البطائح العربية (دراسة في أحوالها السياسية والفكرية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حتى منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة البصرة . كلية الاداب ، ١٩٨٦) ، ص ٦٤ وما بعدها .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٩ / ٦٥٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ٤ / ٥٠٥ . ٥٠٦ .

(٥) عبد الأمير الرفيعي : العراق (بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية) (بيروت ، الفرات للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢) ١ / ٧٧ .

وعلى الرغم من اخضاع السلاجقة لأمارة البطائح سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م واقطاعها لأحد مماليك السلاجقة واسمه (محكويه) والذي أناب عنه في البطائح (نصر بن النفيس) وهو من أحفاد الأمير أبي علي بن أبي الجبر [١] . إلاّ أن البطائح استقلت عن السلاجقة حيث تمكن الأمير المظفر بن أبي الجبر من قتل الأمير المستناب عن السلاجقة سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م [٢] .

إنّ علاقة الخلافة العباسية بالأمير البطائحي الأمير المظفر بن حماد كانت ايجابية إذ استجاب لطلب الخليفة المقتفي لأمر الله بتهيئة السفن تحت الدار لنقل الخليفة إلى البطائح وذلك عندما وصلت الأخبار بقدوم الراشد بالله ومن معه إلى بغداد [٣] .

فضلاً عن ذلك فقد وقف الأمير المظفر موقفاً مشرفاً مع الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله عندما خرج جيش الخلافة لملاقاة السلاجقة بموقعة بجمزا سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م وقاد ميمنة الجيش العباسي وأبلى بلاًءحسناً حتى حسم الموقف لصالح الجيش العباسي [٤] .

وفي سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦م قُتِلَ الأمير مظفر بن حماد بن أبي الجبر من قبل أحد أفراد أسرته وتم تعيين ابنه بدر بن المظفر الذي امتنع عن تلبية نداء الخليفة للدفاع عن مدينة بغداد بعد سماعه خبر وصول السلطان محمد السلجوقي إليها سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م [٥] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٥٩٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ٤ / ١٠٩١ ؛ محسن : امارة البطائح العربية ، ص ١٣٠ ؛ محمد ضايع حسون الجبوري : الخلافة العباسية (دراسة في أحوالها السياسية والادارية والاقتصادية) ٥٣٠ . ٥٧٥ هـ / ١١٣٥ . ١١٧٩ م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة بغداد . كلية الآداب ، ١٩٨٨) ، ص ٨٦ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٥٩٩/١٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ١٠٩١/٤؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ٨٦.

(٣) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢٢٣ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ٨٦ .

(٤) **بـاجمزا** : قرية من قرى طريق خراسان بينها وبين بعقوبة نحواً من فرسخين ، وقد ذكرها ياقوت الحموي تارةً باسم باجمزا أو بكمزا . معجم البلدان ١ / ٣٤٠ ، ٤٧٥ ؛ ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، هامش ٤٠١ / ٢٢٩ ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣١ . ١٣٢ ؛ مطشر : عصر الخليفة المقتفي لأمر الله ، ص ١٤٩ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٦٥ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ٨٧ .

ولم يكتف الأمير بدر بالإمتناع عن تلبية نداء الخليفة بل اتخذ موقفاً عدائياً بعد أن حوصرت بغداد إذ عرض خدماته وامكاناته العسكرية ووضعها تحت تصرف السلطان محمد السلجوقي [١]. وكان ذلك مقابل اطلاق يده في مواضع قريبة من امارته [٢]، ولكن الجيش العباسي كان لها بالمرصاد حيث تمكن من عرقلة وصولها وأحرق عدداً منها [٣] .

وبعد انتصار الخلافة العباسية على السلاجقة عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م وإفشال حصارهم سار الخليفة المقتفي لأمر الله على رأس قوة عسكرية قاصداً منطقة البطائح لمعاقبة أميرها على موقفه ، فلّما سمع به بدر فرّ هارباً من البطيحة [٤] ، ثم انقطعت الأخبار عنها إلى عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م حيث أشار البنداري [٥] إلى وصول الخليفة المقتفي لأمر الله في هذا العام إلى واسط ثم انحداره إلى ناحية الغراف فعزل عن ولايتها الأمير مظفر، ويظهر ان البطائح أصبحت تابعة للسلطة المركزية في بغداد ابتداءًمن هذا التاريخ على الرغم من انقطاع أخبارها [٦] .

ج . أمراء الموصل (أتابكية [٧] الموصل) :

ابتدأ أمر الأسرة الزنكية في الموصل منذ سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، وتنسب إلى عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، وكان آق سنقر مملوكاً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وكان من كبار القواد ، حتى ولاه السلطان محمود مدينة الموصل سنة ٥٢١ هـ /١١٢٧م ليقوم بحفظها واصلاح شأنها وجعله أتابك ولده فروخ شاه

---

(١) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٨ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠ .

(٢) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣٨ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٣٨٣ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٠ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٧٦ .

(٥) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٥ .

(٦) مطشر : عصر الخليفة المقتفي لأمر الله ، ص ١٤١ .

(٧) **الأتابك** : لفظ تركي يتألف من كلمتين هما (أتا) بمعنى أب و (بك) بمعنى أمير والمراد بهما أبو الأمراء ، وتعني مربي الأمراء ،واصل الأتابكة من الأتراك الذين جلبوا من أواسط آسيا وبلاد القبجاق.
أنظر : أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الأنشا (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧) ٤ / ١٨ ؛ حسن الباشا : الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (مصر ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٧) ، ص ١٢٢ . ١٢٣ .

المعروف بالخفاجي ليربيه ، أظهر عماد الدين في ولايته كفاءةً وقوةً وصلاحاً وكان له في جهاد الصليبيين همّة [1] .

اضطربت العلاقة بين الخلافة العباسية وعماد الدين زنكي فعزم الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ . ٥٢٩ هـ / ١١١٨ . ١١٣٥ م) على تأديبه بسبب موقفه تجاه الخلافة ووقوفه إلى جانب السلاجقة فجهز في عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م جيشاً قاده بنفسه لقتال زنكي واستمر الخليفة محاصراً الموصل ثلاثة أشهر وبعدها قرر الخليفة الانسحاب بعد أن علم أن السلطان مسعوداً قد قصد بغداد [2] .

ويبدو أن حصار المسترشد بالله للموصل كان يستهدف اشعار زنكي وأمراء الأطراف بقوة الخلافة وسطوتها بعد أن توافرت لها القوة العسكرية إذ لأول مرة بعد فترة خمود طويلة يخرج خليفة عباسي على رأس جيش خارج العاصمة ليحارب مناوئيه في حين تشير عدد من المصادر إلى أن سبب رفع الحصار ناتج من خيانة السلطان مسعود واتفاقه مع دبيس لمهاجمة بغداد [3] إنقاذا لحليفهم من السقوط .

ومهما يكن سبب الانسحاب فإنّ الخليفة حقق هدفه في هذه المناورة ، وفرض على زنكي كشرط للعفو عنه أن يبعث إليه فرساناً يكونون في خدمته ، فأعلن زنكي خضوعه للخليفة وسلّمه مفاتيح الموصل [4] .

ولم تمضِ مدة طويلة حتى أعاد زنكي علاقته مع الخلافة ، وعفا الخليفة عنه ، وأصبحت العلاقة بينهما طبيعية ، ففي عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ولما أراد الخليفة قتال السلاجقة ، أرسل إلى زنكي رسولاً ومعه خلع [5] ، يطلب منه التوجه إلى بغداد لمساعدته في قتال السلطان مسعود [6] ، إلاّ أن امدادات عماد الدين زنكي لم تصل [7] .

---

(١) الخضري بك : الدولة العباسية ، ص ٤٥٤ . ٤٥٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ / ٥٢ . ٥٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٦ . ٧ .

(٤) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ١ / ٣٥ ؛ ينظر : عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي (الموصل ، مطبعة الزهراء الحديثة ، ١٩٨٥) ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٥) ابن القلانسي : ذيل ، هامش ص ٢١٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١/ ٢٢

(٦) محمد بن الحسن بن حمدون : التذكرة الحمدونية ، نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ، مكتبة الآداب ، جامعة بغداد برقم ١٢٨٢ ، ورقة ١٨٣ ب .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٤٥ ؛ ابن الأثير ١١ / ٢٥ .

بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م بويع للراشد بالله بالخلافة [١] ، واستمرت العلاقة الودية بين الخليفة الجديد وبين عماد الدين زنكي ، فعند النزاع بين الخليفة الراشد بالله وبين السلطان مسعود ، وقف عماد الدين زنكي إلى جانب الخليفة العباسي [٢] . إلاّ أن الخليفة لم يستطع مقاومة السلطان مسعود عندها قرر ترك بغداد والاحتماء بعماد الدين زنكي فسار معه إلى الموصل [٣] .

وبعد جلوس الخليفة المقتفي لأمر الله أرسل رسولاً إلى عماد الدين زنكي يحمل معه رسالة تتضمن خلع الراشد بالله ، ويطلب منه الخطبة له في جوامع الموصل [٤] ، فكان جواب زنكي الرفض أول الأمر لعلاقته الجيدة مع الخليفة الراشد بالله ، إلاّ أن الخليفة المقتفي لأمر الله استطاع أن يستميله إلى جانبه عن طريق منحه عدد من الاقطاعات الجديدة وكذلك زيادة ألقابه [٥] .

استمرت العلاقة الحسنة بين الخلافة وولدي زنكي إذ كانا يحرصان للحصول على تقليد بالولاية من الخليفة،ليسبغ على حكمهم الشرعية في البلاد الواقعة تحت حكمهم [٦] ، ففي عهد سيف الدين غازي (٥٤١ . ٥٤٤ هـ / ١١٤٦ . ١١٤٩ م) ظلّ اسم الخليفة يذكر في المساجد ويضرب على السكة [٧] ، واستمرت هذه العلاقة الودية في عهد أخيه قطب الدين مودود (٥٤٤ . ٥٦٥هـ / ١١٤٩ . ١١٦٩م) [٨]، إلاّ أنها لم تدم وذلك لتحالفه مع السلطان محمد السلجوقي .

---

(١) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٠٨ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٥ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦٧ ؛ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بـ " الذيل على الروضتين " ، نشر: عزت العطار الحسيني (بيروت ، دار الجيل، ١٩٧٤) ١ / ٣١ ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة (مصر ، دار الكتب المصرية ، د . ت) ٥ / ٢٥٨ .

(٣) ابن دحية : النبراس ، ص ١٥٢ . ١٥٣؛ أبو شامة : الروضتين ٣/١ ؛ ابن واصل : مفرج ١ / ٦٦ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٦٧ .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٤٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ / ٦٩ .

(٦) رشيد الجميلي : دولة الأتابكة بعد عماد الدين زنكي (بيروت ،دار النهضة العربية للطباعة ، ١٩٧٥) ، ص ٢٢٤ .

(٧) محمد باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العهد الأتابكي (بغداد ، دار الحافظ ، ١٩٦٦) ، ص ٣٩ . ٤٠ .

(٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٠ ؛ أنظر : الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ٧٥ .

غير أن العلاقة تغيرت بعد سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، لأن قطب الدين لا يمكن له أن يحكم حكماً شرعياً دون الحصول على تقليد من الخلافة العباسية ، لذلك قرر هو ووزيره " علي كوجك " تحسين العلاقة مع الخليفة العباسي وطلب مسامحته على فعلته بمساعدة محمد شاه في حصاره لمدينة بغداد وطلب منه أن يأذن له بالحج فأذن له وسامحه ، حيث ذكر أن علي كوجك ورد بغداد قاصداً للحج " ووصل إلى الخدمة الشريفية وخلع عليه " [١] .

لقد كانت مدة حكم الخليفة المستنجد بالله بدايةً لعهد جديد تحسنت العلاقة بين بغداد والموصل بشكل جيد [٢]، إلاّ أن هذه العلاقة الحسنة لم تستمر، فبعد وفاة الخليفة المستنجد بالله وتولي الحكم ابنه المستضيء بالله الذي دعم رغبة نور الدين محمود حاكم الشام رغبته بالسيطرة على الموصل ، ويبدو أن السبب في ذلك التغيير هو علو شأن نور الدين محمود ، فقد كان قائداً مخلصاً للخلافة العباسية ، ويكفيه أنه أعاد الخطبة العباسية إلى مصر ، لذلك وجدناه يسمح لنور الدين محمود بالاستيلاء على الموصل ويقوم بإرسال الخلع والتشريفات له وهو يحاصر مدينة الموصل [٣] .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٩٠ ؛ ابن الأثير : الباهر ، ص ١١٥ ؛ ينظر : دخيل أسود ألياس : العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والدويلات الاسلامية في الشام والجزيرة (٥٥٥ . ٦١٥ هـ /١١٦٠ . ١٢١٨م)، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٨)، ص ٥٧ . ٥٨ .

(٢) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، نقله إلى العربية : عفيف البعلبكي (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٧) ؛ الجميلي : دولة الأتابكة ، ص ٢٢٤ .

(٣) ابن الأثير : الباهر ، ص١٥٤ ؛ أبو شامة : الروضتين ١٨٨/١ ؛ ألياس : العلاقات السياسية، ص ٥٨.

ثالثاً . الأوضاع الاقتصادية :

اعتمدت الخلافة في إيراداتها بالدرجة الأساسية على الضرائب الشرعية وفي مقدمتها ضريبة الجزية والخراج [1] . فالجزية وهي ضريبة الرأس التي تجبى من أهل الذمة وكان مقدارها ثابتاً ، جبيت في هذا العصر بالدينار وكانت فئاتها ديناراً على الفقراء وديناريين على متوسطي الحال ، واربعة دنانير على الأغنياء [2] .ويتولى ديوان الجوالي مسؤولية استيفاء هذه الضريبة [3] ، وضريبة الخراج أي ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها [4] ،وتؤخذ من الأراضي الصالحة للزراعة لقاء استغلالها لأنها ملك للدولة وتمت جباية الخراج في هذا العصر عن طريق الاقطاع والضمان [5] .

وتُجبى ضريبة الزكاة مرة واحدة في السنة من أغنياء المسلمين لقوله ﷻ ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ** ﴾ [6] ، وتوجب على الزروع والثمار والمواشي والذهب والفضة وعروض التجارة [7]ولا تشكل الزكاة مورداً رئيساً للخلافة لأن الناس يقومون

---

(1) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٤٥٨ .

(2) أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تصحيح وتعليق : مصطفى جواد (بغداد ، مطبعة الفرات ، ١٣٥١ هـ) ، ص ٦٩ . ٧٠ .

(3) المصدر نفسه : ص ٧ ، ١٣ ، ١٤٥ ؛ شهاب الدين أحمد بين عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة ، دار الكتب المصرية،١٩٤٩) ٢٤٢/٨ . ٢٤٣ .

(4) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٦ .

(5) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٢٧، ٢٦٥؛ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق : مصطفى جواد ، (دمشق ، ١٩٦٢ . ١٩٦٣) ، ص٥١٧ ، ٦٤٥ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ؛ الأشرف أبو العباس اسماعيل الغساني: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم (بغداد ، دار البيان ، ١٩٧٥) ، ص ٦٠٣ .

(6) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

(7) ينظر : الماوردي الأحكام السلطانية ، ص١١٣؛ أبو حامد محمد بن حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (مصر ، ١٩٣٩) ١ / ٢١٦ . ٢١٧ .

بإخراجها بأنفسهم ويتصدقون بها [١] ، وتفرض عشور التجارة على أموال وعروض أهل التجارة الذين يقومون بها من دار الحرب إلى دار الاسلام [٢] ، وتمثل التركات وهي الأموال التي تحصل عليها الخلافة من الأشخاص الذين لا وارث لهم فتصبح ملكاً للدولة [٣] ، مورداً آخر من موارد الخزينة [٤] ، فضلاً عمّا كانت تفرضه الخلافة من ضرائب ، كضرائب البيع والدور والمصادرة [٥] ، وما يقدمه الأمراء والولاة للخلافة من أموال وهدايا في المناسبات المختلفة [٦] .

وتقوم الخلافة من خلال الأموال المستحصلة بالإنفاق على مصالح الخلافة ومؤسساتها العسكرية فضلاً عن تحصين المدن وبناء أسوارها وحفر خنادقها[٧] ورواتب الموظفين والعمال والجند[٨] ، وتنفق الخلافة على اعمار المدارس والمستشفيات والأضرحة والدور وإقامة الجسور والسدود [٩] ، وتتحمل الخلافة نفقات الحج وتجهيز القوافل بكل ما تحتاجه من مال ومتاع [١٠] . وتخصص الخلافة نفقات خيرية توزع على الفقراء ولا سيما في شهر رجب ورمضان [١١] فضلاً عمّا كانت تتحمله الخلافة من نفقات على

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، م ٨ ق ١ / ٢٣١ .

(٢) شمس الدين السرخسي : المبسوط (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٤ هـ) ٢ / ١٩٩ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، م ٨ ق ٢ / ٥٣٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٤٦٠ .

(٤) ينظر ذلك : ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ /١٠٧ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٢٩ ، ٢٦٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٠٩٦ ، ٥٩٧ .

(٥) ابن دحية : النبراس ، ص ١٥٨ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٢٢٧/٩ ؛ القزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ١٣٤ . ١٣٥ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٢، ٥٢٧،٥٣٧ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ٧٨/١٠ ، ٨٤ ، ٩٥ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١١٠ . ١١١ ، ١٩٨ ، ٢١٠ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٢ ؛ عبد الرحمن سنط قتينتو الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر سير الملوك ، تصحيح : مكي السيد جاسم (بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٤) ، ص ٢٨٧ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٣ ، ٥٢٠ .

(٩) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٢٩ . ٢٣٠ ، ٢٥٨ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٨١ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٦٥ ، ٥٧١ ، ٥٩٤ .

(١٠) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص١٩١؛ الغساني: العسجد المسبوك ، ص ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٤ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٥١٨ ، ٥٣١ ، ٥٤٣ ، ٥٥٤ ، ٥٩٤ .

الخلع التي كانت تمنح لكبار رجال الدولة والموظفين وولاة الأطراف في المناسبات المختلفة [١] .

ولا تتوافر في المصادر قوائم اجمالية عن واردات الخلافة ونفقاتها ليتسنى للباحث تقدير الوضع المالي والاقتصادي للخلافة في هذا العصر ، ولكن من خلال استقراء الأوضاع السياسية والادارية التي انتابها الضعف والتدهور خاصةً في الحقبة الأخيرة من هذا العصر ، كانت لها بلا شك انعكاسات سلبية على أوضاع البلاد الاقتصادية ، فضلاً عن ما تعرض له العراق من كوارث طبيعية كانت لها آثارها الفادحة في الأوضاع الاقتصادية التي انعكست آثارها السلبية في الوضع السياسي والعسكري العام لفقدان الخلافة قيادة ادارية تستطيع مواجهة هذه الآثار واحتوائها ، وقد تمثل ذلك بالفيضانات المدمرة وانحباس المطر وسقوط البرد وظهور الآفات الزراعية التي أتلفت المحاصيل [٢] ، مما أدى إلى تعذر الأقوات وارتفاع الأسعار وقلّة الانتاج وانخفاض مستوى المعيشة وحدوث المجاعات وانتشار الأمراض [٣] .

فضلاً عن ذلك فقد أدت ممارسة السلاجقة الاقتصادية خلال مدة سيطرتهم على أضرار كبيرة في الجوانب الاقتصادية المختلفة ، فعلى صعيد الأرض والزراعة [٤] ، فقد أدى نظام الاقطاع [٥] الذي طبقه السلاجقة إلى تدهور الحياة الاقتصادية في العراق ، فقلة

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦٧ . ١٦٨ ، ٢٠٢ . ٢٠٣ ؛ الذهبي : دول الاسلام ٢ / ١٤٩ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٦٠٤ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٠٢ ، ٢٦٧ . ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٦١ ؛ الغساني : العسجد ، ص ٥٤٩ ، ٥٥٤ ، ٥٦٥ ، ٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠٨ ، ٦١٤ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ / ٧٩٤ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٠٢ . ٣٠٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٢٠ / ٨٦ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ٨ / ١٧٩ ، ١٠ / ١٣٤ ، ٣٠١ ؛ ابن الأثير : الكامل ٩ / ٦٣١ ، ٦٣٦ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ١ / ١٥ .

(٥) **الاقطاع** : هو أن تقطع المنطقة أو المدينة لأحد الأفراد مقابل دفع مبلغ معين من المال متفق عليه من ضرائبها للحكومة ، وذكر اقطاع أو قطائع من المصادر وان الاقطاع هو ان يدفع الأئمة إلى ما يرون أن يدفعوا إليه شيئاً فيملك المدفوع ذلك إليه رقبته بحق الاقطاع ، أو أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحدتها قطيعة أو أن يعمد الامام الجائز الأمر والطاعة إلى قطعة من الأرض يفرزها عمّا يجاورها ويهبها ممن يرى ليعمرها ... وينتفع بما يحصل من غلتها .

أنظر : قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨١) ، ص ٢١٨ ؛ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد علي النجار (القاهرة ، الدار المصرية ، د . ت) ١ / ١٨٩ . ١٩٢ ؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد

خبرتهم الاقتصادية أدت إلى فراغ الخزينة ، فلم يعد بمقدورهم دفع رواتب الجند ، مما أدى إلى توزيع الاقطاعات على أمراء جندهم ليأخذوا رواتبهم من وارداتها ويدفعوا إلى خزانة السلطان مبلغاً من المال سنوياً ، ويقدموا له المساعدات العسكرية وقت الحاجة (١) ، وقد استغل المقطعون الزّرّاع والفلاحين وأساءوا إليهم (٢)، إذ فرضوا عليهم رسوماً اضافية ، وأجبروهم على السخرة ،وكثر التجاوز عليهم فاضطر الكثيرون منهم إلى إلجاء (٣) أراضيهم طلباً للحاجة،كما ترك الكثير من الزراع والفلاحين الزراعة وهجروا قراهم نتيجة لظلم المقطعين (٤) ،وقد صحب ذلك اهمال لمشاريع الري (٥) ، مما أدى إلى تكرر الفيضانات في العراق وتلف المحاصيل الزراعية .

وقد أدّى هذا النظام الاقطاعي إلى عدّ الاقطاع ملكاً وراثياً ، كما أن البعض طمع في الاستيلاء على أملاك الآخرين مما أدى إلى انتشار الفتن والظلم والفساد فعمّ الخراب بمعظم الأراضي الزراعية ونقص الانتاج وارتفعت الأسعار وهلك كثير من ضعاف الناس جوعاً (٦) .

وعلى الرغم من المحاولات الاصلاحية الجادة التي قام بها بعض الخلفاء لتحسين الأوضاع الاقتصادية والمالية ، إلاّ أنهم لم يستطيعوا استكمال هذه الاصلاحات للظروف الصعبة التي كانت تواجه الخلافة في ظل السيطرة السلجوقية ، فقد أكثر السلاجقة من

الخوارزمي : مفاتيح العلوم (القاهرة ، ادارة الطباعة المنيرية ، ١٣٤٢ هـ) ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٣٧٨ ؛ محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب (بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٦) ٨ / ٢٨١ ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ الخطط المقريزية (القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٩٤ هـ) ١ / ٩٦ . ٩٨ ؛ عبد الوهاب خضر الياس: الاقطاع في لعصر العباسي (دراسة في أنماطه وادارته١٣٢ . ٤٤٧ هـ /٧٤٩ . ١٠٥٥م)، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ،١٩٩١) ، ص ١٠٤ وما بعدها.

(١) ابن الأثير : الكامل ٩ / ٦٣١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٨٨ ، ٦١/١٠ ، ٦٦ ، ٦٩ ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٦٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٤٥٤ .

(٣) الإلجاء او التلجئة : هو أن يلجئ الضعيف ضيعةً إلى قوي ليحامي عليها . الخوارزمي: مفاتيح العلوم ، ص٤١ .

(٤) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٥٥ ، ٥٦ ولمعلومات أوسع عن الاقطاع العسكري . ينظر : ابراهيم علي طرخان : النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى (القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨) ، ص ٢٠ ، ٣٠ .

(٥) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٤ ، ٢٥٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ٢١٢/١٠ ؛ المعاضيدي : المقاومة العربية ، ص ٦ .

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١٢ ؛ ناجي وآخرون : الدولة العربية ، ص ٢٤٢ . ٢٤٣ .

مصادرة أموال الناس (١) ، كما أنهم طالبوا الخلافة بفرض الضرائب والغرامات لاستحصال الأموال التي ألزمت الخلافة بدفعها كتعويضات على الرغم من استحواذهم على موارد الدولة المتمثلة بأجور دار الضرب والتركات الحشرية والجوالي (٢) .

وقد كانت الضرائب في مدة التسلط السلجوقي قاسية وثقيلة على كاهل الشعب ، وان السياسة السلجوقية كان هدفها الرئيس جمع أكبر قدر من الأموال بمختلف السبل والطرق دون الالتفات إلى أحوال الشعب وقدرتهم على دفعها (٣)، فضلاً عن المكوس التي تجبى من البضائع المنقولة من منطقة إلى أخرى براً ونهراً في داخل العراق والبضائع الواردة إليه ، وقد نشأت دور خاصة للمكوس في مناطق مختلفة وخاصةً إلى ضفاف الأنهار وكان يمد حبل أو سلسلة بين الضفتين عبر النهر ليمنع مرور السفن إلاّ بعد جباية الضريبة منها ، وهذا ما يسمى بالمآصر(٤) . وقد انشئت محلات لجباية المكوس على البضائع المجلوبة إلى العراق بحراً والخارجة منه تدعى محلات جبايتها (المراصد) (٥) ، فضلاً عمّا تحصل عليه الخلافة عند مصادرتها لأموال من تغضب عليه من موظفيها (٦) .

فالخليفة المسترشد بالله عمل على اصلاح الوضع الاقتصادي وبدأ بأعمال جذبت إليه تأييد عامة الناس (٧)، إذ تقدم الخليفة بحراسة الغلات ، فصار كرّ (٨) الشعير بأثني عشر دينار (٩) ، ومن أجل أن يبرهن الخليفة المسترشد بالله للشعب على صدق شعوره

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٦٢ ، ٦٩ ؛ مطشر : عصر الخليفة المقتفي لأمر الله ، ص ٨٦ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٦٦ .
(٣) الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ١٨٢ .
(٤) بدري محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ٥٥٢ . ٦٥٦ هـ / ١١٥٧ . ١٢٥٨ م ، (بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٣) ، ص ٣٠٠ .
(٥) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤٠ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٢٤ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٦ .
(٧) محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقا : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية (بيروت ، دار صادر، ١٩٦٦)، ص ٣٠٦؛ فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة (الشارقة ، دار الخليج العربي للطباعة والنشر ، ١٩٨٣) ، ص ٨٦ .
(٨) **الكـرّ** : مكيال لوزن الحبوب خاصةً القمح يعادل ٢٩٢٥ كغم . فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي (الأردن ، ١٩٧٠) ، ص ٦٩ ، الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ١٢ .
(٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٥ ؛ النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، ص ١٧ . ١٨ .

بمتاعبهم وما يعانونه ، عمل سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م على التخفيف عن كاهل العامة باسقاط عدد من الضرائب عنهم ، وقد ذكر ذلك ابن الأثير [١] بقوله : " وأقر أن لا يؤخذ إلاّ ما جرت به العادة القديمة واطلق ضمان غزل الذهب " . كذلك أمر الخليفة بإعادة الأموال التي جبيت من الناس عند بناء سور بغداد [٢] ، وعوض لهم عنها بالصرف من أمواله الخاصة وذلك حينما أحس بثقل وطأتها على الشعب [٣] .

وفي عهد الخليفة الراشد بالله فشا الموت في الناس حتى كان يموت في اليوم مائة نفس وازداد عبث العيارين بأموال الناس وممتلكاتهم [٤] ، وفي سنة ٥٣١ هـ /١١٣٧م أخذ السلطان مسعود جميع ممتلكات الخليفة الراشد بالله ولم يترك له إلاّ العقار الخاص ، وأرسل وزيره يطلب من الخليفة المقتفي لأمر الله مائة ألف دينار [٥] فقال المقتفي لأمر الله : " ما رأينا أعجب من أمرك أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله ، فجرى ما جرى وعاد أصحابه عراة وولي الراشد ففعل ما فعل ثم رحل وأخذ ما بقي من الأموال ، ولم يبق في الدار سوى الأثاث فأخذته وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب وأخذت التركات والجوالي، فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي إلاّ أن نخرج من الدار ونسلمها ، فإني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ من المسلمين حبة واحدة ظلماً " [٦] .

ولما تولى المقتفي لأمر الله الخلافة استطاع أن يعالج الأوضاع الاقتصادية المتردية إذ أسهمت اجراءاته في تخفيف الكثير من المعاناة التي عانى منها العراقيون آثاراً

(١) الكامل ١٠ / ٥٤٤ . ٥٤٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٣ . ٢٤٥ ؛ فوزي امين الطائي : " **جهود أهالي بغداد في دعم الخلافة العباسية** " ، مجلة التربية والعلم ، العدد الثامن ، كلية التربية (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) ، ص ١٦٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٦٨ ؛ النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، ص ١٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٦٦ .

(٦) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٩٦٤) ، ص ٤٣٧ . ٤٣٨ .

من نير الغزو السلجوقي [(١)]، وكثيراً ما كان يتفقد أحوال رعيته في بغداد والمدن العراقية الواحدة بعد الأخرى [(٢)] .

وفي عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م بلغ كر الشعير أربعين ديناراً والحنطة ثمانين ديناراً ، ولكن الشحنة نادى في الأسواق والدروب أن لا تباع (الكارة) [(٣)]الدقيق إلاّ بدينار ، فأدى هذا الإجراء الذي يبدو ارتجالياً إلى غلق الدكاكين وفقدان الخبز في الأسواق أربعة أيام واستمر شهراً حتى عادت الأسعار تتراخى [(٤)] .

وقد استطاع الخليفة المقتفي لأمر الله ووزيره ابن هبيرة أن يتغلبا على الأزمة الاقتصادية وذلك بتوزيع الغلات على الجنود بدلاً من النقود فيبيعونها على السكان مما خفّف من الأزمة [(٥)] . وقد عالج الأزمات الاقتصادية التي كان العراقي يعاني منها في بعض الأوقات ، فعلى أثر ارتفاع الأسعار وغلائها في العراق عام ٥٤٣ هـ /١١٥٩ م اتخذ الخليفة عدة اجراءات ناجحة أدت إلى رخص الأسعار في العراق وكثرة الخيرات بحيث خرج أهل السواد إلى قراهم [(٦)] ، كما أطلق للفقراء مالاً كثيراً ، وأنفق وزيره ابن هبيرة خمسة آلاف دينار بعضها للصدقة وبعضها في قضاء ديون أهل الحبوس وغيرهم [(٧)] ، وكان الخليفة المقتفي لأمر الله يتفقد الأحوال المعاشية للسكان في منازلهم [(٨)] .

وفي خلافة المستنجد بالله عمد إلى معالجة الأوضاع الاقتصادية ، فأزال من المكوس والضرائب الشيء الكثير، وكان شديداً على العبث والفساد [(٩)]. ويشير ابن الكازروني [(١)]

---

(١) محمد جاسم المشهداني : معركة بغداد ٥٥١ . ٥٥٢ هـ ، موسوعة الجيش والسلاح (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٧) ٤ / ٣٤٠ . ٣٤١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤٠ . ٣٤١ ؛ النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، ص ١٨ .

(٣) **الكارة** : مكيال يعادل ١٢٠ لتر . هنتس : المكاييل ، ص ٦٩ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٢٥ ؛ أمين : العراق في العصر السلجوقي ، ص ١٥٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢١٤ ؛ ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٣١٤ . ٣١٥ ؛ حتاملة : دور الخليفة المقتفي لأمر الله ، ص ١٢٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢١٤ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٨١ .

(٨) المصدر نفسه : المنتظم ١٠ / ١٧٦ ؛ المشهداني : معركة بغداد ٤ / ٣٤٠ . ٣٤١ ؛ النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، ص ١٨ . ١٩ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٢٥٨ ، ٣٦٢ ؛ الباهر ، ص ١٥٢ ؛ ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٣١٦ ؛ القلقشندي : مآثر الانافة ٢ / ٤٦ ؛ بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقي الدين بن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق : محمود زايد (بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٨) ؛ أبو الحسن

إلى : " أن أيامه كانت أيام خصب ورخاء وأمن ، صفت له موارد الخلافة وأظهرت له الأرض ما فيها من الذخائر فجمع أموالاً كثيرة " ، ورد أموالاً كانت قد اغتصبت وسجن قوماً ظلموا (٢) ، وأسقط ضرائب سوق الخيل والجمال والغنم والسمك والمدبغة والبيع في جميع أعمال العراق وأفرج عن جماعة كانوا مطالبين بأموال (٣) ، وأمر المستضيء بأمر الله برفع المكوس ورد المظالم وصرف مالاً كثيراً وكان دائم البذل للمال (٤) .

وقد اتبعت الخلافة بعد تحررها من التسلط السلجوقي نظام المركزية في ادارة ولاياتها،إلاّ أن الخليفة غالباً ما كان يعهد إلى ولاته ومعظمهم من المماليك سلطة الحرب والسلاح (٥) . أو تقطع ولاية أو أكثر إلى المتنفذين في الدولة ، وأغلبهم من مماليك الخليفة وقادة الجند علىأن يدفعوا لخزينة الدولة مبلغاً معيناً من المال (٦) . وهي أشبه ما تكون بالضمان (٧) ، ومما يؤسف له أن المصادر لم توضح بشكل ملموس علاقة هذه الولايات بالمركز على الأقل من الناحية الاقتصادية وما مقدار المدخولات السنوية التي تزود بها

علي بن أبي عبد الله الروحي : بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء (مصر ، ١٩٠٩) ، ص ٦٧ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٢ . ٤٤٨ ؛ أبو العباس أحمد القرماني : كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٧٨) ، ص ١٧٦ . ١٧٧ .

(١) ظهير الدين علي بن محمد البغدادي : مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق : مصطفى جواد (بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٧٠) ، ص ٢٣٣ . ٢٣٤؛ الاربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٧٧ .

(٢) ابن دحية : النبراس ، ص ١٥٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٩٥ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٥ .

(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر : ٩ / ١٨٦ ، ٢٠٦ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٨١ . ١٨٢ .

(٦) ابن الساعي : الجامع ٩ / ٤٧ . ٤٨ ، ٢٩٣ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢١٥ .

(٧) الضمان : ضمن : الضمين :الكفيل ، ضمن الشيء وبه ضمناً وضماناً ، كفل به وضمنه اياه : كفله ، ويقال :ضمنت الشيء أضمنه ضماناً ، فأنا ضامن وهو مضمون ، ويراد به ايجار حق جباية الضرائب وقد يكون الضمين تاجراً أو موظفاً أو من القادة العسكريين .

انظر : هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي : الوزراء ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٦) ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٨٢ ؛ أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي : الاشارة إلى محلسن التجارة ، تحقيق : البشري الشوربجي ، الطبعة الأولى (الاسكندرية ، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٧) ؛ ابن منظور : لسان العرب ، مادة ضمن ١٣ / ٢٥٧ ؛ الياس : الاقطاع ، ص ١٠٤ وما بعدها .

خزينة الخلافة كما لم يرد شيء عن حجم مالية الخلافة في هذا العصر ولا مقادير مواردها .

رابعاً . الأوضاع العسكرية :

١ . محاولات الخلافة لاعادة بناء الجيش العباسي :

كان الخليفة المسترشد بالله الذي ينسب إليه إعادة تشكيل المؤسسة العسكرية ، قد أُحكِمَتْ سياسته ظروف التسلط السلجوقي الذي لم يمنحه الوقت والامكانيات المادية لبناء قوة عسكرية تعتمد أساساً على عامة أهل بغداد فأصبح أسير ما تمنحه الظروف في استغلال الممكن . إذ يذكر أنه عندما تولى الخلافة لم يكن لديه مال ، ولم يكن يجد ما يسد به رواتب حرسه الخاص فكان يرسل إلى عدد من الأمراء يطلب منهم الأموال لتغطية نفقاته (١) ، لذا لم يكن أمامه سوى الاستعانة بما هو متوافر من العناصر المرتزقة المهيأة التي تمنح خدماتها مقابل الأموال والامتيازات ، وقد أفلح المسترشد بالله في اعادة بناء المؤسسة العسكرية العباسية،إلاّ أنه في الوقت نفسه أعاد الأسس نفسها التي عانت الخلافة من ويلاتها في القرون السابقة ، إذ أمر وزيره بإعادة ديوان الجند وتسجيل العرب والأكراد والأتراك في الديوان ، وابتدأ في شراء المماليك الأتراك وأمر بتدريبهم على فنون القتال (٢) ، وعقد محالفات مع أمراء الأطراف العربية والكردية (٣) ، وتقرب من العامة وأمر بإعلان النفير العام للتجنيد (٤) ، حيث بلغ جيشه سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد (٥) .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٠٣ .

(٢) المصدر نفسه : المنتظم ٩ / ٢٥٤ . ٢٥٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ١٠ / ٦٠٧ .

(٥) المصدر نفسه ١٠ / ٦٣٧ ؛ نزار محمد قادر : الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة العربية الاسلامية منذ تأسيسها وحتى سقوط بغداد ١ . ٦٥٦ هـ / ٦٢٢ . ١٢٥٨ م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٤) ، ص ٢٦٣ .

أخذ الخليفة المسترشد بالله يستعد لطوارئ الحرب التي قد تحصل بينه وبين السلاجقة وبدأ ببناء السور (سور بغداد الشرقية) [(١)] ، واعتمد جيش الخليفة بشكل أساسي على تجنيد عامة أهل بغداد لادراكه أهمية الاعتماد على الشعب في مواجهة الأخطار التي تتعرض لها الخلافة ، فالتحق أهالي بغداد بالجيش عن طريق التجنيد الوقتي أو التطوع للجهاد عند اعلان النفير [(٢)] .

وبعد فرض الخلافة سيادتها على مدن العراق زادت امكانياتها البشرية ، ممّا أدى بلا شك إلى زيادة مواردها الاقتصادية التي تعينها في تمويل قوة عسكرية كبيرة .

٢ ـ الادارة العسكرية :

أ ـ عناصر الجيش :

أما عناصر الجيش في هذه المدة فهم من العرب سكان بغداد والسواد [(٣)] ، والقبائل العربية التي أسهمت إلى جانب جيش الخلافة في رد العساكر السلجوقية المعادية ومحاولاتها البائسة لاحتلال بغداد [(٤)]، فضلاً عن المقاتلة المدونين وصفهم جنداً ثابتاً [(٥)] ، وفي هذه المدة لم تقتصر الخلافة على المماليك الأتراك في بغداد فحسب ، بل أدخلت عناصر أخرى في الجيش ومن هذه العناصر التي أدخلتها الخلافة بعد وفاة السلطان مسعود (الخيلية) وهم من المماليك الروم والأرمن [(٦)] . كما تدل عليهم ألقابهم فالمقتفوي نسبةً إلى الخليفة المقتفي والمستنجدي نسبة إلى الخليفة المستنجد وهكذا . وكان هؤلاء طبقة خاصة بالخليفة فمنهم الحرس الخاص به ومنهم من يعمل بدار الخلافة ومنهم من تولي الشحنكية في المدن [(٧)] .

---

(١) محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٦٢٠ ؛ أمين : حصار بغداد ، ص ٩ .
(٢) قادر : سياسة المسترشد بالله العسكرية ، ص ٢٢٢ .
(٣) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٩ .
(٤) الحسيني : أخبار ، ص ١٣٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ١٩٦ .
(٥) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٣ .
(٦) الحسيني : أخبار ، ص ١٢٩ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٥ .
(٧) فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

ومن العناصر التي أُدْخِلَتْ أيضاً إلى الجيش (الأحباش) [١] ، كما استخدمت الخلافة الأكراد بوصفهم قوة عسكرية في الجيش [٢]، وإلى جانب ذلك استدعت الخلافة عدداً من الأمراء من الأطراف [٣] .

إلاّ أننا لم نلحظ أية تغيرات على السياسة العسكرية ، إذ استمر الخلفاء على تجنيد ذات العناصر ، بل توسعوا في شراء المماليك وتربيتهم حتى غدا الجيش العباسي في حقبه المتأخرة عبارة عن جيش من المماليك [٤] .

إلاّ أن الوقائع التاريخية أثبتت أن هذه العناصر التي احترفت القتال مهنة لها ، وأعارت خدماتها لأية جهة تلبي مطاليبها ، لم يكن يربطها بالدولة إلاّ بمقدار ما تحصل عليه من أموال وامتيازات ، وقد تجاهل الخلفاء المتأخرين الحقيقة التي تقوم على أن تجنيد أهل البلاد هو الوسيلة التي تؤمن للدولة السيادة والقوة في أوقات السلم والحرب ، وأنه لايمكن الركون إلى ولاء العناصر الأجنبية التي تفتقد إلى الشعور الوطني أو القومي الذي يحسه ويؤمن به ابناء جلدتهم .

ب . أعداد الجيش :

لم تذكر المصادر أعداد الجيش بشكل دقيق ، وإنما أوردت أرقاماَ اجمالية بضمنها المتطوعة من أهل بغداد والسواد وجيوش أمراء الأطراف ، ففي سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م أخرج الخليفة المسترشد بالله خمسة آلاف فارس لقتال دبيس [٥] ، وفي السنة ذاتها قاد جيشاً قوامه اثنا عشر ألف مقاتل ، وقد أضيف إليه عدد كبير من المتطوعين فأصبح الجيش عند لقاء دبيس ثلاثة عشر ألف مقاتل [٦] . وفي سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م أصبح عدد جيشه ثلاثين الف مقاتل [٧] ، وفي حصار الموصل سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م كان مع الخليفة اثنا عشر ألف مقاتل [٨] .

---

(١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٩ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١١ .
(٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٩ .،
(٣) الحسيني : أخبار ، ص ١٣٢ .
(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٧، ١٢٨؛ لويس : السياسة والحرب ، ق ١ / ٢٧٨ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٣٣ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٠٧ . ٦٠٩ .
(٧) المصدر نفسه ١٠ / ٦٣٧ . ٦٣٨ .
(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٣٠ ؛ ابن العبري : مختصر ، ص ٣٥٤ .

ويذكر ابن الجوزي [١] عن أحد العروض العسكرية لجيش الخليفة المسترشد بالله سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م أنه بلغ خمسة عشر ألف مقاتل كانوا في بغداد .

وقد جمع الخليفة الراشد بالله سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م في بغداد ثلاثين ألف مقاتل [٢] .

وكان عدد أفراد جيش الخليفة المقتفي لأمر الله الذي دخل مدينة تكريت سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م والذي استعرض ونزل إلى القلعة ستة آلاف فارس [٣] ، وبعد الانتصارات التي حققها الخليفة في معركة بجمزا استعرض جيشه بمناسبة عيد الفطر سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م فتجاوز الأثني عشر الف فارس [٤] ، إذ شاهد الحفل المؤرخ ابن الجوزي [٥] ، ونقل لنا ما شاهده بقوله : " وخرج العسكر في عيد الفطر على زي لم يرَ مثله لاجتماع العسكر وكثرة الأمراء " .

ج . ديوان العرض :

وهو ديوان يعني بأمر الجند ، ورئيس هذا الديوان يسمى العارض[٦] . أما واجبات العارض فهي الإشراف على عمل الجيش وتنظيم سجلات الجند وصرف مرتباتهم وتهيئة الجيوش وتسليمها وتموينها واختيار الأكفاء في الجيش [١] .

---

(١) المنتظم ١٠ / ٣٥ ؛ قادر : سياسة المسترشد بالله العسكرية ، ص ٢٢٢ ؛ يذكر الذهبي أن عدد أفراد الجيش الذي استعرض في ذلك اليوم بلغ عشرين ألف ، دول الاسلام ١ / ٤٩ .

(٢) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١١ / ١٨٩ ، ١٩٤ .

(٤) الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد (الكويت ، مطبعة الحكومة ، ١٩٦٣) ٤ / ١٣٥ ؛ عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٩٧٠) ٣ / ٢٩٤ .

(٥) المنتظم ١٠ / ١٥٧ .

(٦) **العارض** : وهو أحد دواوين الدولة الغزنوية من تلك التي تبنتها الادارة السلجوقية فيما بعد ومتولي هذا الديوان ينتمي إلى رجال الادارة وليس من طبقة العسكر وهو أشبه بوزير الدفاع في الوقت الحاضر . عن ديوان العرض أنظر : ابن الفوطي : الحودث الجامعة : ١٠٣ . ١٠٤؛ قادر : الجيش : ٢٨٦ . ٢٨٧ ؛ عباس : جيش العراق : ٢١٥ وما بعدها .

CL – Cahen , Art Buwey hids , Encyclopedia of Islam , New Edition “ London 1960 “ . Vol I . P. 1350 – 1357 .

وممن تولى ديوان العرض في زمن الخليفة المسترشد بالله (٢) استيفدار بن رستم الرازي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) ، ثم تولى هذه الديون أبو عبد الله بن أبي الهيجاء المعروف بالمؤيد في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله واستمر في عمله حتى وفاته سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م (٣) ، وكذلك أبو المعالي بن أبي الحسن بن محمد بن حمدون (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) (٤) .

د . الرواتب :

ويقصد بها رواتب (عطاء أو أرزاق) الأمراء والقواد وجندهم ، وتسمى أيضاً بـ (المعيشة) وكان الخليفة هو الذي يقدر رواتبهم التي تصرف من بيت المال (٥) . فهي " رسوم مستقرة من أموال الخراج " (٦) ، فإذا " نقص الخراج عن أرزاق الجيش طلب الخليفة بتمامه لأن أرزاق مقدرة بالكفاية " (٧) .

إن المبلغ الاجمالي للرواتب يتغير باستمرار وكذلك طبيعته ، والفترات التي يتم فيها الدفع ، غير أنها يمكن أن تكون سنوية أو شهرية بصفة عامة إلاّ أن عدم تيسر وسائل النقل التي تستطيع ايصال الأموال من واردات الخراج والضرائب من ولايات الخلافة إلى بغداد ولختلاف المسافة بينهما ، فضلاً عن تغير كمية الناتج وتغير الأسعار فتتغير الموارد تبعاً لذلك مما يسبب عدم وصول الأموال في وقت واحد مما يؤدي إلى صعوبة تحديد وقت معين لكل صنف يتم فيه صرف الرواتب له (٨) .

---

(١) أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٠٥ ؛ عباس اقبال : الوزارة في عهد السلاجقة ، ترجمة : أحمد كمال (الكويت ، مطبوعات الجامعة ، ١٩٨٤) ، ص ٢٤ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ١٣٧ .

(٢) ابن الكازروني : مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق : كوركيس عواد وميخائيل عواد (بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٢) ، ص ٢٣ .

(٣) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، اعتناء : محمد يوسف نجم (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧١) ٤ / ٣١٥ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ١٣٧ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ٤ / ٣١٥ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ١٣٧ .

(٥) الصولي : أخبار الراضي ، ص ١٠٦ . ١١٨ .

(٦) النويري : نهاية الأرب ٦ / ١١٧ .

(٧) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٣١ .

(٨) وقد نصح ابن المقفع الخليفة المنصور أن يجعل لأرزاق الجند وقتاً محدداً "وقتاً يعرفونه في كل ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر أو ما بداه له... ويعلموا الوقت الذي يأخذونه فينقطع الاستبطاء والشكوى... ". عبد الله بن المقفع : رسالة الصحابة (ضمن كتاب رسائل البلغاء) ، الطبعة الرابعة (القاهرة ،

اعتمد السلاجقة نظام الاقطاع أسلوباً لدفع الرواتب ثم جعلوها وراثية مقابل الخدمة العسكرية وكان الجند يقولون : " الاقطاعات أملاكنا يرثها أولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها " [١] .

وفي مدة انتعاش الخلافة وإعادة تشكيل الجيش العباسي بعد التحرر من النفوذ السلجوقي كانت الخلافة تمنح الأمراء المماليك الرواتب اقطاعاً وكانت رواتبهم كثيراً ما تزداد وترتفع بشتى المناسبات فليس ثمة قاعدة تستند إليها الخلافة لتعّين وتحدد الرواتب فكثيراً ما ترتفع بمناسبة زواج أحد القادة أو وفاة الأمير أو عندما يحسنون الخدمة ويخلصون للخلافة أو يظهرون التفوق بادراتهم [٢].وكانت رواتب الجند تختلف باختلاف رتبهم وقربهم من ولي الأمر ، فقد كان راتب الأمير يصل إلى ألف دينار في السنة [٣] ، وفي حالة رفعه إلى رتبة أعلى يصل راتبه إلى أربعة آلاف دينار في السنة [٤] . أما الأمراء الغرباء الذين انضموا إلى جيش الحضرة فقد بلغت رواتبهم ستة آلاف دينار في السنة [٥]، أما الجند فيتحدد عطاؤهم تبعاً لقرب المملوك من ولي الأمر [٦] ، ونوعية صنفه [٧] .

فضلاً عن هذا كان للأمراء الذين بحضرة السلطان أرزاق جارية في كل يوم " من اللحم والتوابل والخبز والزيت ولأعيانهم الكسوة والشمع وكذلك المماليك السلطانية وذوي الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه " [٨] ويعطي الجندي فضلاً عن راتبه مواداً غذائية له ولعياله ، وقد يقتصر توزيع المواد العينية أحياناً بدلاً من الرواتب ، ففي سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م في حصار السلطان محمد لبغداد ، فإن الخليفة المقتفي لأمر الله : " اقتصر للأجناد في

١٩٥٤) ، ص١٢٣ هامش (٦) ؛ ندى موسى عباس : جيش العراق في أواخر العصر العباسي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٩١) ، ص ٢٢٤ .

(١) المقريزي : المواعظ ٢ / ٢١٦ .

(٢) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٧ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ٢٢٥ .

(٣) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ق ٢ / ٧٤٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ٢ / ١٠٢٤ .

(٥) المصدر نفسه / ج ٤ ق ١ / ٥٨٤ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٠ .

(٧) قادر : الجيش وتأثيراته ، ص ٢٩٨ .

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٥٢ . ٥٣ ؛ قادر : الجيش وتأثيراته ، ص ٢٩٩ .

الاعطيات على تفريق التمور فيهم والغلات وأخذوها واحتاجوا إلى أثمانها في النفقات فرموها في الأسواق وباعوها بالدينار "[١] .

مما لاشك فيه أن استعادة الخلافة لمؤسستها العسكرية التي حرمت منها بفعل الحظر الذي فرضه عليها المتسلطون (بويهيون وسلاجقة)مثّل أداة الخلافة في انتزاع مكانتها وفرض سيادتها على أقاليمها وتحقيق سعيها في التحرر من التسلط السلجوقي .. إذ لاحظنا أن الخليفة ومنذ عهد المسترشد بالله بدأ يقود الجيش بنفسه لمواجهة أمراء القوى المتجاوزين على مكانته وسلطته ، فضلاً عن ذلك تمكنت الخلافة بوساطة مؤسستها العسكرية من فرض سيطرتها على معظم مدن العراق ممّا وسع من رقعة نفوذها ، بما شجعها على اتخاذ قرار المواجهة العسكرية المباشرة مع الجيش السلجوقي ، إذ على الرغم من فشل الخليفة المسترشد بالله في مواجهة السلاجقة في معركة دايمرج سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م بالقرب من همدان والتي انتهت بمقتله [٢]، إلاّ أنه وضع أسس المقاومة التي استكملها من جاء من بعده من الخلفاء ، وما النصر الذي حققته قوات الخلافة على السلاجقة في معركة باجمزا سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م إلاّ ثمرة لهذه الجهود ، التي أفقدت السلاجقة الأمل في إمكانية استعادة سيطرتها على الخلافة بعد الاخفاق الذريع الذي منيت به قواتها التي اجتمعت لحصار بغداد سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م .

---

(١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣١ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ٢٢٧ .

(٢) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٢١ .

خريطة العراق في العصر العباسي الأخير (٥٥٢ . ٦٥٦ هـ)

الفصل الثاني

الأوضاع الاقتصادية للعراق

٥٧٥ ـ ٦٥٦هـ /١١٧٩ ـ ١٢٥٨م

أولاً . الزراعة :

١ . نطاق الأراضي الزراعية :

تعد الثروة الزراعية في العراق أحد أهم المصادر التي تشكل موارد الخلافة ، فلا غرابة أن يصبح العراق أكبر بلد منتج لمختلف أنواع المحاصيل الزراعية . إلاّ أن الزراعة في العصر العباسي الأخير اقتصرت على مناطق معينة ، ففي الجنوب اقتصرت على الأراضي المحيطة بالأنهار والممتدة على ضفاف القنوات [١] ، ولهذا كانت الأراضي المحيطة بالبصرة والأراضي بين دجلة والفرات إلى الجنوب من بغداد أكثف المناطق بالمزروعات [٢] . أما في شمال بغداد فكانت المزارع مجاورة للضفاف أو في الأماكن التي يكثر فيها نزول الأمطار [٣] ، لذلك أصبحت الأراضي محصورة ضمن رقعة الخلافة التي تمتد من قرية العقر [٤]، عند حدود أتابكية الموصل شمالاً إلى عبادان جنوباً ، ومن القادسية غرباً إلى حلوان شرقاً [٥] . إذ امتدت سلطة الخلافة الادارية إلى مناطق جديدة انسلخت عن سلطتها ، ففي عهد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ . ٦٢٢هـ / ١١٧٩ . ١٢٢٥م) اشتملت على بغداد والبصرة وواسط والحلة وطريق خراسان وداقوق ، ثم ضم تكريت إلى العراق سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م [٦] ، وفي سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ضّم مدينة حديثة التي تقع إلى الغرب من بغداد على نهر الفرات [٧] ، وفي عهد الخليفة المستنصر بالله (٦٢٢ . ٦٤٠ هـ / ١٢٢٥ . ١٢٤٢ م) أعيدت مدينة اربل إلى السلطة

---

(١) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٨٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٤٣ .

(٢) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٨١ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢١٠ ، ٢٤٣ .

(٣) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٨٠ ؛ للمزيد من المعلومات ينظر : نجم: الأوضاع الاقتصادية ، ص ٣٣ وما بعدها .

(٤) **العقـر** : قرية بين تكريت والموصل وتنزلها القوافل ، وهي أول حدود أعمال الموصل من جهة العراق . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ١٣٦ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣ / ٢٧٢ ؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤١٩ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٧ .

(٦) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٠٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .

المركزية على أثر وفاة صاحبها مظفر الدين كوكبوري [١] ، وفي سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ضمّت مدينة عانة بعد اتفاق مع الملك الجواد سليمان بن العادل على مال اعطي له [٢] .

توزعت الأراضي الزراعية في العراق خلال هذه المدة في المنطقة الوسطى بين بغداد والأنبار وداقوقا وخانقين [٣] وبين بغداد وتكريت وبين تكريت وحدود الموصل ، ومنطقة الجنوب في البصرة والأهوار [٤].والأراضي الواقعة بين القادسية وسامراء [٥]، فضلاً عن الأراضي الزراعية المحيطة بمدينة الكوفة والأراضي القريبة من نهر الفرات حيث تكثر فيها بساتين النخيل [٦] . وهناك أراضي ومساحات في المنطقة الجنوبية مغطاة بالمستنقعات تقدر مساحتها بخمسين ميلاً عرضاً وبحدود مائتي ميل طولاً وتسمى هذه بالبطائح [٧]، تشكل مورداً زراعياً ، لاسيما النباتات والقصب والرز ، فضلاً عن وجود كميات هائلة من الثروة السمكية [٨] .

وجدت في العراق أنواع مختلفة من الملكية ، دون أن تكون هناك خطوط واضحة تميّز بينها ، كما كان يوجد كثير من التنوع في شروط الملكية في كل نوع ، إذ كانت شروط استغلال الأراضي تعتمد عادة على الأشخاص ومراكزهم [٩] . وكانت الأراضي

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

(٣) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير : رحلة ابن جبير (بيروت ، دار التراث ، ١٩٦٨) ، ص ١٧١ ؛ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق : علي محمد البجاوي (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٥٤) ١ / ١٢٠ ، ٢٠٩ ، ٤٤٧ .

(٤) اسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي أبو الفداء : تقويم البلدان (باريس ، ١٨٤٠ م) ، ص ٥٧ ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٨٢ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٤٥٠ . ٤٥١ .

(٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦٩ ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : احسان عباس (بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥) ، ص ٥٠١ .

(٧) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الطبعة الأولى ، نقله إلى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، (بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٤) ص ٤٣ ؛ عواد مجيد الأعظمي : الزراعة ١٥ . ٦٥٦ هـ / ٦٣٦ . ١٢٥٨ م ضمن كتاب (حضارة العراق) ، (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥) ، ٥ / ٢٣٣ .

(٨) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي : كتاب الجغرافية ، تحقيق : اسماعيل العربي ، الطبعة الأولى (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ١٥٨ ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص ٤٤٦ .

(٩) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٤٣ .

مسجلة في ديوان الخراج المركزي في بغداد ، كما كانت مسجلة في الدواوين المحلية كلٌ في منطقتها [١] .

كانت ملكية الأراضي الموجودة خلال المدة الواقعة من عصر الخليفة الناصر لدين الله وسقوط الخلافة العباسية في بغداد بأيدي المغول ٥٧٥ . ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ . ١٢٥٨ م تتكون من الأصناف الآتية [٢] :

أ . الاقطاع .

ب . الضمان .

ج . أراضٍ وقفية .

د . ملكيات فردية .

هـ . ضياع الخلافة .

أ . الاقطاع :

وهو أحد صيغ استغلال الأرض ويجوز للسلطان أن يقطع من أرض الموات من يحييها ويعمرها أو تعطى من أرض عامرة توفي صاحبها دون وارث [٣] . وانقسم الاقطاع في هذه المدة على نوعين :

١ . اقطاع الاستغلال :

يعرف اقطاع الاستغلال بأنه : " يؤخذ فيه خراج الأرض ورقبتها باقية لبيت المال " [٤]، وهو تخصيص دخل أو خراج قطعة من الأرض أجراً أو معاشاً [٥] . أو بعبارة أخرى هو أن يعطى بدل الأرزاق (الرواتب) ليستفيد منه رجال الجيش

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ١٤ / ١٢٤ .

(٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٤٤ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٧، ١٩١ ؛ الدوري : " **نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية** " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العشرون (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٠) ، ص ٧ .

(٤) القلقشندي : مآثر الانافة ٣ / ٢١٠ .

(٥) الياس : الاقطاع ، ص ١٦٣ .

وغيرهم من الموظفين الذين يتقاضون الأرزاق الثابتة التي تمنحها لهم الدولة نظير خدمتهم سواء أكانت مدنية أم عسكرية [١] .

وكان اقطاع الاستغلال يعطى عادةً لرجل الجيش ولا يورث ويعطى من بين أراضي الخراج [٢] . ويسترد من الشخص متى أراد الخليفة أو عند وفاة صاحب الاقطاع [٣] ، ويؤخذ منه خراج الأرض [٤] .

في هذه المدة أصبحت الخلافة غير قادرة على دفع رواتب أفراد جيشها وبقية موظفيها نتيجة للتدهور الاقتصادي مما جعلها تستخدم نظام الاقطاع والذي بموجبه تكون الأرض ملكاً للدولة ووارِدها لصاحب الاقطاعية لتعويضه عن رواتبه وسد حاجته المعاشية [٥] . وأصبح هناك ديوان خاص بأمر الاقطاعات مركزه بغداد أطلق عليه " ديوان المقاطعات " يتولاه الناظر أو الكاتب وأحياناً العامل [٦] .

إنّ كثرة اقطاعات الناصر لدين الله من الأراضي الديوانية (الخراجية) يدل على سعة هذا الصنف من الأراضي في عهده ، وأنه كان أكثر خلفاء بني العباس المتأخرين اقطاعاً للأراضي [٧] . ففي سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م اقطع الخليفة الناصر لدين الله ، ابن عبد الله بن الوكيل قرية جللتا [٨] بما يجري معها من أعمال خراسان وأنفذ نوابه إليها . وكان مقدار الحاصل السنوي لهذا الاقطاع عشرة آلاف دينار [٩] ، وأقطع للأمير فلك الدين أبي المظفر سنقر بن عبد الله الناصري المعروف بالطويل (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م)

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٩٤ . ١٩٧ .
(٢) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٤٠ .
(٣) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٤٧ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٢٤ .
(٤) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٨) ، ص ٨٩ .
(٥) الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ٧٨ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٢ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ، ٩ / المقدمة ض ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ / ٩٠ . ٩١ .
(٧) ابن كثير : البداية ١٣ / ٦٦ ؛ الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص ٩٧ .
(٨) **جللتا** : قرية مشهورة من قرى النهروان بطريق خراسان . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣٤٢/١.
(٩) محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق : حسن حبشي (القاهرة ، دار الهنا للطباعة ، ١٩٦٨) ص ٢٠٥ . ٢٠٦ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٣٤ .

ثلاث مناطق هي " دقوقا وتكريت وبين النهرين " [١] . والأمير " أي آبه " ابن عبد الله التركي المعروف بالشاهين اقطع واسط [٢] مدة من الزمن ، والأمير طغرل الناصري قطع اللحف والبندنيجين [٣] . وكذلك اقطاعه معاملة الحدادية [٤] من أعمال واسط وقوسان [٥] للأمير التركي آق سنقر (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م) الذي أقطعها الخليفة المستنصر بالله للأمير الطبرسي الظاهري المعروف بالدويدار الكبير التي كان واردها السنوي ثلاثمائة ألف دينار [٦] .

وقد يكون الاقطاع شكلاً خاصاً من أشكال التولية الادارية ويكون المقطع مسؤولاً عن ارسال واردات الاقطاعية إلى الخلافة بعد أخذ نصيبه منها ، فقد ولى الخليفة الناصر لدين الله الأمير وجه السبع الكوفة اقطاعاً في ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م [٧] .

وظهر الاقطاع العسكري الذي يعد صيغة من اقطاع الاستغلال الذي يعني اعطاء العسكري قطعة من الأرض ، بشكل مرحلي يكون دخلها معاشاً له وعوضاً عن الراتب المفروض له في ديوان الجيش [٨] .

٢ . اقطاع التمليك :

وهي الأرض التي تكون لصاحبها ملكية تامة ، ويعطى عادةً من الأرض الموات لاحيائها او من أرض توفي صاحبها دون وارث [٩] . ويمكن أن تكون اقطاع الأرض وراثياً [١٠]. وتمنح للمقربين للخليفة من أهله وجواريه،فتذكر المصادر أن

---

(١) **بين النهرين** : أحد كور الجانب الشرقي لريف بغداد . ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ق ٣ / ٥٠٠ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٧ . ٢٨ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٣٤ .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٢٩ ؛ جعفر حسين خصباك : العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٥٦ . ٧٣٦ هـ / ١٢٥٨ . ١٣٣٥ م ، الطبعة الأولى (بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٨) ، ص ١٠٠ .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٣٠ ؛ خصباك : العراق ، ص ١٠٠ .

(٤) **معاملة الحدادية** : قرية كبيرة من أعمال واسط . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٢٢٧ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٥٦٦ ؛ خصباك : العراق ، ص ١٠١ .

(٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٥٣٥ ؛ ابن واصل : مفرج ١ / ١٩٦ .

(٩) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٩٦ .

(١٠) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٦٠ ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٦ . ١٨٧ .

الخليفة المستنصر بالله اقطع (شاهان) جاريته التي لها منزلة كبيرة عدة قرى وأراضي واسعة فكان لها ديوان ووكلاء واشتهرت بالثراء الفاحش (١) .

وفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م تم اقطاع منطقة طريق خراسان والخالص (٢) والراذان (٣) إلى عميد الدين بن عباس (٤) . واقطع الخليفة المستعصم بالله الأمير قيران الناصري (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) الكوفة (٥) .

ب . الضمان :

ويراد بالضمان تعهد شخص ما بدفع مبلغ معين من المال لخزينة الخلافة سنوياً مقابل السماح له بجباية ما يستطيع من أهل ولايته (٦) ، حيث كانت حاجة الخلافة إلى المال لتغطية مصروفاتها سبباً في انتشار الضمان الذي كان معروفاً في ادارة الدولة العباسية في أواخر عهدها (٧) ، وبموجبه كان يتم تحديد المنطقة المراد ضمانها للشخص ومقدار المبلغ الذي يتعهد بدفعه (٨)، وغالباً ما يكون الضامن من الأمراء لأستئثارهم بالأموال .

وقد يتخذ اقطاع الضمان شكلاً آخر يتم بموجبه تحديد المنطقة المراد ضمانتها للشخص الذي يتحلى بالنزاهة ويتصف بالولاء والاخلاص للخلافة كما حصل ذلك في عصر الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٩٧ هـ / ١١٩١ م إذ عقد ضمان البصرة على الأمير عماد الدين طغرل وحدد مقدار الضمان بما قيمته (١١٥) ألف دينار (٩) ، وكان

---

(١) ابن الساعي : نساء الخلفاء ، تحقيق : مصطفى جواد (القاهرة ، د . ت) ، ص ١١٩ . ١٣٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ٢ / ٥٩٩ ؛ الجميلي : المستنصر بالله ، ص ٧٩ .

(٢) **الخالص** : كورة عريقة من شرقي بغداد إلى سور بغداد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣٣٩/١ .

(٣) **الراذان** : راذان الأسفل وراذان الأعلى كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣ / ١٢ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٨٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .

(٦) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بغداد ، مطبعة السريان ، ١٩٤٥) ، ص ١١١ .

(٧) الصابي : الوزراء ، ص ٩ وما بعدها ؛ الهمداني : تكملة ، ص ٢٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ١٢٥ . ١٢٦ .

(٨) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ق ٣ / ٥١١ . ٥١٢ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ٢ / ٧٤٢ . ٧٤٣ .

هذا النوع من الضمان يخلو من أسلوب الظلم والحيف في جباية الأموال ، وكان يرسل فضلاً عن ذلك التحف والهدايا إلى الخليفة [1] .

وفي سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣ / عقد على سنجر بن عبد الله البكلكي ضمان البندنيجيين [2] وفي سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م عقد ضمان ولاية الجبل على الأمير سر اسنقر وخلع عليه بعدة كاملة [3] . أما قوسان فقد ضمنها الأمير فلك الدين محمد بن الدويدار الكبير بمبلغ (١٢٠) ألف دينار [4] . وكان ديوان المقاطعات يختص بجباية الأموال من الضامنين وكان يتولاه الناظر أو الكاتب [5] .

ج . الأراضي الوقفية :

الوقف في اللغة معناه : الحبس والمنع وجمعه وقوف أوقاف ، أما معناه في الشرع فهو إزالة ملك لغير مالك من غير اتلاف ، وسمي وقفاً لأن المالك وقف تصرفه فيه ، وقيل لأن الموقوف عليه لايتصرف في ذلك ، وبهذا سمي حبس لأنه محبوس [6].ويقصد بالوقوف الأراضي التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية ويكون واردها للأماكن الدينية والتعليمية المقدسة أو للمجاهدين أو للفقراء والمحتاجين أو اليتامى والمنافع العامة [7] ، وكان هناك ديوان خاص يسمى " ديوان الوقف " يعنى بأمر تلك الأراضي [8] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ٢ / ٧٤٢ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٦٧ .

(٢) **البندنيجيين** : بلدة مشهورة في طريق النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٤٩٩ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧٥ ، ٦٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٠٣ .

(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٨٢ ؛ فاضل عبد اللطيف الخالدي : النظم في العراق في أواخر العصر العباسي ٤٤٧ . ٦٥٦ هـ / ١٠٥٥ . ١٢٥٨ م ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة القاهرة . كلية الآداب ، ١٩٧٢) ، ص ٢٠٩ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب ١١ / ٢٧٧ . مادة (وقف) .

(٧) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٣٦٤ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٥٧ .

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ١٢ / ١٢ . ١٥ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٤١ .

لقد أوقف المسلمون الوقوف الكثيرة على أماكن التدريس المختلفة كالمدارس ودور القرآن ودور الحديث والمشاهد وخزانات الكتب والمستشفيات [1] ، وكذلك الانفاق على الطلبة والعلماء الذين يشدون الرحال إلى المراكز العلمية في بغداد ومدن العراق . فهو فعل خير ثوابه عند الله ﷻ [2] .

د . ملكيات فردية :

على الرغم من ان الملكيات الفردية كانت معروفة في الخلافة العباسية إلّا أنها كانت على نطاق محدود وقليلة ، لأن الملكية العامة للدولة . وغالباً ما تكون هذه الملكية لأفراد من الأعيان والوجهاء وهي تشمل البساتين والزروع في القرى وتنتقل الملكية بعد وفاة اصحابها إلى ابنائهم . وكان أرباب الضياع يسكنون المدن أيضاً ، ينوب عنهم آخرون في ادارة املاكهم [3] .

وفي أواخر العصر العباسي عرف نوع من الملكية سمي بـ " أملاك التناء " وهم ملاكون صغار يزرعون اراضيهم ويقيمون في القرى والمزارع ، وهذه الأراضي كانت موضع عناية ، وهي أراضي غنية ذات خصوبة كبيرة وخيرات وافرة [4] . وقد ذكر قسم من هذه الأراضي في عدد من مناطق نهر عيسى ونهر الملك والأنبار وهيت. وكان الهدف الأساسي من منح هذه الملكيات هو احياء الأرض وزراعتها والعناية بمشاريع الري عليها [5] . وقد تعرضت الكثير من أراضي التناء للفيضانات والكوارث الطبيعية فأتلفت المحاصيل الزراعية [6] .

هـ . ضياع الخلافة :

---

(١) نجم : الأوضاع الأقتصادية ، ص ٦٩ ؛ للمزيد ينظر : ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢١١ ؛ تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ق ١ / ١٣١ــ ١٣٢ ، ١٩١ / ج ٤ ق٢ / ٧٤٨ ؛ الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٧٩ .

(٢) فوزي أمين يحيى الطائي : الخدمات الوقفية في العراق وبلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٩٧) ، ص ١٦ ،

(٣) للمزيد من المعلومات . ينظر : الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ٢٠٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٩٣ ، ٦١٥ .

(٤) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٧٣ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٥٠ .

(٥) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٤٣ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩٩ .

وهي أملاك تعود للخليفة العباسي [١] ، وتكون خاصة به وعدت من بيت المال الخاص ، وكانت تسمى قديماً " صوافي الامام " [٢] ، وأملاك الخليفة مرتبطة

بالمنصب لا بالشخص ، فالخليفة يستطيع التمتع بهذه الأملاك كما يريد طالما هو في منصب الخلافة ، فإذا خلع من منصبه فإنه لا يحتفظ بتلك الأملاك ويفقد حق الاستفادة منها ، بل تنتقل للخليفة الذي يعقبه [٣] . ويذكر أن عدداً من قرى بغداد . منها حربي وصريفين من أعمال الدجيل . هي من خاص الخليفة المقتفي لأمر الله (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) [٤] . وللخليفة الحق في البيع والشراء وتعيين الموظفين لادارتها [٥] .

ففي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م اشترى الخليفة الناصر لدين الله بستان تاج الدين ابن رئيس الرؤساء في الجانب الغربي لبغداد من أولاده بمقدار ثلاثمائة ألف دينار [٦] . ويذكر أحد الباحثين إلى اختفاء ملكية الخلفاء الذين اعقبوا الناصر لدين الله بالحكم ، إذ لم يشر إلى وجود عقارات أو أراضي خاصة بهم [٧] ، ويعود السبب في ذلك حسب رأيه إلى شعور الخلفاء بمسؤوليتهم الكبيرة في الخلافة واستثمار غالب ضياعهم في المشاريع الخيرية والاتجاه نحو السيطرة التامة على معظم الأراضي لاستثمارها في الصالح العام [٨] . إلاّ أنّ ما تناقلته المصادر عن الثروات الطائلة الخاصة لعدد من خلفاء هذه المدة ومنهم المستعصم بالله ينفي هذا الاستنتاج . علماً أن ضياع الخلافة كانت تدار من قبل ديوان خاص يدعى بـ " ديوان المقاطعات "وكان يسمى أيضاً بـ " ديوان الضياع والنفقات " .

٢ . نظام الري :

(١) الصابي : الوزراء ، ص ١٥١ ؛ مولوي حسيني : الادارة العربية، ترجمة : ابراهيم العدوي (القاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، ١٩٥٨) ، ص ٣٠٤ .

(٢) يحيى بن سليمان القرشي ابن آدم : الخراج ، صححه وشرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية (القاهرة ، المطبعة السلفية ١٩٦٤) ، ص ٢٢ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٤٧ .

(٣) صالح أحمد العلي : بغداد مدينة السلام (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٥) ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ؛ العلي : معالم بغداد الادارية والعمرانية (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨) ، ص ٢٢ ؛ الياس : الاقطاع ، ص ٤١ . ٤٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٤٣ ، ٤٥ .

(٥) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٧٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

(٧) ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٤٨ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ٢٤٨ .

وجّه الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأخير عنايتهم صوب الأنهار والقنوات المتفرعة من نهري دجلة والفرات ، ويمكن تحديد الأنهار التي تتفرع من نهر دجلة على وفق ما يأتي : نهر القورج وهو نهر يقع بين القاطول وبغداد مأخذه من نهر دجلة قرب قرية العلث ويبلغ طوله (٨٠)كيلو متراً [١] . ونهر القاطول ويخرج من دجلة عند قصر المتوكل المعروف بالجعفري ويسير بين القرى والبساتين ويسقيها ويصب في دجلة تحت جرجرايا من الجانب الشرقي [٢] ، ونهر الدجيل الذي يتفرع من الجهة اليمنى لنهر دجلة [٣] . وعندما زار ابن بطوطة [٤] العراق وصف الدجيل حيث قال : " الدجيل قناة تأخذ من دجلة وتروي عدداً كبيراً من القرى " .

أما نهر الاسحاقي فانه يجري إلى الشمال من نهر الدجيل ويتفرع من دجلة أسفل مدينة تكريت [٥]، والنهروان الذي كان نهراً واسعاً يفوق كل من أنهار الجانب الغربي حجماً وطولاً وهو نهر قديم يتفرع من الجانب الأيسر لنهر دجلة بالقرب من سامراء فيصب جنوب بغداد [٦] ، ويبلغ طوله أكثر من مائتي كيلو متر [٧] ، وهناك أنهار أخرى منها نهر الخالص [٨] ونهر جلولاء الذي يمر من وسط بعقوبة [٩] .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ١٩٨ ؛ ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣ / ١١٣٢ ؛ محمد رشيد الفيل " **الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد اثناء الحكم الايلخاني** " ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٦ (بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٦٣) ، ص ٣٠٥ .

(٢) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٥ ؛ **والقاطول** : نهر كان في موضع سامراء حفره الخليفة الرشيد وسمّاه أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الأرضين وجعله لأرزاق الجند . ينظر : ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣ / ١٠٥٧ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٤٤٣ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٥٢ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد اللواتي ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) (بيروت ، دار التراث ، ١٩٦٨) ، ص ٢٢٧ .

(٥) أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي : بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق : خوان قرنيط فينيس (المغرب ، تطوان ، ١٩٥٨) ص ٩١ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٧٧ . ٧٨ .

(٦) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٥٥ .

(٧) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧ ؛ صبري فارس الهيتي : " **أنهار بغداد** " ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الرابع (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٧ .

(٨) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٥٥ .

(٩) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ١ / ٣٤٣ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٥٠ .

ويتفرع من نهر الفرات عدة أنهار تصب في دجلة وهي : نهر عيسى ويتفرع منه عدة أنهار تخترق بغداد [١] ، ونهر صرصر الذي يخرج من تحت نهر عيسى [٢] ويجري في سواد العراق بين بغداد والكوفة [٣] ، ونهر الصراة ويسقي البساتين التي على جانبي بغداد ويصب في دجلة عند باب البصرة [٤] . ونهر الملك ويخرج من تحت نهر صرصر [٥] ويسقي مزارع كثيرة ويصب في دجلة أسفل المدائن [٦] ، ونهر كوثي وهو من الأنهار القديمة يخرج من تحت نهر الملك [٧] ، ويسقي سواد العراق ويصب في دجلة أسفل المدائن [٨] .

أ . حفر وكري الأنهار :

ذكر عن خلفاء هذه المدة عنايتهم بحفر وكري الأنهار كما فعل الخليفة المستنجد بالله سنة ٥٦٣ هـ، / ١١٦٧ م بكري نهر دجيل [٩] ، وفي خلافة الناصر لدين الله وبعد نقصان نهر دجلة في سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م أمر الخليفة بكري نهر دجلة [١٠] .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ٣٢٢ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٢ .

(٢) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٢ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٣٩٩ ؛ خصباك : العراق ، ص ٩١ .

(٣) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٢ .

(٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٢ ؛ الفيل : الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد ، ص ٣٠٧ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣ / ٤٠١ ؛ أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٣ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٤٧ .

(٦) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣ / ١٤٠٦ ؛ ياسين خير الله العمري : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص٤٤ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٣ . ٩٤.

(٧) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٣ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٤ .

(٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٨٧ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٤٨ .

(٩) ابن الكازروني : المختصر ، ص ٢٣٤ ؛ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،عني بتحرير نصه ونشره : حسن محمد الشماع (البصرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٦٧ . ١٩٦٩ . ١٩٧٠) م ٤ ج ١ / ٢ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٩٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٣٥ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٩١ .

وعني الخليفة المستنصر بالله بشؤون وتحسين الري والزراعة حيث قام بحفر نهر جديد يأخذ مياهه من نهر الدجيل سمي بـ " دجيل المستنصري " [١] وبنى على هذا النهر القنطرة المعروفة بـ " جسر حربي " عند مدينة حربي [٢]، في الجانب الغربي من دجلة بين سامراء وبغداد وذلك في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م [٣] .

ويذكر أبو الفداء [٤] انه كان يوجد في جنوب العراق وفي منطقة البصرة لوحدها الكثير من القنوات الاروائية ،وكانت الخلافة العباسية تراقب وتسجل مناسيب المياه وفق مقياس خاص يسجل ارتفاع الماء وانخفاضه تحسباً للفيضانات [٥] .

ب . القنوات الاروائية :

يوجد في العراق شبكة من القنوات أهمها تلك التي تقع شمال بغداد عند مدينة سامراء حيث تتفرع من دجلة والفرات وتشكل شبكة للطرق النهرية ، فضلاً عن الاستفادة منها للأغراض الزراعية ،فتحمل مياه الفرات إلى دجلة في القسم الأعلى ومياه دجلة إلى الفرات في القسم الأسفل [٦]

وفي منطقة شط العرب توجد قناتان كبيرتان العليا وهي الشمالية الشرقية وتسمى نهر معقل ، والثانية وهي الغربية الجنوبية وتسمى نهر الأبلة [٧] . وكانت أهم قناة على الضفة الشرقية لشط العرب نهر بيان حيث تربط دجلة السفلى بدجيل الأحواز ويعرف الآن باسم الكارون وتقع عبادان عند مدخل هذا النهر [٨] . واستخدمت هذه القنوات لمدة طويلة ، وتعرض قسم منها للتخريب بسبب اهمال الخلافة لمشاريع الري .

---

(١) أحمد سوسة : ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، الطبعة الأولى (بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٨ . ١٩٤٩) ٣ / ١٨١ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٩٢ .

(٢) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٢٦٧ ؛ الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٥٨ .

(٣) الجميلي : الخليفة المستنصر بالله ، ص ٧٧ .

(٤) تقويم البلدان ، ص ٥٦ .

(٥) أحمد سوسة : " **الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي** " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العاشر (بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٣) ، ص ٤٠ .

(٦) هارتمان : دجلة ، دائرة المعارف الاسلامية ، م ٩ / ١٥١ .

(٧) القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٨٦ . ٢٨٧ ؛ شمس الدين أو عبد الله محمد أبو طالب شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك ، ١٩٢٣) ، ص ٩٧ . ٩٨ .

الأبلــة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة من زاوية الخليج الذي يدخل مدينة البصرة وهي أقدم منها . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ١ / ١٨ .

(٨) هارتمان : دجلة ، دائرة المعارف الاسلامية ، م ٩ / ١٥٣ ؛ نجم : الأوضاع الأقتصادية ، ص ٥٣ .

ج ـ بناء السدود والسكور [١] وسد البثوق [٢] :

أدركت الخلافة العباسية خطر فيضان الأنهار وأثره الكبير في المحاصيل الزراعية وحياة المواطنين والبلاد بصورة عامة ، لذلك أولت عنايتها ببناء السدود والسكور [٣] ، ويذكر سوسة [٤] عن وجود آثار سدين ضخمين أحدهما في مضيق جبل حمرين ،والثاني على بعد بضعة كيلو مترات جنوباً ، وهذا يشير إلى أن أحد السدين قد انهار فبنى سد آخر ليحل مكانه .

وكانت الخلافة العباسية قد عنيت ببناء السدود خلال عصورها المختلفة ، ففي عصر الخليفة المستظهر (٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٨ م) أنشأ سوراً وخندقين يتصل بنهر دجلة عند بغداد من شمالها حتى جنوبها وأكمل انشاءه في عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ ـ ٥٢٩هـ / ١١١٨ ـ ١١٣٤م) فأتم بناءه بناءً محكماً سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م وجعل عرض السور (٢٢)ذراعاً [٥] .

وكان سد ترابي ضخم على نهر دجلة جنوب سامراء يعرف باسم " سد نمرود " ومن أمام هذا السد كان يأخذ جدول النهروان في الجانب الشرقي من النهر فيسحب مقادير غير قليلة من مياه فيضان دجلة وكانت له مصارف تصب في دجلة جنوب بغداد [٦] .

وفي خلافة المستنصر بالله تم اصلاح سد ديالى والعظيم [٧] ، وفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م أمر الخليفة المستعصم بالله ببناء سد على فم نهر عيسى مما يلي دجلة ليزداد ماء النهر [٨] ، وفي سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م أمر ببناء سد على شاطيء دجلة عند بستان الصراة [٩] ، وكان ديوان الخراج يتولى العناية بصيانة السدود [١] .

---

(١) **السكر** : كل شق صدر ، وهو سد لشق ومنفجر الماء أيضاً . ابن منظور : لسان العرب ، مادة (سكر) ٤ / ٣٧٥ .

(٢) **البثوق** : مفردها البثق ، منبعث الماء ، أي ما يخرقه الماء في جانب النهر . ابن منظور . لسان العرب مادة (بثق) ١٠ / ١٣ .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٣٠ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣١٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ١٧٦ .

(٤) الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي ، ص ٣٥ .

(٥) سوسة : الفيضان وغرق بغداد ، ص ٥٨ .
الذراع : يساوي ٥٤.٠٤ سم . هنتس : المكاييل ، ص ٨٣ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٥ . ٣٦ .

(٧) عيسى سلمان : الأوضاع الاقتصادية ، نشر ضمن كتاب " العراق في التاريخ " (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٣) ، ص ٤٦٨ .

(٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٩٨ . ١٩٩ ؛ الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٥٨ .

(٩) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢١٠ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٥٥ .

فضلاً عن ذلك فقد عنيت الخلافة العباسية ببناء السكور ، وكانت تستعين بعدد كبير من المهندسين لبناء تلك السكور ، واصلاح القورج الذي كان دائماً يهدد بغداد بخطر الفيضان وجرت محاولات عديدة لاصلاحه ، وخلال السنوات ٦٢٢ هـ /١٢٢٥م [٢] و٦٤٦ هـ /١٢٤٨ م [٣] ، و٦٥٤ هـ /١٢٥٦م [٤] ،وقامت الخلافة في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م ببناء سور بغداد لتفادي خطر الفيضان [٥] ، وفي سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م تم انشاء سد حول الرصافة للغرض نفسه [٦] ، وفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م وعندما هدد دجلة بغداد بالغرق أمر الخليفة المستعصم بالله نائب الوزارة بملازمة القورج لاحكامه وضبطه،وأطلق من الديوان ذهباً لاقامة الرجال بما يكفيهم ولزوم العمل ليلاً ونهاراً [٧] .

د ـ وسائل الري :

كانت المزروعات تروى عن طريق ثلاث حالات للسقي ، الأولى : السقي سيحاً ، ثم السقي بالمطر، وما نطلق عليه بالأراضي الديمية ، وأخيراً الأراضي التي تسقى بواسطة الآلات الرافعة لسحب المياه من الأنهار ، واستخدمت هذه الآلات قديماً ، وكان قسم منها واسع الانتشار في هذه المدة منها الدواليب [٨] ، وتستعمل لسقي الأراضي العالية [٩] .

أما النواعير [١] فكانت تستعمل في منطقة النهروان وفي غرب بغداد ، وكانت تستخدم على نطاق واسع وتسقي الكثير من الأراضي الزراعية [٢] . وكانت تستخدم الدوالي

(١) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٥ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٤٩ .
(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٦٤ . ٥٦٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ . ٦١٦ .
(٥) ابن كثير : البداية ١٣ / ١٩ .
(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦ .
(٧) فضل الله رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، ترجمة : محمد صادق نشأت وآخرون (القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٠) م ٢ ج ١ / ٢٦٢ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣١٧ . ٣١٩ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٦٥ . ٦١٥ .
(٨) **الدواليب** : مفردها دولاب ، وهو عجلة مائية ، وهو نوعان ، الأول : يديره ثور (أو حصان أو جمل) ، والثاني : يديره ثوران ، ويروي الأول (٧٠)جريباً من المزروعات الشتوية و (٣٠) جريباً من المزروعات الصيفية . أما النوع الثاني فيروي (٧٠)جريباً من غلات الصيف و(١٥٠) جريباً من مزروعات الشتاء .
الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٧٣ .
الجريب : يساوي ١٥٩٢ م٢ . أنظر : هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٩٦ .
(٩) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤٦ .

(٣) والشواديف (٤) في منطقة قناة صرصر من السواد (٥) . فضلاً عن الغرافات (٦) والمنجونات (٧)،وقد بنيت القناطر على كثير من أفواه القنوات لتنظيم توزيع الماء ولرفع مستواه في القنوات الفرعية لتسهيل السقي سيحاً (٨) . ويذكر ابن جبير (٩) " كثرة القناطير ...فلا تكاد تمشي ميلاً إلاّ وتجد قنطرة على نهر متفرع من الفرات ، فتلك الطريق أكثر الطرق سواقي وقناطير " .

أما منطقة البصرة فلها نظام خاص للري ، وكانت فيها شبكة من القنوات تأخذ ماءها نتيجة دفع مياه المد فتروي الحقول والبساتين (١٠) .

---

(١) **النواعير** : مفردها ناعور ، وهو دولاب يديره تيار النهر ، وهو أسرع من الدولاب ويحمل الناعور كيزان لرفع الماء، وللناعور الكامل ثمانون كوزاً يسع كل منها خمسة عشر رطلاً ويصب في كل دورة (١٢٠٠) رطل ، ويمكن للناعور أن يروي (٣٥٠ . ٤٠٠) جريب من غلات الشتاء و (٨٠) جريباً من غلات الصيف .
الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٧٣؛
الرطل : يساوي ٧.٦٥٠ لتر. هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٨٣ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٨٢ ؛ ي . أ . بيليايف : (الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية) ، ترجمة : جليل كمال الدين ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الثالث ، أيلول (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٣) ، ص ٣٥ .

(٣) **الدوالي** : مفردها دالية ، وهي دولاب يشغله الرجال وهي ثلاثة أنواع منها حسب طول زرنوقها وحجم دولابها وهي :
١ . **الفارسية** : وطول زرنوقها (٢٤) ذراعاً ويشغلها ستة رجال .
٢ . **الكوفية** : وطول زرنوقها (٢٢ . ٣٠) ذراعاً ويشغلها سبعة رجال .
٣ . **والدالية المحدثة** : وطول زرنوقها (٧ . ٩) أذرع .
وتعمل دلاء الدوالي من بواري تخاط بصورة مضاعفة .
ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٥٠٩/٢؛ للمزيد أنظر: الدوري تاريخ العراق الاقتصادي، ص٧٣ .

(٤) **الشواديف** : وهو دلوا يصنع من البواري ويشبه دلو الدالية ، ويحتاج إلى أربعة رجال لتشغيله ، ويسقي أربعة أجربة في اليوم ويزرع عليه في الشتوي (٧٠) جريباً وفي الصيف (٣٠) جريباً .
الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٧٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٧٤ .

(٦) **الغرافات** : غرفت الماء باليد أو بالمغرفة وهي آلة لرفع المياه تصنع من جلود رقيقة يؤتى بها من البحرين . ابن منظور : لسان العرب ١ / ١٧٠ . مادة (غرفة) .

(٧) **المنجونات** : المنجون الدولاب التي يستقي بها والمنجون أداة الساقية التي تدور زائداً المنجون البكرة . ابن منظور : لسان العرب ١٧ / ٣١٢. ٣١٣ . مادة (نجن) .

(٨) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٦٠ .

(٩) الرحلة ، ص ١٧١ .

(١٠) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٨١ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٢٥ .

هـ . المحاصيل الزراعية :

اعتمد الفلاح العراقي على الأساليب الزراعية القديمة ، وكانت تلك الأساليب والطرق على غاية من الدقة والكفاءة بحيث كانت تجاربها العملية نافعة [١] .

وكانت طريقة المناوبة في الزراعة شائعة ، فكان يزرع نصف الأرض ويترك الثاني دون زرع [٢] ، وكانت الأرض تحرث بالمحراث الخشبي البسيط تجره الثيران أو البقر ، لذلك كان يمنع ذبح البقر بهدف زيادتها واستعمالها في الحرث [٣] ، واتخذت اجراءات رسمية في عهد الخليفة الناصر لدين الله تمنع ذبح البقر بهدف الاستفادة منها في الأغراض الزراعية [٤] " فلا مندوحة للفلاح من البقر " كما يقول الدمشقي[٥] . واستخدم الفلاح العراقي المسحاة والكرك وكان يستعمل المنجل للحصاد [٦] . وكانت للتسميد أهمية خاصة في الزراعة [٧] ، يقول الجاحظ [٨] : " إنّ كل شيء من الخطر لا يصلح ولا يزكو إلاّ بالزبل والسماد " .

واستخدم الفلاح العراقي عدداً من الوسائل لمكافحة الحشرات ولا سيما الجراد ، كما حصل في العراق في السنوات ٦١٩ هـ / ١٢٢١م [٩] و ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م [١٠] . و ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م [١١] و ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م [١] ظهر جراد كثير وأهلك كثيراً من المحاصيل الزراعية ، حاول الفلاحون دفعه بواسطة الطبول والأبواق [٢] .

---

(١) ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٧٣ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٧٧ .

(٣) اخوان الصفا : رسائل اخوان الصفا (بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٥٧) ١ / ٢١٧ ؛ الأعظمي : الزراعة ،، ص ٢٦٠ .

(٤) ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٧٥ .

(٥) الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٣٨ .

(٦) رسائل أخوان الصفا ١ / ٢١٧ .

(٧) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (بيروت ، دار المشرق ، د . ت) ١٤ / ١١٩ ١٢٠ ؛ آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) ٢ / ٣٣٨ . ٣٣٩ .

(٨) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الدلائل والاعتبار في الخلق والتدبير، نشره : الطباخ (حلب ، ١٩٢٨) ، ص ٢٥ .

(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ / ٦١٩ ؛ الآعظمي : الزراعة ، ص ٢٦١ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤١٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٩٥ ؛ الأعظمي : الزراعة ، ص٢٦١ .

(١١) ابن الآثير : الكامل ١٢ / ٤٢٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٠٠ .

أما أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في العراق فهي :

١ . **الحبوب** . كانت الحنطة والشعير والرز أهم الحاصلات الزراعية في العراق ، وتركزت زراعتها في الجانب الغربي من بغداد [٣] ،وانتشرت زراعة الشعير في مناطق متفرقة من العراق أهمها منطقة الدجيل [٤] والحلة [٥] ، ويزرع الرز في منطقة البطيحة وفي واسط وقرب الكوفة،ويزرع السمسم حول منطقة تكريت [٦]، فيما انتشرت زراعة القطن وقصب السكر في البصرة [٧] .

٢ . **الفواكه والثمار** . تشكل زراعة النخيل نسبة كبيرة من المحاصيل الزراعية في العراق ، وكانت منطقة البصرة أهم مركز لزراعته ، وكانت تنتج أنواعاً مختلفة من التمور لا مثيل لها في أي مكان [٨] . وتوجد بساتين بكثرة حول الكوفة ، يقول ابن جبير [٩] : " والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة ويتصل سوادها ويمتد امتداد البصر "ويوجد النخيل في بعقوبة أيضاً [١٠] .

ويزرع العنب في العراق بكثرة ، وهناك أنواع متعددة منه أدخله العرب إلى العراق من الطائف ، وكانت البصرة مشهورة بجودة برتقالها وليمونها [١١] . أما ليمون بعقوبة فكان غاية في الجودة إلى درجة يضرب بها المثل ويعرف

---

(١) ابن كثير : البداية ١٣ / ١٠٦ .

(٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٧٢ ؛ الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٦١ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٢٠ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٨٠ .

(٤) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٧٨ .

(٥) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ١٧١ .

(٦) المقدسي : أحسن التقاسم ، ص ١١٣ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٦٩ .

(٧) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٧٣ .

(٨) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٧٩ .

(٩) الرحلة : ص ١٦٩ .

(١٠) الحموي : معجم البلدان ١/ ٤٥٣ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ /٦٣٣ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين، ص١٤٢ . أنظر : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر، مطبعة السعادة ، ١٩٤٨) ٢ /٤٣٨.

(١١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٤٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ١ / ٣٧١ .

باسمها " الليمون البعقوبي " [1] . كما ذكر زراعة الخوخ والاجاص والمشمش والسفرجل والرمان ولا سيما في بغداد والدجيل [2] .

٣ . **الخضراوات والبقول** . كانت الخضراوات والبقول تزرع في العراق وقد تميز الفلاح العراقي بزراعة أنواع الخضراوات والبقول [3]، مثل الباقلاء واللوبيا والحمص والباذنجان والسلق والفجل والثوم والبصل والقرنبيط والشلغم ، وانتشرت زراعتها في بغداد ونواحيها ، وفي مختلف أنحاء العراق [4] .

٤ . **الأزهار والرياحين والنباتات الطبية** . كان الورد أحب الأزهار عند العرب [5] ، ويعد فصل الربيع فصل الأزهار والرياحين في العراق [6] ، وفي القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد كان الورد والبنفسج يعدان أفضل الرياحين [7] . وقد ذكر القلقشندي [8] أنواع الأزهار والرياحين التي كانت تزرع في العراق مثل الياسمين والنرجس والورد الجوري والقرنفل .

وهناك نوع من النبات يكثر وجوده ببوادي بغداد وهو النوع الأحمر من السوسن البري ويسمى ببغداد " النافوخ " كان المنّ منه يباع يابساً بثلاثة دراهم[9] . وهناك نباتات طبية تزرع أو تنمو نمواً برياً في العراق مثل البابونج والحرمل والانسون والخشخاش والخروع وورد الجمار [10] . وكانت معظم هذه النباتات تدخل في صناعة العطور والأدوية وماء الورد المنتشرة في مدن العراق ، ولاسيما بغداد والبصرة .

---

(١) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص ٧٤ .

(٢) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٧٤ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٨٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢١٤ .

(٤) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٧٣ .

(٥) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٦٢ .

(٦) الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٧٣ .

(٧) مصطفى جواد : " **الأزهار والأثمار** " ، مجلة الزراعة العراقية ، م ٨ ج ٢ (بغداد ، ١٩٥٣) ، ص ٣٢٥ .

(٨) صبح الأعشى ٤ / ٣٣٢ .

(٩) ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (القاهرة ، مطبعة محمد باشا توفيق ، ١٨٧٤) م ٢ / ٩٤ . ٩٥ .

المّن : يساوي رطلين والرطل يساوي ٤٠١.٧٨ غرام . هنتس : المكاييل ، ص ٤٦ .

(١٠) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٨٣ .

و . الثروة الحيوانية :

تعد الثروة الحيوانية عنصراً اقتصادياً وذلك من خلال الاستفادة من منتجاتها الغذائية وكذلك امكانية استخدامها في العمل الزراعي ، فضلاً عن الانتفاع من جلودها التي يدخل في صناعات الأحذية الجلدية ، ويشكل سواد العراق مركزاً مهماً في تربية الماشية بمختلف أنواعها (١) .

وتربى الماشية منها الأبقار والأغنام في منطقة الدجيل (٢) وفي خانقين (٣) . ومما يدل على كثرة تربية الماشية والدواجن في العراق أن الخليفة الناصر لدين الله في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م وبمناسبة بناء رباط خصص للفقراء والمسافرين أعداد كبيرة من الغنم والدجاج (٤) . وكذلك فعل الخليفة المستنصر بالله عند افتتاحه المدرسة المستنصرية (٥) .

وتأتي الأسماك بالمرتبة الثانية بعد المواشي والدواجن ، وكانت الأسماك لها أهميتها ببغداد وهي عادة تتركز في الأنهار بخاصة في دجلة والفرات وفي المناطق الجنوبية من العراق ، ولاسيما شط العرب ، كما توجد في البطائح أيضاً (٦) .

وتتأثر المواشي بالظروف الطبيعية فسقوط الأمطار الكثيرة وزيادة مياه الأنهار يلحق الضرر بهلاك أعداد كبيرة منها ، وكذلك انعدام المطر يؤدي إلى الجفاف وقلّة المراعي كما حصل في سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م (٧) و ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م (٨) .

٣ . واقع النشاط الزراعي :

إنّ الاجراءات التي قام بها عدد من الخلفاء بعد التحرر من السيطرة السلجوقية انعكست على انتعاش الزراعة في العراق لبعض الوقت ، يؤكد ذلك ما ذكره الرحالة والجغرافيون الذين زاروا العراق في هذه المدة ، وقد أعجب الرحالة بنيامين التطيلي

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ /٢٤٠ ، ٢٤٧ ؛ فهد : العامة في بغداد ، ص ٧ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٧ ؛ الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٧٨ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٤٠ ، ٢٤٧ .
(٤) نظمي زاده : كلشن خلفا ، ص ١٢١ .
(٥) علي بن أبي الفتح البصري : المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ، ميكروفيلم مصور عن مخطوطة باريس المرقمة (٦١٤٤) محفوظ لدى المكتبة المركزية لجامعة بغداد تحت رقم (٢٢٥) ورقة ٤٥ ب .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٢١ .
(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٢٦ .
(٨) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٢ .

[(١)] الذي زار العراق سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٧ م فقدّم لنا وصفاً عن مدينة بغداد قال : " وتمتد حولها الرياض والحقول وبساتين النخيل مما لا مثيل له " . أما ابن جبير [(٢)] الذي زار العراق سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م فإنه يقدم وصفاً دقيقاً عن أحوال الزراعة في العراق .، فقد ذكر عن مدينة الكوفة قوله أن " الجانب الشرقي فيها كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر " . كما ذكر بأن " الطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها في بسائط من الأرض وعمائر تتصل بها القرى يميناً وشمالاً ويشق هذه البسائط أغصان من ماء الفرات تتسرب بها وتسقيها فمحرثها لا حد لاتساعه وانفساحه " [(٣)] .

وذكر مدينة الحلة وقال : " هي مدينة كبيرة ... وهي قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخيل داخلاً وخارجاً ، فديارها بين حدائق النخيل ... " [(٤)] . ووصف أبن سعيد المغربي [(٥)] الجانب الشرقي من الكوفة " بأنها بلد النخيل " .

لقد ازدهرت الزراعة في عصر الخليفة الناصر لدين الله بشكل واضح لوجود مشاريع الري التي كانت صالحة [(٦)] وتؤدي غرضها بشكل جيد على الرغم مما لاقته هذه المشاريع من تخريب إبان السيطرة البويهية والسلجوقية مثل نهر عيسى [(٧)] ونهر الملك ونهر كوثة وجميعها تأخذ مياهها من الفرات وتجري وتصب في نهر دجلة جنوب مدينة بغداد لتروي المنطقة الوسطى من العراق [(٨)] .

وفي عصر الخليفة المستنصر بالله نشطت الزراعة ، إذ عني بالمشاريع الاروائية وفتح العديد من الأنهار وشيّد القناطر التي تخدم الزراعة وتزيد من كميات الانتاج الزراعي ،

---

(١) بنيامين بن يونه التطيلي الأندلسي : رحلة بنيامين ، ترجمة وتعليق : عزرا حداد ، الطبعة الأولى (بغداد ، المطبعة الشرقية ، ١٩٤٥) ، ص ١٣٩ .

(٢) الرحلة : ١٦٩ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

(٥) كتاب الجغرافيا ، ص ١٥٦ .

(6) Abdul Mnuim Rashad , The Abbasid Caliphate 575 – 656 / 1179 – 1258 (London 1963) P .. 210

(٧) **نهر عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس** : وهو كورة كبيرة وقرى كثيرة غربي بغداد ، يأخذ من الفرات مياهه عند قنطرة دمّما ثم يمر فيسقي المنطقة المحصورة بين بغداد والفلوجة ثم يصب على دجلة عند قصر عيسى بن علي . ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، ٣ / ١٤٠٤ .

(٨) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣ / ١٤٠٦ .

وأشار إلى ذلك ابن الطقطقا [١] ،وقال : " كانت أيامه طيبة والدنيا في زمانه ساكنة والخيرات دارة والأعمال عامرة " .

وفي عصر الخليفة المستعصم بالله تدهورت الزراعة بسبب اهمال الخلافة لمراقبة الري ومنشآتها فخربت السدود وطغت المياه على جانبي الأنهار [٢] . وكذلك حدوث الفيضانات وسقوط الأمطار الكثيرة [٣]، فضلاً عن الخطر المغولي الذي أخذ يهدد البلاد مما أدى إلى ترك الفلاحين حقولهم وهاجروا إلى مناطق بعيدة عن الخطر الذي داهمهم من قبل الجيش المغولي .

فضلاً عن ذلك فقد أسهمت الاجراءات التي اعتمدتها الخلافة في تردي الأوضاع الزراعية إذ أنتوسع الخلافة في منح الاقطاعات تمليكاً أو استغلالاً كان له أثر كبير في مستوى انتاج الأرض لقلّة عناية المقطعين برعايتها ، فضلاً عن ذلك أدى إلى حرمان خزينة الخلافة من مبالغ كبيرة من الأموال التي تعتمد على خراج الأراضي مما كان له أثر في وضعها الاقتصادي الذي استمر إلى نهاية العصر العباسي والذي ازداد بشكل واضح من خلال اقطاعات الخلفاء للأمراء وأرباب الدولة وأن معظم هذه الأراضي استمرت بحوزتهم لسنوات طويلة [٤]. وزادت هذه الاقطاعات بزيادة رواتب الأمراء ، إذ يعين الاقطاع على مقدار الراتب المحدد للأمير ، فعندما زّيد الأمير فتح الدين حسن بن كر الكردي الأربلي في معيشته ألف دينار سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م فإنه سلّم إليه اقطاعاً بهذه المناسبة [٥] .

أما عن شيوع الضمان في هذه المدة فقد مثل مؤشراً على ما كانت تعانيه خزينة الخلافة من عجز ، مما أدى بالخلافة إلى استعجال استحصال الأموال لتغطية نفقاتها ، مما دعاها إلى التخلي عن حقوقها في خراج الأرض للضامن الذي لا يهمه سوى استحصال أموال الضمان ، فضلاً عن الأرباح هناك ما يدفعه إلى استخدام أقسى الطرق في جباية الخراج، فضلاً عن استحداث ضرائب جديدة مما ينعكس على الأرض والفلاح الذي لا يلبث أن يغادر أرضه أو الجائها إلى أحد المتنفذين خلاصاً من هذا الوضع أو مغادرة الأرض عندما يعجز عن استغلالها .

---

(١) الفخري : ٢٦٧ .

(٢) سوسة : فيضانات بغداد في التاريخ (بغداد ، ١٩٦٣) ق ١ / ٣٢٤ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٦٢ ، ٢٧٧ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٤٤ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٥٦ ؛ مجمع الآداب ، ج ٤ ق ٢ / ٩٩٩ . ١٠٠٠ .

(٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٧ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ٢٣٥ .

وإذا كان هذا قد أدى إلى دفع الضامن للعناية بالأرض وضرورة العناية بأمرها بهدف استحصال أكبر قدر ممكن من الأرباح (١) . إلاّ أن هذا لا ينفي لجوء الضامن إلى استنزاف الأرض والتعسف في جباية الضرائب المقررة بل واستحداث أخرى غيرها (٢) ، لذلك ترسل الخلافة مع الضامن كاتباً وناظراً ليكونا بمثابة الشهود على كيفية استحصال مبلغ الضامن (٣) ، وبما أن الضمان يقصد للأمراء ولذوي النفوذ فإن فيه قسوة وعدّه الماوردي من وسائل التملك الفاسد وأكل أموال الناس بالباطل (٤) .

لا شك أن الأوقاف اسهمت بشكل كبير في رفد وإدامة الكثير من المرافق الدينية والتعليمية ، فضلاً عن الجوانب الاجتماعية الأخرى ، إلاّ أن التوسع في هذا الجانب من قبل الخلفاء واسرهم والقائم على تخصيص ملكيات عامة تمثل مواردها أحد مصادر الخزينة وسوء استغلالها في الفترات الأخيرة مما أسهم أيضاً في عجز الخزينة ، وربما هذا ما جعل البعض يتجاوز على هذه الأوقاف ويستحوذ على مواردها .

وهناك تقصير من جانب الخلافة في بناء وترميم السدود ومعالجة الفيضانات . إذ ازدادت مناسيب نهر دجلة سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧م وتعرض بغداد للغرق خرج الخليفة الناصر لدين الله بخاطب الناس متألماً بقوله : " لو كان هذا الماء يرد بمال أو حرب لدفعته عنكم " (٥)، وذكر سداً على نهر الدجيل كان مقاماً أثناء زحف جيش المغول على بغداد فكسروا السد وكان بنواحي الدجيل وكان ذلك في موسم الفيضان فدمر مساحات زراعية واسعة (٦) .

إنّ تكرر الفيضانات إلى حد شيوعها في هذه المدة مؤشراً واضحاً على اخفاق إن لم نقل عجز الخلافة عن إدامة مشاريعها الاروائية وصيانتها ومعالجة اختراقات الأنهار في مواسم ارتفاع مناسيبها من خلال إقامة سدود جديدة أو كري الأنهار والقنوات المائية أسهم بلا شك في خراب مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وتلف المحاصيل ، بما انعكس

---

(١) ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٣٩ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٣٩ .
(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٦ . ١٧ .
(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٦٤ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٣٢ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٥٧ . ٣٥٨ ؛ الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٥٨ .
(٦) ابن العبري : مختصر تاريخ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن الكازروني : مختصر ، ص ٢٧٠ .

سلباً على واردات الخلافة من جهة وقدرتها على القيام بمهامها في توفير المواد الغذائية لرعاياها فشاعت حالات الغلاء وتكررت المجاعات .

وعند حدوث الفيضانات كانت أهم مشكلة واجهت الخلافة في مجال الري إذ انفجرت هذه البثوق ودمرت الأراضي الزراعية [١] . ففي عصر الخليفة المستعصم بالله حدثت فيضانات أدت إلى انفتاح وحدوث البثوق الكبيرة في الأنهار [٢] ، وكانت تتم معالجتها بوضع التراب ليكون بمثابة سد بشكل وقتي ولكن سرعان ما انهار بسبب شدة المياه واندفاعها [٣] .

إنّ كثرة الأمطار وزيادتها الكبيرة كانت سبباً في ارتفاع مناسيب مياة الأنهار ، والتي تشكل مصدر خطر على البلاد يلحق الضرر بالنفوس والأموال والزروع [٤] ، وأدركت الخلافة خطر الفيضانات فأقامت السدود والقنوات على الأنهار، وعلى الرغم من هذه الجهود بقيت الفيضانات مصدر خطر يهدد مدن العراق مما يدل على أن اجراءات لخلافة الوقتية وغير الجدية أدت إلى تكرار الفيضانات بما انعكس سلباً على الزراعة ، وفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م زادت مياه نهر دجلة بسبب الأمطار أدت إلى انكسار سكر القورج فأدى الفيضان إلى غرق عدة نواحي وأتلف المزروعات وغرقت القرى والمنازل " [٥] .

وفي سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م حدث فيضان نهري دجلة والفرات ، ويذكر ابن الفوطي [٦] الذي يعطينا صورة واضحة عن شدة هذا الفيضان : " الذي أخرب أكثر بغداد ولاسيما دار الخلافة ، وتضاعف اجرة المساكن ... وغلت الأسعار وتعذرت الأقوات ... " . وأغرقت عدة نواحي في دجيل ونهر الملك ونهر عيسى والأعمال الفراتية ، كما أغرقت عانة والحديثة وهيت والأنبار والحلة وقوسان وأتلف الكثير من الزروع والأشجار وأهلك

---

(١) بيليايف : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٥ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٣٠ ، ٢٣٢،٢٧٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٦٥ ، ٦٠٠ ، ٦١٥ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٣١ . ٢٣٢ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٦٥ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٠٨ ، ٢٨٥ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤١٢ .

(٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٦٥ ؛ أ . اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عبلة ، مراجعة أحمد غسان سبانو (دمشق ، دار قتيبة ، ١٩٨٥) ، ص ٣١٠ .

(٦) الحوادث الجامعة ، ص ٣٠٣ .

الكثير من الحيوانات [١] . كما أغرقت الكوفة وهدمت بعض دورها [٢] . وأتلف من النخيل سبعين ألف نخلة [٣] . وتهدم أكثر من اثني عشر ألف دار في جانبي مدينة بغداد [٤] .

وفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م حدث فيضان في أواخر عهد المستعصم بالله حيث زادت مياه دجلة زيادة عظيمة ، وانفتحت فتحة في القورج لم يستطع الناس من تداركها وسدها [٥] ، وأغرق الفيضان عدة نواحي من الخالص ونهر الملك ونهر عيسى وغيرها [٦] ، وهدمت دور وأسواق في الجانب الشرقي من مدينة بغداد [٧] ، حتى أن هذا الفيضان يضرب بالمثل عند أهالي بغداد ويسمونه " الغرق المستعصمي " وغمر نصف أرض العراق " السواد " [٨]، ولم تزرع الأرض في تلك السنة وبقيت خراباً [٩] .

فضلاً عن هطول الأمطار وما يرافقه من سقوط برد . ثلج أو " حالوب " كما حصل في السنوات ٦١٣هـ /١٢١٦م [١٠] و٦٤٤ هـ /١٢٤٦م [١١] ، وكان حجم البرد كبيراً [١٢]، ومن الكوارث الطبيعية الرياح الشديدة المصحوبة بالغبار والتي كانت سبباً لهلاك الكثير من الأشجار والزروع [١٣] .

وفي سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م [١٤] و ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م [١٥] ظهر الجراد في أكثر البلاد فأهلك كثيراً من المحاصيل الزراعية فارتفعت الأسعار وحدث نقص في المواد الغذائية .

---

(١) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٠٨ ؛ خصباك : العراق ، ص ٢٤ .
(٢) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٠٩ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٦٠٩ .
(٤) للمزيد ، ينظر : ابن الفوطي : كتاب الحوادث الجامعة ، ص ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ .
(٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦١٤ . ٦١٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ . ٦١٥ ؛ الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٢٩٦ .
(٧) سوسة : فيضان بغداد ، ص ٦٨ ؛ أشتور : التاريخ الاقتصادي ، ص ٣١٠ .
(٨) سوسة : فيضان بغداد ، ص ٦٨ .
(٩) رشيد الدين : جامع التواريخ ، م ٢ ج ١ / ٢٦٢ .
(١٠) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٥٤ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٤ .
(١٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٢٢٦ .
(١٣) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣١٥ .
(١٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٩٥ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

يتضح مما سبق أن فيضانات دجلة والفرات أخذت تتكرر في هذه المدة ، وكان تأثيرها في الأراضي الزراعية واضحاً ، وكانت سبباً في قلّة الانتاج وانخفاض مستوى المعيشة لارتفاع الأسعار (١) ، وهي مظهر من مظاهر ضعف الخلافة واهمالها نظام الري وعدم عنايتها به ، وكانت عاملاً من عوامل التدهور الاقتصادي (٢)، فقلّة واردات الخلافة أدت إلى عجز في خزينة الخلافة وانعكس هذا بدوره على الوضع السياسي والعسكري في البلاد (٣) .

لقد أثرت بثوق الأنهار تأثيراً فاعلاً في واقع الحياة الاقتصادية التي أصابها الركود والمشاكل ، واشتدت الضائقة المالية وارتفعت أسعار المواد الغذائية الرئيسة (٤) .

إنّ التبعات الثقيلة المترتبة على هلاك المزروعات بسبب الفيضانات أو الآفات الزراعية مثل غارات الجراد كان يتحملها الفلاحون الذين كانوا ملزمين بأن يدفعوا مبالغ مقررة للضريبة ، وأن استحصال الضرائب نقداً قد جعل الفلاحين معتمدين على السوق وخاضعين له (٥) . مما ألحق الضرر والعجز في خزينة الخلافة بسبب صعوبة دفع الفلاحين الضريبة للدولة بشكل منتظم (٦) .

---

(١) نجم : الأوضاع القتصادية ، ص ٤٥ .

(٢) خصباك : العراق ، ص ٢٤ .

(٣) نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٤٥ .

(٤) أمل عبد الحسين السعدي : " **دور بادوريا في الاقتصاد العباسي** " ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد الثاني والعشرون (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٢٠٥ .

(٥) بيليايف : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٦ .

(٦) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧٧ .

ثانيا . الصناعة :

يصنف أصحاب الحرف ضمن الطبقة العامة للمجتمع العباسي الذي تتصدره في القمة طبقة الخليفة العباسي وحاشيته وكبار رجال دولته من الوزراء والأمراء ونحوهم ، في حين يحتل الموظفون والتجار وأصحاب الملكيات الصغيرة ، موقع الطبقة الوسطى [(١)] .

وكان الصنّاع أحراراً في ممارسة المهنة التي يريدونها ولم تتدخل الخلافة في شؤونهم إلاّ فيما تقتضيه المصلحة العامة أو التدخل عند وقوع خصومات وخلافات فيما بينهم [(٢)] ، وكان هدف وطموح أهل الصنايع والحرف والعاملين هو الحصول على الرزق ، يقول الدمشقي [٣] : " الحرفة أمان من الفقر وأمان من الغنى " .

ظهرت أنواع من الحرف والمهن بعد نمو المدن في العصر العباسي وتطور الحياة المدنية ومن مظاهر ذلك توسع العامة وازدياد أهميتها،وقد أدت ظروف عملهم ونشاطهم والمشاكل التي أخذوا يواجهونها مع تطور الحياة الاقتصادية إلى تقوية الشعور المشترك فيما بينهم فأصبحت الحاجة إلى قيام تنظيمات حرفية [(٤)] .

وكان الصنّاع وأهل الحرف يزاولون أعمالهم في محلة واحدة أو في سوق خاص بهم ، وكان واضحاً مع هذا بناء المدن العربية الاسلامية ولاسيما في نهاية القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد . وقد نظمت أسواق بغداد في العصر العباسي على أساس المهنة ، وكان هنا واضحاً في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد [(٥)] ، وقد ذكرها الخطيب

(١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٥٩ .

(٢) نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٠٨ .

(٣) الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٦٣ .

(٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٠٦ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٠٦ .

البغدادي [١] : " محلة البزّازين " باعة الأقمشة ، ومحلة " أصحاب الصابون " صنّاع الصابون ، ومحلة " القطانين " حيّاك القطن . ويتعاون أهل الحرفة الواحدة لضمان السرّية المهنية ولحماية افرادها ، ولابد من وجود تخصص في المهنة لأن الفرد لا يستطيع القيام بمفرده لإنجاز الصناعة ، ويقول ابن خلدون [٢] حول هذا الموضوع : " أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته فلابد من تقسيم العمل " وضرب مثلاً على ذلك فاختار عمل الخبز لبيان مدى التعاون الذي يتطلبه انتاج هذه المادة .

وذكر الدمشقي [٣] أقسام الصناعات : " فأما الصنائع فمنها علمية ومنها عملية ومنها مركبة ، فأما الصنائع العلمية فالفقه والنحو والهندسة وما جرى هذا المجرى ، وأما العملية فالحياكة والفلاحة ومشط الصوف والكتان وما جرى هذا المجرى ، وأما المركبة فالطب والفروسية والكتابة وما شاكل ذلك ". وكان تقسيمه للصنائع على حسب احتياجها إلى الفكر والجهد أو الحركة والطاقة التي يبذلها الصانع لإنجاز صناعته .

ازداد نشاط المهن والحرف وظهر تنظيم مهني عند أصحاب الحرف ليعبر عن تماسكهم وتعاونهم [٤] ، وأصبح يشار إلى الحرف بـ " الأصناف " [٥] و " أصحاب المهن " و " أهل الصنائع "، انتظم أصحاب المهن والحرف في مناطق خاصة بهم داخل السوق [٦] ، وكل صناعة لها سوق خاص بها [٧] . وأصبح لكل حرفة " رئيس " من اعضائها ، تعينه الخلافة أو تعترف به ، وهو " شيخ الصنف " [٨] ، وهناك " الأساتذة " وهم المتقدمون في الحرفة [٩] . ويليهم " الصنّاع " وهم الذين اتقنوا الحرفة وبإمكانهم فتح

---

(١) تاريخ بغداد ، ص ٦٧ . ٦٨ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : المقدمة (بيروت ، دار البيان ، د . ت) ، ص ٣٣ .

(٣) الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٥٩ . ٦٠ .

(٤) نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١١٢ .

(٥) **صنف** : في اللغة الطائفة من كل شيء ، وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة . ابن منظور : لسان العرب ١١ / ١٠١ مادة (صنف) .

(٦) بيليايف : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٨ .

(٧) محمد بن أحمد بن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : حسام الدين مصطفى السامرائي ، (بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨) ص ١٧ ؛ ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٤١ .

(٨) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٠ .

(٩) ناصر خسرو : سفر نامة ، تعريب : يحيى الخشاب ، (القاهرة ، ١٩٥٤) ، ض ٥٩ . ٦٠ .

حوانيت خاصة بهم والعمل مستقلين [١] ، ثم يلي بعد ذلك " المبتدئون " وهم الذين لا يزالون في مرحلة التعلم [٢] .

ويتفق أهل الصنف الواحد على البيع بسعر معين خدمة لمصلحتهم ، ويتضامنون مع عامة الناس عند ارتفاع الأسعار وكذلك عندما تفرض عليهم ضرائب جديدة [٣] ، وعملية الانتماء للمهنة لا تتم إلاّ بعد أن يتعلم الصانع مهنته ويتقنها ويتم ذلك بعد اجراء اختبار له من قبل شيخ الصنف ونقيبه وبعد نجاحه يقيم وليمة يوم الحفل بعد عملية الشّد [٤] .

وأصبحت الأصناف في العصر العباسي الأخير تراقب من الخلافة بوساطة المحتسب الذي يمنع الغش والتلاعب بالأسعار وكذلك مراقبة نظافة الأسواق[٥] . وتكون عقوبة المخالفين التعزير اما إذا تكرر ذلك أخرجه المحتسب من السوق [٦] ، كما يخضع ذوي المهن لاختبار من قبل المحتسب يجري لمعرفة مهارة واتقان صنعتهم [٧] . وتطورت الأصناف في العصر العباسي لعناية الخلافة بهم فكانت تقدم لهم المساعدات المالية [٨] .

١ . أنواع الصناعات :

ظهر التخصص في الصناعات التي أصبحت واضحة في أكثر مدن العراق الرئيسة وتطورت ، وقد ساعد على ذلك المواد الأولية وموقع العراق على طرق

---

(١) أخوان الصفا : رسائل ، ١ / ٢٥٥ .

(٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٠٧ . ١٠٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨ / ١١٦ . ١١٧ ، ٩ / ٤٠٧ ؛ محمد بن محمد بن أحمد القرشي ابن الأخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه : روبن ليوسي (كيمبرج ، مطبعة دار الفنون ، ١٩٣٧) ، ص ١٠٠ .

(٤) صباح ابراهيم سعيد الشيخلي : " الأصناف في العصر العباسي . نشأتها وتطورها " ، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي اسلامي ، (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص ١٢٠ . ١٢١ ؛ للمزيد ينظر : ماسينون " مادة الشّد " دائرة المعارف الاسلامية ١٣ / ١٧٩ . ١٨١ .

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٥٦ .

(٦) ابن الأخوة : أحكام القربة ، ص ١٤٦ ، ١٤٨ ؛ ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٢٨ ، ٢١١ .

(٧) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ١٣٧ ، ١٧٦ ، ١٧٩ .

(٨) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٩٩ .

التجارة الرئيسة [١] ، وقد وصف ابن الفقيه [٢] بغداد : " قل في عجائب بغداد ما شئت التي قد اجتمع فيها، ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات " .

أما من أهم الصناعات التي كانت موجودة في العراق والتي تطورت واستمرت حتى ما بعد احتلال المغول لبغداد ما يأتي :

صناعة النسيج والألبسة . عني العباسيون بصناعة النسيج والألبسة ، وكانت الحياكة تعد أقدم الصناعات اليدوية لأن المناخ يجعل العناية بالملابس ضرورية [٣] ، وكان الأغنياء يتنافسون في ارتداء الملابس الثمينة ويمتلكون صناديق واسعة للملابس [٤] مما شجّع الصنّاع على تحسين منتوجهم [٥] .

وتتطلب صناعة الملابس معرفة جيدة في الصباغة والألوان والتطريز [٦] ، وقد أطنب المؤرخون في وصف المنسوجات والملابس البغدادية ، يقول النويري [٧] : " من كان يريد الثياب الرقاق فليلحق بالعراق "وأشار ابن الفقيه [٨] إلى صناعة الثياب البيض ، كما ذكر المقدسي [٩] الأبلة وصناعة ثياب الكتان المقصبة . وكذلك ذكر الكوفة وفيها صناعة عمائم الخز والبنفسج وجودتها ، وكذلك بغداد وصناعة الطرائف وألوان ثياب القز .

وكانت بغداد أكبر مركز صناعي للمنسوجات ، فاشتهرت بالثياب العتابية ، يذكر أبو الفداء [١٠] عن النسيج العتابي أن الملك الأشرف موسى بن الملك العادل توجه إلى دمشق ولما وصل إلى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة وكان يحمل إليه

---

(١) حمدان عبد المجيد الكبيسي : الصناعة، نشر ضمن كتاب (حضارة العراق) ،(بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٥) ٥ / ٢٧٧ ؛ الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ٨٨ .

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان (ليدن ، ١٨٨٤) ، ص ٢٥٢ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٣٤ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١١٦ .

(٤) أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي : لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ص ٧٢ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٤ .

(٦) يوسف رزق الله غنيمة (صناعات العراق في عهد العباسيين) ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، الجزء الثامن ، السنة الرابعة (بغداد ، ١٩٤١) ، ص ٥٦٩ .

(٧) نهاية الأرب ١ / ٣٥٨ .

(٨) مختصر البلدان ، ص ٢٥٢ .

(٩) أحسن التقاسيم ، ص ١٢٨ . ١٢٩ ؛ الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ٨٩ .

(١٠) تقويم البلدان ٢ / ١١١ .

كل يوم خلعة وفي كل واحدة منها خمسة أثواب عتابي وبغدادي وموصلي ، وقد أشار ابن جبير [١] إلى محلة العتابية أثناء زيارته إلى بغداد عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م حيث قال : " ... وبها تصنع الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الألوان " . وقد سماه الفرنسيون Tabis وقد حفظوا العين من أوله لخلو لغتهم منها فقالوا " تابي " [٢] . وفي قرية الكرخ كانت صناعة الثياب البريسمية ، وكانت الستائر البريسمية يبعثها الخليفة الناصر لدين الله لكسوة الضريح النبوي الشريف بالمدينة المنورة [٣] ، وقد شاهد ابن جبير [٤] عدداً من القطع خلال وجوده في مكة " مظاهر الكعبة كلها من الأربعة جوانب مكسو بستور من الحرير الأخضر وسواها قطن وفي اعلاها رسم بالحرير الأحمر وفيه مكتوب : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ** ﴾ [٥] واسم الامام الناصر لدين الله .

واشتهر في بغداد صنع ثوب فاخر عرف بـ " الثوب البغدادي " ،وغالباً ما يكون هذا النسيج البديع مزخرفاً بأشكال الحيوانات والطيور وبخيوط من الذهب والفضة [٦] ، وينتج في بغداد نوع من الثياب يدعى " السقلاطون " وهو من الحرير المخلوط بخيوط الذهب [٧] ، واشتهرت منطقة تسترين [٨] بثياب تصنع من الحرير والديباج [٩] . وعندما زار الرحالة الأوربي ماركوبولو بغداد في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد شاهد فيها مصنعاً

---

(١) الرحلة ، ص ١٨٠ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٠٨ .

(٢) انستاس ماري الكرملي (الحياكة في العراق)، مجلة غرفة تجارة بغداد ، العدد الأول، السنة الرابعة ، كانون الثاني (بغداد ، ١٩٤١) ، ص ٢٢ . ٢٣ ؛ أنظر : صلاح حسين العبيدي : فنون بغداد وحرفها في العصر العباسي ، دراسات تاريخية ، بيت الحكمة ، العدد الثالث ، تموز . أيلول ، السنة الثالثة (بغداد ، ٢٠٠١) ، ص ١١٣ ؛ عيسى سلمان : الأوضاع الاقتصادية ، نشر ضمن كتاب : العراق في التاريخ (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٣) ، ص ٤٦٩ . ٤٧٠ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٠١ .

(٤) الرحلة ، ص ٥٤ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

(٦) الكرملي : الحياكة في العراق ، ص ٢٥ ؛ للمزيد . أنظر : فريال داؤد المختار : المنسوجات العراقية الاسلامية منذ الفتح العربي إلى سقوط الخلافة العباسية (بغداد ، دار الحرية، ١٩٧٦) ، ص ١٧٨ ، ١٨٠ .

(٧) أبو الحسن أحمد بن الرشيد القاضي الرشيد : الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله (الكويت ، ١٩٥٩) ، ص ٦٢ . ٦٣ ؛ ابن الفقيه البلدان ، ص ٢٥٢ ؛ العبيدي : فنون بغداد ، ص ١١٣ .

(٨) **تسترين** : إحدى مناطق بغداد في الجانب الغربي منها تشتهر بصناعة الثياب . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٣١ .

(٩) العبيدي : فنون بغداد ، ص ١١٣ .

لنسيج الحرير الممزوج بالذهب وبها نسيج الدمشقي ونسيج القطيفة المزخرف بأشكال الطيور والحيوانات المتوحشة [١] . ولم تكن بغداد هي المدينة الوحيدة التي اشتهرت بإنتاج الأنواع المحلية من الأقمشة في هذا العصر من فحسب وإنما مدينة حربي[٢] ومدينة خانقين ، إذ كان ينتج فيها نوع من النسيج القطني الخالص يعرف باسمها وهو الثوب الخانقيني [٣] . وكذلك الحظيرة [٤] يصنع فيها نوع من الثياب الكرباس [٥] ، وفي باقدرا وهي قرية على بعد أربعين ميلاً من بغداد تصنع فيها ثياب القطن الغلاظ [٦] واستمرت مدينة قصر هبيرة [٧] تزخر بإنتاج المنسوجات ويعمل فيها عدد كبير من الحاكة والنساجين [٨] . أما الكوفة فاختصت بإنتاج العمائم المصنوعة من الخز [٩] .

واشتهرت البصرة بالخز والبز، فالخز نسيج رقيق يعمل من الصوف والحرير [١٠] ، أما البز فهو نسيج قطني ثخين . وكانت الأبلة تنتج ثياب الكتان الرقيقة [١١] وفي النعمانية تصنع فيها الأكسية وثياب الصوف وكذلك البسط والحصران [١٢] ، أما واسط فاشتهرت بصناعة الستائر [١٣] ، وفي تكريت تصنع المنسوجات الصوفية [١] ، وفي نهاية العصر العباسي الأخير برزت مدينة أربل في زراعة القطن الجيد واسهمت إلى

---

(١) المختار : المنسوجات ، ص ١٨٠ .

(٢) **حربي** : بلدة تقع في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل مدينة الحظيرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٥٣٢ .

(٣) الكرملي : الحياكة ، ص ٢٦ .

(٤) **الحظيرة** : قرية من أعمال بغداد من جهة تكريت بناحية دجيل . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٢٩٢.

(٥) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ١ / ٤١١ ؛ خصباك : العراق ، ص ١٢٨ ؛ سوادي عبد محمد : الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد ، الطبعة الأولى (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٩) ، ص ٢٧٦ .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٣٢٧ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١١٨.

(٧) تقع هذه البلدة على ضفة الفرات اليسرى أو الشرقية فوق الكوفة . لسترنج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ١٣ .

(٨) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٢١ ؛ المختار : المنسوجات ، ص ١٨١ .

(٩) غنيمة : صناعات العراق ، ص ٢٦٧ .

(١٠) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١١٩ ؛ غنيمة : صناعات العراق ، ص ٢٦٧ .

(١١) يوسف رزق الله غنيمة :تجارة العراق قديماً وحديثاً (بغداد ، ١٩٢٢) ، ص ٥٣ .

(١٢) أبو علي أحمد يتن عمر بن رستة : الأعلاق النفيسة (ليدن : ١٨٩١ م) ، ص ١٨٨ .

(١٣) غنيمة : صناعات العراق ، ص ٢٦٧ .

جانب المدن العراقية الأخرى في صناعة المنسوجات [٢] .

وكانت دار الطراز بمثابة مصانع خاصة تنتج البسط والثياب والأعلام[٣] ، وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز [٤] . ويستخدم في دور الطراز الصاغة والحاكة [٥] . جاء في حوادث سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م أن شرف الدين اقبال الشرابي خلع على حاشيته ونواب ديوانه وخدمة مماليكه وغلمان اسطبلاته فبلغت عدة الخلع من الأطلس المعدني والبغدادي والعتابي والعراقي الحريري والحباشي والأقبية والشرابيش الذهب والبقاقير المذهبة (١٩٠٠) خلعة [٦] .

واستمرت صناعة المنسوجات في تطورها حتى بعد سقوط الخلافة العباسية ، فيذكر ابن بطوطة [٧] أثناء زيارته لبغداد أوائل القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد ، فذكر الجانب الشرقي منها : " وهذه الجهة ... حافلة الأسواق عظيمة الترتيب ، كل صناعة فيها على حدة " . كما أشار إلى وجود صناعة للثياب تصنع من الحرير تسمى " الكمخا " وجاء ذلك تأكيداً قبل زيارته لبغداد عندما وصل إلى مدينة " يزمير " وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر من بلاد الروم التي أهداه أميرها ثوبين من الكمخا وهي ثياب حرير تصنع في بغداد [٨] .

صناعة الورق ـ أما صناعة الورق التي أدت الحاجة إلى استعماله إلى زيادة وتطور مصانع الورق في العراق ، وذلك لنشاط المراكز العلمية من المدارس والمساجد والربط وغيرها [٩]، فاستمرت بغداد مركزاً مهماً لصناعة الورق حتى القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد ، وكان يسمى باسمها " الورق البغدادي " وتركزت مصانعه في

(١) كرامرز : مادة تكريت ، دائرة المعارف تاالاسلامية ، م ٥ / ٤٣٤ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٨١ .
(٢) المختار : المنسوجات ، ص ١٨٤ .
(٣) الصابي : رسائل ، ص ١٤١ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٩٣ .
(٥) الصابي : رسائل ، ١٤١ ؛ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .
(٦) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٣ .
(٧) تحفة النظار ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .
(٩) القزويني : آثار البلاد ، ص ٤٤٤ .

الجانب الغربي لبغداد [1] ، وكان الورق البغدادي غاية في الجودة وقد وصفه القلقشندي [2] فقال : " وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي وهو ورق ثمين مع ليونة ورقة الحاشية ، ولا يكتب فيه في الغالب إلاّ المصاحف الشريفة وربما استعمله كتّاب الانشاء في مكاتبات القانات ونحوها " . ومع ازدهار المراكز العلمية في بغداد ومدن العراق أصبحت الحاجة إلى الورق تزداد ، فقد عني الخليفة المستنصر بالله في توفيره لدارسيها [3] .

صناعة الصباغة . وازدهرت صناعة الصباغة في العراق لأن تنوع الألوان في الأقمشة يدل على فن متميز في الصباغة [4] . وكانت الألوان المتنوعة تستخدم في صبغ الملابس ، وكان الصباغون يتفننون في مهنتهم ، ويختص بعضهم بصبغة واحدة مثل " الفوّة " و " النيلة " ، وكانت معظم الأصباغ نباتية ، وكان قشر الرمان يستعمل لتكوين صبغ أصفر [5] ، وكان الحرير وحده يصبغ بألوان مختلفة منها الأخضر والأصفر والأزرق ، وأخذ الناس يرتدون ملابس مختلفة الألوان [6] ، وشاع استخدام العباسيين لألوان أخرى غير السواد ، فيذكر ابن الفوطي [7] في حوادث سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م عند افتتاح المدرسة المستنصرية فقد خلع الخليفة المستنصر بالله على المدرسين فيها جبة سوداء وطرحة كحلية لكل منهما .

صناعة الصياغة . واستمرت صناعة الصياغة في التطور والتي تعتمد على الذهب في العراق نتيجة للاقبال عليها من قبل الأغنياء ، وكذلك لزيادة الترف في عدد من طبقات المجتمع فضلاً عن أدوات الزينة الاعتيادية التي تصنع للسيدات [8] . وتقدم فنّ الصياغة في العراق وأصبح لصناع العراق شهرة واسعة ليس في العراق بل في الكثير من

---

(١) أبي سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص ١٥٨ .

(٢) صبح الأعشى ٢ / ٤٦٧ .

(٣) الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ٩٢ ؛ للمزيد . ينظر : جلال مظهر : الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمي الحديث (القاهرة ، مطبعة مخيبر ، د . ت) ، ص ١١٢ . ١١٣ ؛ العبيدي : فنون بغداد وحرفها ، ص ١١٢ .

(٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٤ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

(٦) غنيمة : صناعة العراق ، ص ٥٦٩ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٣٣ .

(٧) الحوادث الجامعة ، ص ٥٥ .

(٨) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٨ .

البلاد الأخرى[١] واشتهر في هذه الصنعة أهل الذمة وقد حقق اصحابها أرباحاً طائلة ، لذلك كتب متولي الجوالي إلى الخليفة الناصر لدين الله يطلب منه زيادة الضريبة على أهل الذمة نتيجة لربحهم في هذه الصناعة إلاّ أن الخليفة لم يأخذ برأيه [٢] .

صناعة الصابون . يعد الصابون وصناعته من الحاجات الضرورية للمجتمع وامتازت العديد من مدن العراق في هذه المدة بكثرة الحمامات ، ويذكر الخطيب البغدادي [٣] بأن أهالي بغداد كانوا يحتاجون مليوناً ونصف مليون رطل من الصابون ليلة عيد الفطر ، وهذه تشكل كمية كبيرة جداً ، لعل المبالغة واضحة فيها ولكنها تمثل دلالة على استعماله بكثرة وهناك مصانع عديدة لانتاجه ، وكان الصابون يصنع بشكل قطع جامدة ، وكانت هنالك محلة خاصة في بغداد من جهة الكرخ تختص بهذه الصناعة [٤] .

صناعة الزجاج . اشتهر العراق بصناعة الزجاج في هذه المدة وكان يصنع من نوع خاص من الصخور الرملية [٥] ، وقد صنعوا القناديل والأقداح والأواني [٦] ، وعمل القوارير الكبيرة والقناني ، وقد برعت بغداد في صنع الأواني والأقداح الزجاجية [٧] ، ويذكر ياقوت الحموي [٨] : " أن قادسية دجلة وهي قرية كبيرة من ناحية دجيل وسامراء كان يعمل بها الزجاج " ، كما توجد معامل لانتاج الزجاج في البصرة [٩] ، وتكثر المواد الأولية لصنع الزجاج في النجف وفيها بلور نقي صافٍ تُصّنع منه الخواتم والأواني بكثرة ولجودته وشهرته يسمى " درنجف " أو " در النجف " وأطلقت عليه في مصر " النجفة " أي ثريا من بلور النجف [١٠] .

---

(١) الكبيسي : الصناعة ، ص ٢٩١ .
(٢) فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٦٨ ؛ الياس : العلاقات ، ص ٤٠ .
(٣) تاريخ بغداد ، ص ٧٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٧.
(٥) الجاحظ : الدلائل ، ص ١٥ .
(٦) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٧ .
(٧) المرجع نفسه ، ص ١٢٨ .
(٨) معجم البلدان ٤ / ٢٩٣ .
(٩) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٦٤ .
(١٠) غنيمة : صناعات العراق ، ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤ .

واستعملت ألوان عديدة ورسموا عليها الأزهار والحيوانات المختلفة [(١)] ، وقد قطعت صناعة الزجاج في بغداد خطوات كبيرة وزادت وتعددت أنواعه في القرنين السادس والسابع للهجرة / الثاني عشر والثالث عشر للميلاد إذ يقول ابن الفقيه [(٢)] : " قل في عجائب بغداد ما شئت ،قد اجتمع فيها ما هو متفوق في جميع الأقاليم من أنواع التجارب والصناعات،ولهم في الذي لا يشاركهم فيه أحد الثياب البيض والزجاج المحكم من الأقداح والأقحاف والكاسات والطاسات " .

ويذكر المؤرخ الصيني جو .كوا الذي عرف شيئاً عن صناعة الزجاج والذي يصف الزجاج العراقي بأنه أجود من الزجاج الصيني الذي يعتمد على نترات البوتاس واوكسيد الرصاص والجبس ، أما صناعة الزجاج في العراق فإن الصنّاع يضيفون اليوراكس وأن صناعته تكون أجود مما يصنع في الصين ، مما جعل الصينيين يرغبون في الحصول عليه في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد [(٣)] .

ويذكر ابن جبير [(٤)] الزجاج العراقي عند زيارته مكة سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وشاهد شباك الكعبة مزيناً بالزجاج العراقي فقال : " ... وله خمسة مضاو وعليها زجاج عراقي بديع النقش أحده في وسط السقف ومع كل ركن مضوي ... " .

ويذكر المؤرخ الصيني شوكيو في سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م عند كلامه عن مدينة بغداد أنها كانت تشتهر بانتاج انواع من الزجاج المذهب والمموه بالمينا " [(٥)] .

وجاء ذكر الزجاج العراقي في ثلاثة مواضع من رحلة ابن بطوطة [(٦)] : في ذكر الأخية الفتيان إذ قال: " فلما صليت المغرب عاد إلينا ذلك الرجل وذهبنا معه إلى زاويته فوجدنا زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية وبها كثير من ثريات الزجاج العراقي " . وفي الكلام عن خوارزم قال : " كنت أيام اقامتي فيها أصلي الجمعة مع القاضي أبي حسن عمر المذكور بمسجده فإذا فرغت الصلاة ، وذهبت معه إلى داره ... فادخل معه مجلسه

---

(١) م . س . ديماند : الفنون الاسلامية ، ترجمة : أحمد موسى عيسى (مصر ، د . ت) ، ص٣٢٤،٣٢٣.

(٢) مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٢ .

(٣) نقولا زيادة : مشرقيات في صلات التجارة والفكر ، الطبعة الأولى (بيروت ، رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٨ ،) ، ص ١٧٩ .

(٤) الرحلة ، ص ٥٤ .

(٥) صلاح العبيدي : الفنون الزخرفية والتشكيلية (العراق في موكب الحضارة . الأصالة والتأثير) (بغداد ، ١٩٨٨) ٤ / ١٤٤ .

(٦) تحفة النظار ، ص ٢٧٦ .

وهو من أبدع المجالس فيه الفرش الحافلة وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقان كثيرة ، وفي كل طاق منها أواني الفضة المموهة بالذهب والأواني العراقية " (١) . وفي الكلام عن خوارزم أيضاً قال : " ثم أتي بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان المحبب في أواني الذهب والفضة ومعه ملاعق الذهب وبعضه في أواني الزجاج العراقي ... " (٢) .

صناعة الحدادة . أما صناعة الحدادة فكانت منتشرة في مدن العراق ، واشتهر الصنّاع بصنع أنواع عديدة من الحديد بعد صهره أهمها الأبواب والشبابيك ، وقد استخدم النحاس والصفر والبرونز والحديد والفولاذ لصنع أنواع من الأدوات (٣) . وقد وصف ابن جبير (٤) صناعة السلاسل الحديدية حيث وصف السلاسل عند عبور نهر الفرات إلى الحلة ، وكذلك وصفها عند عبوره في قرية صرصر (٥) . وذكر في أخبار سنة ٦٢٨ هـ /١٢٣٠ م : " وفي ليلة عيد الفطر فتح باب في حائط دار الوزارة وجعل عليه شباك حديد وجلس فيه مؤيد الدين القمي نائب الوزارة واستعرض العسكر " (٦) .

ومن الصناعات الحديدية الأخرى ، صناعة الأسلحة كالقسي والنشاب والعجلات والسيوف والزرديات والخوذ والجروخ والجواشن وغيرها(٧) ، وكان لها سوق خاص في بغداد يعرف بـ " سوق السلاح " (٨)، فضلاً عن صناعة التحف المعدنية ، وكانت مشهورة في بغداد خلال القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد (٩) . ويذكر أن أحد التجار قدم إلى بغداد ويدعى ابن المقرب العيوني الشاعر البحراني المتوفي ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م اشترى حديداً من بغداد واتجه إلى بلاده فاستوقفه " صاحب المكس " بواسط وأخذه منه ضريبة كبيرة تقدر بنصف ثمن الحديد (١٠) .

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .
(٣) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٩ .
(٤) الرحلة ، ص ١٢٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .
(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٤ .
(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ / ٥٢٣ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٠٩ .
(٨) ابن الجوزي : مناقب بغداد (المنسوب خطأ) ، تعليق على هوامشه ونشره : محمد بهجة الأثري (بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٢٣) ، ص ٢٧ .
(٩) العبيدي : فنون بغداد ، ص ١١١ .
(١٠) ابن مقرب العيوني : ديوانه ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ص ٢٢٤ . ٢٢٩ ؛ الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ٩٦ .

وهناك صناعات أخرى قامت في بغداد ومدن العراق الأخرى منها صناعة الدباغة ، وكانت صناعة الخفاف للنساء والرجال متقدمة في العراق [١] ، وكانت البصرة تنتج الأحذية الجيدة [٢] . وازدهرت صناعة مواد البناء والتي شملت أرجاء كثيرة من مدن العراق [٣] ، وكانت التجارة صناعة مهمة ، وكان النجارون يصنعون الكراسي والمناضد والأبواب والسقوف الخشبية [٤] ، واشتهرت " دير الجماجم " [٥] بصنع أقداح الخشب [٦] ، واشتهر العراق بصنع البواري والحصر [٧] . واستمرت صناعاتها حتى أواخر العصر العباسي ويقال لمن يشتغل بصناعتها " بوراني " [٨] ..

وكانت صناعة السفن موجودة في العراق وتتركز في الأبلة ، كما ازدهرت صناعات الساعات ولا سيما في أواخر العصر العباسي[٩] ، وعرفت بغداد بصنع السكر وتحضير المربيات والأشربة الجيدة [١٠] ، وكان النبيذ يصنع في عدد من مدن العراق وإلى قرطبل وهي قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر الجيد [١١] .

أما صناعة العطور والدهون والأدوية فقد عرفها العراقيون قديماً [١٢] ، ومن جملة الدهون التي كانت تصنع دهن الورد ودهن البنفسج ودهن اللوز ودهن السمسم(الشيرج) ودهن الخروع وزيت الزيتون [١٣]، وكان سوق العطر مشهوراً ببغداد ، وهناك اشارات إلى صنع الأدوية والعقاقير نذكر منها الزنجفر ، والزنجار ، والمرداسج [١٤] .

---

(١) غنيمة : صناعات العراق ، ص ٥٧٨ .

(٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٣١ .

(٣) الكبيبسي : الصناعة ، ص ٢٩٢ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٢ . ٣٤٣ .

(٥) **دير الجماجم** : مدينة تقع بالقرب من الكوفة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ١٥٩ .

(٦) المصدر نفسه ٢ / ١٥٩ .

(٧) غنيمة : صناعات العراق ، ص ٥٧٩ .

(٨) زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، المجلد الثاني (النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٦٨ . ١٩٧١) ٢١٢/٢ . ٢١٣ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣١٠ .

(٩) غنيمة صناعات العراق ، ص ٥٣٢ .

(١٠) المرجع نفسه ، ص ٥٨٠ .

(١١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ١٣٣ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٣١ .

(١٢) غنيمة : صناعات العراق ، ص ٥٨١ .

(١٣) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٢٢٨ .

(١٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٤٥ .

٢ . الثروة المعدنية :

توجد في العراق ثروات معدنية وملحية كبيرة فقرية " ترسخ " من أعمال البندنيجيين بكورة النهروان كانت مصدراً كبيراً للملح تقوم بتسويقه إلى بغداد[١] .

يذكر ابن سعيد المغربي[٢] : بالقرب من تكريت يصنع بها النفط ، ويوجد القير بالقرب من هيت ، وكان أهل العراق يقيرون حماماتهم به بدلاً من الرخام [٣] ، وفي خانقين خانقين يكثر فيها النفط [٤] ، كما يوجد الكبريت والزئبق في أراضي العراق [٥] .

٣ . واقع النشاط الصناعي :

شهد العراق تطوراً ملحوظاً في نشاطه الصناعي ، إذ ساعد في ذلك توافر المواد الأولية المتنوعة ، فضلاً عن النشاط التجاري الذي وفر ما كانت تحتاجه الصناعة من مواد أولية ، فقامت صناعات متعددة شملت مختلف المدن التي اختصت كل منها بصناعة معينة اشتهرت بها ، فضلاً عن ذلك فقد عرض النشاط الصناعي تنظيمات حرفية كان هدفها ترسيخ الأعراف والتقاليد الحرفية ودعم النشاط الصناعي ، فضلاً عن تنظيم العلاقات بين الحرفين والدفاع عن حقوقهم ، كل ذلك ساعد على ازدهار الصناعة على المستويين الداخلي والخارجي بحيث وصل المنتوج العراقي إلى أقاليم مختلفة من العالم .

ولا شك أن استمرار ازدهار وتطور أي نشاط مكفول بقوة الدولة ودعمها ومساندتها له بأساليب مختلفة ، وإذا لاحظنا أن الخلافة قد أسهمت في هذه المدة بتعزيز النشاط الصناعي وتنظيمه ومراقبته بأشكال مختلفة ، إلاّ أنها في الوقت نفسه أظهرت عجزها عن الارتقاء بالطبقة العاملة المحسوبة على العامة من الناس ، إذ كان للوضع السياسي العام والتطورات الداخلية ، فضلاً عن التحديات الخارجية ، أثر في الأزمة الاقتصادية التي لها انعكاس سلبي على النشاط الصناعي لعل أحد وأهم أوجه هذا الانعكاس هو عدم قدرة كثير من الحرف والمهن من أن ترتقي بأصحابها إلى مستوى اقتصادي يمكنهم من العيش

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٨٣٦ ؛ ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ١ / ٢٥٨ .
(٢) بسط الأرض ، ص ٩٠ . ٩١ .
(٣) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص ١٥٩ ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر ، ص ١١٩ .
(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٣٤٠ ؛ ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ١ / ٤٤٧ .
(٥) القزويني : آثار البلاد ، ص ١٠ .

الكريم إذ بقيت أغلبية الحرفيين على حافة الفقر والعوز ولم تتمكن من تضييق الفروق الاقتصادية الكبيرة بينها وبين الطبقات الأخرى ، مما جعلها تنقم على الوضع بشكل عام وعلى الفوارق الطبقية بشكل خاص . وقد أفرزت هذه الأوضاع حركات على مختلف الصعد السياسية والفكرية والاجتماعية عّبرت عن رفضها لهذا الواقع ، كان لها تأثير في مجرى الأحداث في هذه المدة ، لعل أبرزها وأكثرها جدلاً هي حركة العياريين والشطار كمحاولة للتمرد على الأوضاع المعاشية بالدرجة الأولى ، وكذلك نتيجة للفوضى الاجتماعية والسياسية ،ولم يكن هناك هدف أساسي يجمعهم وانما كانوا مدفوعين من أجل السلب والنهب [١] . ويزداد نشاطهم في فترات الاضطراب وتسميهم المصادر التاريخية باللصوص والغوغاء والأوباش واهل الزعارة والأنذال ، إلاّ أن أعمالهم كانت تكشف عن حركة اجتماعية إذ كان جلهم من الفقراء [٢] . ويسميهم ابن الأثير [٣] : باعة الطرق وأهل السجون والأوباش وأهل السوق وهم من الطبقات الفقيرة الذين لا سند لهم [٤] ، لذلك كان نشاطهم متجهاً ضد الأغنياء والأشرار بهدف مساعدة الفقراء والضعفاء ، ولم يتعرضوا لصغار التجار [٥] .

اتخذ العيارون والشطار الفتوة تسمية لهم لأنها تركز على القيم الدينية والخلقية والفروسية [٦] .

يقسم (تيشنر Taeshner) تاريخ الفتوة على ثلاثة أدوار ، فيرى أنها بدأت حركة فروسية ارستقراطية ، ثم تطورت في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد إلى حركة للطبقة الوسطى ، وأخيراً أصبحت حركة العامة في القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد [٧] .

---

(١) فوزي : الخلافة العباسية ، ص ٦٢ .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٠ . ١٩٦٩) ٣ / ٨٧٣ ، ٨٧٧ .

(٣) الكامل ٦ / ٢٧٢ .

(٤) ادوار بروي : تاريخ الحضارات العام ، نقله إلى العربية : يوسف أسعد داغر وفريد داغر ، الطبعة الأولى (بيروت ، ١٩٦٥) ٣ / ١٩٩ .

(٥) الدوري : مقدمة ، ص ٧٨ .

(٦) أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم ابن المعمار : كتاب الفتوة ، تحقيق : مصطفى جواد ، الطبعة الأولى (بغداد ، ١٩٦٠) ، ص ٣٤ .

(7) Taeshner – Die Islamische futuww a bunde Z . D . M . G . 1933 . P . 6 Ff

[Z .M . D . G . – Zeitschrift der Deutschen Morgen land Gesellsch aft .]

في حين يرجح الدوري [1]أن حركة الفتوة لم تتخذ صفة ارستقراطية عسكرية إلاّ في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد ، وفي خلافة الناصر لدين الله الذي حاول الاستفادة من حركة الفتوة وتوجيهها في مصلحة الدولة ولذلك ترأسها وهذّب اهدافها في منشوره المشهور الذي أصدره سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م [2] .

لقد أدى انعكاس الخلافات الداخلية على الأسواق بشكل خاص إذ غالباً ما كانت تغلق لفترات وتحرق أحياناً بفعل الفوضى وأعمال الشغب ، فضلاً عن ضعف تشجيع الخلافة لأهل الصنائع وعدم تقديم التسهيلات الضرورية ساهمت في عدم النهوض بالصناعة وتطورها .

---

(١) تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٠٩ .

(٢) مصطفى جواد : " **الفتوة والفتيان** " ، مجلة لغة العرب ، المجلد الثامن (بغداد ،١٩٣٠) ، ص ٢٤٢ . عن منشور الخليفة الناصر لدين الله ، ينظر : ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٢٣ . ٢٢٦ . لمزيد عن المعلومات ، ينظر : سعيد الديوه جي : الفتوة في الاسلام (موصل ، المطبعة الكلدانية، ١٩٤٠) ، ص ١٠ . ١٧ ، ٤٥ . ٤٧ ؛ اشتور : التاريخ الاقتصادي ، ص ٢٩٨ . ٢٩٩ . فرنس تشنر : الفتوة والخليفة الناصر لدين الله من كتاب : المنتقي من دراسة المستشرقين ، ترجمة : صلاح الدين المنجد (القاهرة ، ١٩٥٥) ١ / ١٨٩ . ١٩٢ ؛ عمر رضا كحالة : دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية (دمشق ، المطبعة التعاونية ، ١٩٧٣) ، ص ٧٤ ؛ ابراهيم بيضون وسهيل زكار : تاريخ العرب السياسي من فجر الاسلام حتى سقوط بغداد (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٣ ؛ صلاح الدين المنجد : الحركات التقدمية في العراق حتى غزو التتار (بيروت ، دار العلم للملايين ، د . ت) ص ٦٣ . ٦٤ ؛ مصطفى جواد : " **الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين** " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٥ (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص ٦٣ . ٦٤ .

ثالثاً. التجارة :

هناك عوامل ساعدت على نمو التجارة منها موقع العراق الجغرافي [١] عند ملتقى الطرق بين آسيا من ناحية وأوربا وأفريقيا من ناحية أخرى ، ونتيجة لهذا الموقع الجيد فإن العراق استفاد كثيراً من تجارة الترانسيت [٢]، فضلاً عن عناية وتشجيع الخلافة للتجارة وحاجة البلاط العباسي والطبقة الغنية إلى السلع والبضائع غير الموجودة في أسواق العراق المحلية ، ذلك كله شجّع التجار على ركوب البحر طمعاً في الربح [٣] ، مما دعا ابن خلدون [٤] إلى تسمية الدولة " السوق الأعظم للتجارة " . وان عدم تدخل الخلافة في تسعير البضائع إلاّ قليلاً قد شجّع على حركة التجارة ، فضلاً عن ازدهار الصناعات العراقية مما جعلها مطلوبة في أسواق العالم ، وكان للخليج العربي دور مهم في تاريخ التجارة العباسية لانفتاحه على أهم مدينتين تجاريتين هما البصرة وبغداد بذراعين ملاحيتين هما دجلة والفرات ، ولأنه كان يتلقى تجارة الصين والهند وأقاصي الشمال ، لذلك يعد العراق أكبر مركز تجاري [٥] .

وعندما زار الرحالة بنيامين التطيلي [٦] العراق في المدة ما بين سنة ٥٦١ . ٥٦٩ هـ / ١١٥٥ . ١١٦٣م شاهد عدداً كبيراً من التجار الغرباء في بغداد الذين قدموا إليها لغرض البيع والشراء وعقد الصفقات التجارية .

وتذكر المصادر التاريخية في عهد الخليفة المستضيء بأمر الله ٥٦٦ . ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ . ١١٧٩ م ازالة الغرامات والضرائب والمكوس في بغداد بهدف تشجيع التجارة عندما اشتكى التجار إليه فخرج توقيعه : " بازالتها والتنكيل بمن يسعى إلى تحصيلها " [٧] .

(١) عبد الرحمن العاني وحمدان عبد المجيد الكبيسي : التجارة الداخلية والخارجية من كتاب (حضارة العراق) ، (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥) ، ٥ / ٣٠٦ .
(٢) الفيل : الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد ، ص ٣٢١ .
(٣) الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ٩٩ .
(٤) المقدمة ، ص ٢٣٩ .
(٥) سليمان ابراهيم العسكري : التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي (القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٩٧٢) ، ص ٧٤ . ٧٥ ؛ وليم الخازن : الحضارة العباسية (بيروت ، المكتبة الشرقية ، ١٩٨١) ، ص ٨٣ .
(٦) الرحلة ، ص ١٣٩ ؛ الياس : العلاقات ، ص ٣١ .
(٧) ابن الفرات : تاريخ ، م ٤ ج ١ / ١٣٥ .

ويظهر أن التجار الأجانب كانوا من الكثرة ببغداد بحيث دعا بعضهم الخليفة المستنصر بالله إلى حفل افتتاح المدرسة المستنصرية سنة ٦٣١ هـ / ١١٣٤ م وخلع عليهم [١] ، ووصف ياقوت الحموي [٢] بغداد : " جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الاسلام ومجمع الوافدين ... " . وقد زارها الرحالة ابن سعيد [٣] في سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م فذكر أن أرخص ما فيها التمر الذي يجلب من البصرة وتحمل المراكب إليها بضائع الهند في دجلة . وأشار إليها القزويني [٤] بأنه كان " ... ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس إلاّ ويحمل إليها " . وشهدت مدينة البصرة حركة تجارية كبيرة ، وكانت المراكب العربية تجوب بحار الشرق الأقصى ، ويمكن معرفة هذا النشاط التجاري من معرفة الضرائب التي كانت تفرضها الدولة على السفن ، وأن تاجراً واحداً من البصرة كانت له سفن كثيرة تبحر إلى الهند والصين وان مقدار ما كان يدفعه من الضرائب كان ألف دينار سنوياً [٥] .

وكانت الأبلة وهي ميناء البصرة يطلق عليها أرض الهند [٦] لكونها ميناء للبضائع القادمة من الهند والصين [٧]،وقد استمرت في ازدهارها في حين تراجعت البصرة في القرن السادس للهجرة /الثاني عشر للميلاد فالادريسي [٨] يذكر أن الأبلة : " مدينة حسنة الديار واسعة العمارة متصلة البساتين عامرة بالناس وأهلها مياسير عندهم خصب في العيش ورفاهية ودعة " .

---

(١) سلمان : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٤٧١ .

(٢) معجم البلدان ١ / ٤٢٩ ؛ ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٣٧ .

(٣) كتاب بسط الأرض ، ص ٩١ ؛ خصباك : العراق ، ص ١٣٧ .

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣١٥ ؛ خصباك : العراق ، ص ١٣٧ .

(٥) عبد الباسط فاخوري : تحفة الأنام (مختصر تاريخ الإسلام (بيروت ، ١٣٢٠ هـ) ، ص ١٦٥ ؛ الياس : العلاقات ، ص ٣٢ . ٣٣ ؛ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٨) ٢ / ١٧٧ ؛ علي محمد المياح : " **العرب والمحيط الهندي في العصور الاسلامية الوسطى** " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الأربعون ، الجزءان الثالث والرابع (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٢٤٦ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ٢ / ٣٢٦ .

(٧) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق : صلاح الدين المنجد (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦) ، ص ٣٣٣ .

(٨) ابراهيم شوكت : " **الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٢٣ (بغداد ، ١٩٧٣) ، ص ٢٩ . ٣٠ ؛ جاسم ياسين محمد : الخليج العربي ـ دراسة في أحواله السياسية والاقتصادية منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة البصرة . كلية الآداب ، ١٩٩٣) ، ص ١٤٥ . ١٤٦ .

وقد أسس البصريون مراكز تجارية في جزر سومطرة وزنجبار وعلى سواحل أفريقيا الشرقية وعلى سواحل الهند الغربية (مالابار) وكان يوجد عدد كبير من رعايا الخلافة العباسية ويعدون فيها بالآلاف [١] .

ازدهرت التجارة على عهد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ . ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ . ١٢٢٥م) وشجّع الخليفة أمير البحرين على قمع بعض القبائل العربية القاطنة في بلاده وجنوب العراق والتي شكلت خطراً على طريق القوافل الممتدة من العراق عبر الجزيرة العربية كما عهد له حماية أرياف البصرة وخفارة الحج [٢] ، وفي عصره ازدهرت التجارة الدولية وظهرت طبقة من التجار الأغنياء ، مثل عائلة ابن خرداذبة في بغداد ، وابن السويد في تكريت وأصيل الدين عباس الاربلي الذين أثارت ثرواتهم حقد الفقراء [٣] ، وكان هناك تجار مختصون بتجارة التوابل مثل السامرائي والتكريتي ، وهؤلاء وعوائلهم أصبحت لهم شهرة واسعة واستقروا في بلاد الشام والذين قدّموا خدماتهم إلى الكثير من الخلفاء والسلاطين [٤] .

وكانت التجارة حرة طيلة العصور الماضية والعصر العباسي الأخير لكن هذا لا يعني عدم تدخل الدولة في تسعير البضائع وخاصةً المواد الغذائية ، فعلى أثر وفاة الخليفة الظاهر بالله وخلافة المستنصر بالله بيعت الكارة بثمانية عشر قيراطاً [٥] فضارب الخليفة المستنصر بالله التجار وأمر أن تطرح الغلات التي يملكها وتباع كل كارة بثلاثة عشر قيراطاً حتى رخصت الأسعار واستقرت السوق [٦] .

---

(١) بيلايايف : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٩ .

(٢) عبد الرحمن مديرس عبد المحسن المديرس : " **اقليم البحرين في العصر العباسي ٤٦٩ . ٦٣٦ هـ / ١٠٧٦ . ١٢٣٨ م** " ، مجلة كلية الآداب ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول (جامعة الملك سعود ، ١٩٨٨) ، ص ١٩٧ .

(٣) اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص ٢٩٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ .

(٥) **القيراط** : يتألف غالباً من ثلاث حبات و ٠.٢٢٣٢ غم . هنتس : المكاييل والأوزان ، ص ٤٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٥٨ ؛ الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ١٠٠ .

١ . **الطرق التجارية :**

ارتبط العراق في هذه المدة بشبكة من الطرق البحرية والبرية ، حيث تقع بغداد عند ملتقى طرق القوافل التجارية والبريدية [١] .
أما أهم الطرق التجارية الرئيسة فهي :

أ . **الطرق النهرية** ـ كانت الطرق النهرية من أكثر الطرق استخداماً لرخصها وسهولتها [٢] ، وان السفن النهرية لم يقتصر عملها على نقل البضائع التجارية فحسب ، بل ان الناس فضّلوا السفر في وسائل النقل النهري [٣] . وامتازت أنهار العراق بأنها تتصل بعضها ببعض عن طريق قنوات،كما انها تؤدي جميعاً إلى الخليج العربي ، فضلاً عن وقوع معظم مدن العراق الرئيسة على ضفاف الأنهار [٤] ، وقد اتخذت الحركة التجارية من نهري دجلة والفرات وروافدهما طرقاً لتنقلاتها .

ب . **الطرق البرية**. كانت بغداد تتوسط البلاد وتعد مركزاً مهماً ونقطة التقاء طرق المواصلات العديدة والمختلفة الاتجاهات ومنها تتفرع إلى أرجاء العالم ، وهناك خمسة طرق رئيسة :

١ / **الطريق الشمالي** . وهذا الطريق يسير يسار نهر دجلة ماراً بما يأتي : خالص . زانكاباد . كفري . طوزخورماتو . داقوقا . كركوك . التون كوبري . الموصل ، وهذا الطريق يسلك الحافة اليسرى لنهر دجلة ، ثم طريق آخر بمحاذاة الحافة اليمنى لنهر دجلة ماراً بتكريت . قادسية . حديثة . ثم الموصل [٥] ، ثم يستمر إلى نصيبين ثم دارا وكفر

---

(١) الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٣١٨ ؛ صبر بصري " **العراق طريق تجاري عالمي** " ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، العدد ٨ ، السنة ٣ (بغداد ، ١٩٤٠) ، ص ٦٩٢ .
(٢) خصباك : العراق ، ص ١٣٥ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٧٥ .
(٣) العاني : التجارة الداخلية والخارجية ، ص ٣٢٢ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٢٢ .
(٥) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥ ؛ الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٢١ .

توثا وقصر بني نازع وآمد وميفارقين وارزن ، ويعد هذا الطريق من أهم الطرق التي تؤمن تجارة المنطقة الشرقية لبلاد الجزيرة خلال القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد [١] .

٢ / **طريق البصرة** . ويبدأ هذا الطريق من بغداد ماراً بالمدائن . فم الصلح واسط . الحُديب . وادي القراع . المثيرب . البصرة [٢] ،ثم يتجه شرقاً إلى الأحواز [٣] ، ثم كرمان وإلى الهند [٤] .

٣ / **الطريق الشرقي** . بغداد . بعقوبة . هارونية . جلولاء . خانقين . قصر شيرين . حلوان . ويستمر هذا الطريق عبر خراسان [٥] ، وقد ارتبطت الصين بالدول المجاورة لها بعدة طرق برية أهمها الطريق الذي يتجه غرباً والمعروف بطريق الحرير Silk – Road وعن هذا الطريق تصدر الصين منتوجاتها الفائضة وتستورد ما تحتاجه من السلع [٦] . وكان التجار يجتازون أواسط آسيا إلى الصين عبر ممرات معروفة لتجار الحرير [٧] .

٤ / **الطريق الجنوبي** . طريق الحج من بغداد . الكوفة . القادسية . العذيب . واقصة . الثعلبية ، ثم إلى بستان عامر ومنه الى مكة ، وهناك طريق آخر من الكوفة عند معدن النقرة ، ثم إلى مكة وتواصل سيرها نحو الجنوب إلى اليمن [٨] .

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥ ؛ محمد : الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٣٠٣ ؛ محمد ضامن : امارة حلب في ظل الحكم السلجوقي (دمشق ، دار أسامة ، ١٩٩٠) ، ص ٣٢٥ .

(٢) الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٢١ . غنيمة : تجارة العراق ، ص ٥٠ .

(٣) غنيمة : تجارة العراق ، ص ٥٠ .

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٤ .

(٥) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٣ . ٢٤ ؛ الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٣١٩ .

(٦) طارق فتحي سلطان :العرب والصين في القرون الوسطى (دراسة سياسية حضارية) ١ . ٧٦٩ هـ / ٦٢٢ . ١٣٦٨ م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٠) ، ص ١٤٤ .

(٧) كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الأمبراطورية العثمانية ، نقله إلى العربية : بدر الدين قاسم ، الطبعة الأولى (بيروت ، ١٩٧٢) ، ص ٢١٩ .

(٨) حسين علي المسري : تجارة العراق في العصر العباسي ، جامعة الكويت (الكويت ، ذات السلاسل ، ١٩٨٢) ، ص ٢٨٨ ؛ غنيمة : تجارة العراق ، ص ٥٠ .

٥ / **الطريق الغربي** . إلى بلاد الشام ومصر والأندلس . يبدأ من بغداد، عقرقوف . الأنبار . هيت . الرقة . دمشق . طبرية . غزة . القاهرة . الاسكندرية . افريقية (تونس) ومنها إلى الأندلس[١] .

ج . **الطرق البحرية** :

١ / **الطريق الأول** . السفن الخارجة من البصرة والأبلة [٢] والتي تقصد الهند والصين وتمر في طريقها عبر الخليج العربي باتجاه مسقط ، ثم تتجه نحو الديبل ، ثم حول الهند إلى خليج البنغال ، وإلى جزر النيكوبار ، ثم كله بار في ملقا ، ومنه إلى سومطرة ، ثم دلتا نهر ميكونج ، وإلى كمبوديا ، وأخيراً إلى خانقو (كانتون) ميناء الصين العظيم [٣] .

٢ / **الطريق الثاني** . وتسلكه السفن القادمة من الهند مارة بميناء سيراف ، ثم الخليج العربي إلى ميناء البصرة [٤] .

٣ / **الطريق الثالث** ـ إلى سواحل أفريقيا والبحر المتوسط ، ويبدأ هذا الطريق من الأبلة فيمر بالخليج العربي وينتهي عند عُمان ، ثم يدور حول سواحل جزيرة العرب ماراً بظفار ، ثم الشحر . آبين ثم عدن . ثم يتفرع طريقان من عدن الأول يذهب إلى سواحل افريقيا الشرقية والآخر يسير في البحر الأحمر، ثم يصعد إلى البحر المتوسط ، وهذه الطرق صالحة للملاحة طوال أيام السنة [٥] .

وكانت للعرب معرفة بهبوب الرياح الموسمية وبمواعيد هبوبها واتجاهاتها ، حيث كانت الوسيلة الوحيدة التي تستطيع السفن الابحار بها [٦] .

---

(١) المسري : تجارة العراق ، ص ٢٨٧ ؛ العاني : التجارة الداخلية والخارجية ، ص ٣٢١ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٧٧ ؛ سلطان : العرب والصين ، ص ١٤٩ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٤ ؛ ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٢ / ٩١٣ ، ٣ / ١٣٤١ .

(٤) غنيمة : تجارة العراق ، ص ٤٨ ؛ الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ١٠١ .

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٦١ ؛ النويري : نهاية الأرب ١ / ٢٤١ .

(٦) نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٨٥ .

٢ . المراكز التجارية والأسواق :

تمتع العراق بموقع متوسط بين بلاد الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية وبلاد الروم والأقاليم الشرقية واتبعت الخلافة حرية التجارة ، فلم يضعوا قيوداً امام التجارة (١) .وأصبحت بغداد في العصور العباسية مركزاً تجارياً كبيراً ، فهي المركز الرئيس لتجارة العراق الداخلية والخارجية يقصدها التجار من جميع أنحاء العالم (٢) . واستمرت إلى ما بعد سقوط الخلافة العباسية (٣) .

وقد وصف التجار والجغرافيون بغداد بأنها مزدهرة بأسواقها وتجارتها ، فقد وصفها الرحالة بنيامين التطيلي : (٤) " ولها تجارة واسعة يقصدها التجار من جميع أنحاء العالم للبيع والشراء "، مما يدل على أن لها مكانة وشهرة عالمية وكونها سوقاً ومخزناً للبضائع للقرى المحيطة بها (٥) . ويذكر ابن جبير (٦) اثناء زيارته لبغداد سوق " زريران " وسوق قرية " صرصر " ومن محلات بغداد وأسواقها " العتابية " التي تصنع فيها أجود أنواع الثياب .

وذكر ياقوت الحموي (٧) بعض أسواق بغداد ومحلاتها مثل " التستريون " التي تصنع بها الثياب ، كما وصف بغداد وعماراتها وأسواقها الرحالة المغربي أبن سعيد (٨) (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) إذ ذكر كثرة هذه الأسواق في بغداد ، واستمرت إلى القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد وكان أعظم أسواقها(سوق الثلاثاء) (٩)، فضلاً عن " سوق عبد الواحد " و" سوق العطش " و " سوق يحيى " (١٠) و" سوق الريحانيين " الذي يقع في

---

(١) العاني : التجارة الداخلية والخارجية ، ص ٣٠٦ .

(٢) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

(٤) رحلة بنيامين ، ص ١٣٩ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٣٨ .

(٦) الرحلة ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ .

(٧) معجم البلدان ٢ / ١٣ ، ١٥ .

(٨) الجغرافيا ، ص ١٥٨ .

(9) Duri . A . A . Baghdad . The Encyclopaedia of Islam , New Edition . London 1960 . Vol . , 1 , P . 895 .

(١٠) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٢ / ٧٥٦ .

وسط بغداد ، وتباع فيه الأزهار والعطور والفواكه و " سوق العطارين " [١] و" سوق البزازين " [٢] ، و " سوق الخشب " [٣] ، و " سوق الخيل " [٤] ، و " سوق الصفارين " ، و " سوق الدباغين " . وبعض الأسواق كانت تسمى بأسماء الأشخاص مثل " سوق العميد " [٥] ، و " سوق السلطان " [٦] أو يكون السوق باسم المكان مثل " سوق القنطرة " [٧] .

وقد وصف ابن بطوطة [٨] بغداد بجانبيها الشرقي والغربي ، وقال بأن الجهة الشرقية منها أسواقها عامرة بلسلع ومرتبة بشكل جميل ، وكان الخليفة العباسي غالباً ما كان يراقب الأسواق بنفسه متنكراً ومتجولاً فيها للوقوف على أحوالها والاطمئنان على استقرار الأسعار كما فعل الخليفة الناصر لدين الله [٩] .

ويلي بغداد في الأهمية التجارية مدينة البصرة ، وهي تمتاز بموقع جغرافي جيد وهي باب العراق ومحط التجارة الشرقية ملتقى القوافل الآتية من الصحراء [١٠] . يقول ابن بطوطة [١١] : " وهي مجمع البحرين الآجاج والعذب " ثم اصبحت البصرة منطقة لتجارة الهند وسرنديب " سري لانكا " وجزائر الهند الشرقية والصين ، واشتهرت صناعاتها وعظمت ثروتها [١٢] .

وقد وصف ابن الفقيه [١٣] أهل البصرة ، وقال : " واشتهر أهل البصرة بالأسفار التجارية إلى كل الجهات حتى ضرب المثل في ذلك فقالوا : وأبعد الناس نجعة في

---

(١) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٢ / ١٣٢٢ .
(٢) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٩٥ .
(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٥١ .
(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٠٠.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ ، ٢٨٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .
(٨) تحفة النظار ، ص ٢١٩ .
(٩) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١١٩ .
(١٠) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١١٧ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٣٣٦ .
(١١) تحفة النظار ، ص ١٨١ .
(١٢) زيدان : تاريخ التمدن ٢ / ١٧٧ .
(١٣) مختصر كتاب البلدان ، ص ١٩١ .

الكسب بصري ... ومن دخل فرغانة (في الشرق) والسوس الأقصى (في الغرب) فلابد أن يرى بها بصرى أو حيرى " . وذكر ياقوت الحموي (١) بعض منتجاتها الحيوانية كاللبن ، كما ذكر شهرتها بالكتان وبجودته وحملت اسمه حتى سميت (بصرة الكتان) .

وأسواق البصرة تشبه أسواق بغداد من حيث السعة ، وفيها الدكاكين والخانات ، وأشهر أسواقها " الكلاء " (٢) وسوق " المربد " . وقد وصف ابن بطوطة (٣) البصرة في زيارته للعراق فوصف مزروعاتها وكثرة بساتين نخلها مما جعلها تصدره إلى بقية أطراف العراق كبغداد والموصل ، مما يؤكد أنها استمرت على نشاطها التجاري حتى القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد .

وكانت الأبلة مركز تجارتها البحرية (٤) ، وكان يوجد في ميناء الأبلة فنارات لارشاد السفن من الارتطام بالصخور ليلاً (٥) . أما واسط فهي مدينة مهمة ومحطة تجارية بين بغداد والبصرة (٦)،وأنها ذات تجارة رائجة وأسواقها عامرة ،وبقيت حتى سقوط الخلافة العباسية (٧) . أما الكوفة التي تقع على طرف الوادي الخصيب قرب الصحراء ، وكانت محطة مهمة في طريق الحج ، ملتقى القوافل القادمة من الصحراء (٨) ، فقد ذكرها ابن جبير (٩) في زيارته للعراق ، وقال : " والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر ". أما جانبها الغربي خرب والسبب في ذلك هجمات عرب خفاجة ، وأكد ذلك ابن بطوطة (١٠) ، واستمرت حالة خراب الجانب الغربي وعمارة الشرقي حتى المائة الثامنة للهجرة ، فانتقلت تجارة الكوفة إلى النجف وأصبحت لأسواقها شهرة واسعة خاصة بالمناسبات الدينية (١١) . ومدينة الحلة كان لها نشاط تجاري في العصر

---

(١) معجم البلدان ١ / ٤٤٠ .

(٢) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣ / ١١٧٣ .

(٣) تحفة النظار ، ص ١٨١ ؛ الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ١٠٧ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٣٦ .

(5) Willson Arnold . T : (The Persian Gulf) . (London 1959) . P . 98 .

(٦) الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ١٠٨ .

(٧) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٨٢ .

(٨) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ١٧٤ .

(٩) الرحلة ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

(١٠) تحفة النظار ، ص ٢١٣ .

(١١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٨٧ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٠٩ . ١١٠ ، ص ١٣٧ .

العباسي الأخير ، فقد زارها ابن جبير [١] ، وقال : " هي مدينة كبيرة ... ولهذه المدينة أسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية " .

ومن المراكز التجارية الأخرى في العراق مدينة تكريت وصف أسواقها المزدهرة ابن جبير [٢] قال : " هي مدينة كبيرة واسعة الأرجاء فسيحة الساحة حفيلة الأسواق ... غاصة بالخلق ... " . وقد حافظت المدينة على ازدهار تجارتها ، يصف ابن بطوطة [٣] المدينة وأسواقها المزدحمة التي تؤكد على وجود نشاط اقتصادي كبير .

استغل التجار مهارتهم التجارية وانماء أموالهم فكانوا يسافرون في تصريف بضاعتهم مما أدى إلى نشوء طبقة من التجار وكانوا يشتركون مع غيرهم في استثمار أموالهم في مشاريع تجارية واسعة لتحقيق أرباح كثيرة ، لذلك يحدثنا الدمشقي عن ثلاثة أصناف من التجار [٤] الركاض [٥] والخزان [٦] والمجهز [٧] .

كانت الخلافة العباسية تعنى بالأسواق وتولي لها عناية كبيرة ، وتقوم بمراقبة هذه الأسواق وكانت هذه المهمة من صميم مهام المحتسب في بغداد [٨] وباقي المدن الرئيسة في العراق والقائم بها يسمى " العامل على السوق " [٩] ، وأصبحت الحسبة في أواخر العصر العباسي ذات أهمية بحيث أوكلت رقابة الأسواق وملحقاتها والتجار إلى المحتسب [١٠] ، ومن واجبات المحتسب التأكد من صحة المكاييل والأوزان [١] ، وتدقيق انتظام العقود

---

(١) الرحلة ، ص ١٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٦ .

(٣) تحفة النظار ، ص ١٨٦ .

(٤) الدوري : مقدمة ، ص ٧٠ ؛ بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ١٩٣ . ١٩٤ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٨٧ .

(٥) **الركاض** : وهو التاجر الذي يتعامل مع بلدان مختلفة وهو كثير الأسفار ، وعليه أن يتعرف على أسعار بضائع تلك البلدان . الدمشقي : الاشارة إلى محاسن النجارة ، ص ٥١ .

(٦) **الخزان** : وهو التاجر الذي يشتري البضاعة وقت توافرها وكثرة البائعين لها، ثم يحفظها وينتظر أن تنعكس الظروف فتصبح البضاعة قليلة. الدمشقي: الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٤٨ . ٥٠ ، ٥١ .

(٧) **المجهز** : وهذا التاجر لا يسافر من بلد إلى آخر بل يكون له وكلاء، ويجمع البضائع التي يشتريها. الدمشقي : الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٧٠ . ٧٥ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٦٥ .

(٩) نقولا زيادة : الحسبة والمحتسب في الاسلام (بيروت ، ١٩٦٣) ، ص ٣١ .

(١٠) كاهن : تاريخ العرب ١ / ٢٠٢ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٠٣ .

والاتفاقيات التجارية والتأكد من سلامة النقد وعدم تزييفه [٢] . ومحاربة الاحتكار ويجبر المحتكر على بيع البضاعة ،ويقوم بفرض الأسعار على المواد التجارية وفي بعض الأحيان تكون هذه الأسعار اجبارية [٣] ، كما حدث سنة ٦٤٠ هـ /١٢٤٢ م عندما أمر الخليفة المستعصم بالله المحتسب عبد الرحمن بن الجوزي بتقرير سعر مسترخص للحنطة وغيرها ، فأحضر أصحاب الغلات فألزمهم باتباع تلك الأسعار وأخذ تعهداً بذلك [٤] . وقد يحدث أن تقوم الخلافة نفسها بالتجارة في بعض الحالات التي تشتد فيها المجاعة تأميناً منها للمواد الغذائية،وقد كانت تحتكر في بعض الأحيان الاتجار ببعض الأصناف أو المواد كبيع الذهب الخام [٥] .

٣ . الواردات والصادرات :

تعتمد الخلافة العباسية على التبادل التجاري (الواردات والصادرات) في تحسين أوضاعها الاقتصادية والصرف على المشاريع الحيوية . إذ أن واردات العراق قسم منها يأتي من البلاد العربية والاسلامية والقسم الآخر من البلاد الأجنبية ، فكان يرد من بلاد الشام المنسوجات الحريرية والقطن والمنسوجات القطنية والميازر وزيت الزيتون والسكر والزجاج والفواكه [٦] . ومن الجزيرة العربية الخيل ونجائب الأبل والأدم والأحذية والنعام والقنا لعمل الرماح [٧] . ومن اليمن البرود والأدم والعنبر الثمين والديباج والزعفران والبخور والدروع والسيوف والبغال والحمير والمسابح [٨] ، ومن مصر النسيج القطني والمنسوجات الصيفية والبغال والقراطيس والحمير [٩] .

---

(١) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٢١٩ .
(٢) كاهن : تاريخ العرب ١ / ٢٠٢ .
(٣) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٦٥ .
(٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٢ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٠٤ .
(٥) بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ١٩٥ .
(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٨٠ . ١٨١ .
(٧) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٣ .
(٨) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٩٧ ؛ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٧١ .
(٩) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٢ ؛ المقدسي : أحسن التقاسم ، ص ٢٠٣ . ٢٠٤ ؛ الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ٩٧ .

واشتهرت مصر بنوع من النسيج هو " الديبقي " نسبة إلى مدينة مصرية تسمى الديبق كانت تصنع المنسوجات للخليفة العباسي [١] ، ويذكر ابن بطوطة [٢] عند زيارته لمصر أن مدينة " أبيار " المصرية تصنع نوعاً من الثياب غالي الثمن يستورده العراق، كما استورد السكر من مصر في أواسط القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد [٣] ، ومن شمال افريقية اللبود " قماش للسروج "، والبرود ، وثياب الصوف والنمور والفرو ، والرقيق والجواري والسيوف [٤] ، ومن الأندلس استورد أجود أنواع النحاس والزئبق والأقمشة القطنية والجواري [٥] . ومن ايران السجاد والفواكه والبسط المطرزة والسكر والزمرد والفستق [٦] . ومن الهند التوابل والأحجار الكريمة والكافور والعنبر والعود الهندي ، وجلود النمور والصندل الأبيض وجوز الهند والفيلة والرماح والقطيفة [٧] والحديد والرصاص [٨]. ومن بلاد ما وراء النهر القطن، الكاغد ، المنسوجات الحريرية والملابس الصوفية وفرو السمور والسنجاب والرقيق التركي والأسلحة [٩] ، ومن أواسط آسيا الفواكه والأبسطة والورق والمواد الخام [١٠] . ومن بلاد الروم الديباج والثياب الكتانية والأرز والبسط [١١] . ويذكر ابن بطوطة [١٢] عند زيارته لهذه البلاد أن البسط المنسوبة إليها تصنع من صوف الغنم لا مثيل لها في بلد من البلدان ومنها تحمل إلى العراق . ومن أرمينية استورد العراق البسط الرقاق والسجاد والستائر والمنسوجات الصوفية [١٣] . ومن افريقيا العاج والرقيق والذهب [١]

---

(١) الدمشقي : الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص٤٦؛ أشتور:التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص ٢٩٧ .
(٢) تحفة النظار ، ص ٢٦ .
(٣) أشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص ٣٠٨ .
(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٢ .
(٥) الدمشقي : الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٢٩ ؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ٢٥٢؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٣ .
(٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ١٦٩ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٢ ؛ غنيمة : تجارة العراق ، ص ٥٠ ؛ بيليايف : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٩ .
(٧) اليعقوبي : البلدان ، ص ٣٤٦ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ .
(٨) بيليايف : الحالة الاجتماعية ، ص ٣٩ .
(٩) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٢٦ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٢ .
(١٠) الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٢٣٤ .
(١١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٤٦ .
(١٢) تحفة النظار ، ص ٢٨٤ .
(١٣) البغدادي : تاريخ بغداد ، ص ٥٢ .

. ومن الصين الحرير والديباج والجواري واللبود والعقاقير والدارصيني والمسك والأقفال وأواني الذهب والفضة والسروج والكاغد [٢] ، ودخل الخزف الصيني قائمة المستوردات إلى العراق [٣] .

أما صادرات العراق إلى مختلف أرجاء العالم فكانت تشمل السلع الآتية : الأقمشة القطنية والمنسوجات الحريرية والمناديل والأزر والعمائم والأدوات الزجاجية والدهون والمعاجين والأدوية والتمور والخز وماء الورد والحناء والبسط والوسائد والستور والحصران والكامخ والفواكه [٤] والبلور الذي امتاز بجودة صناعته وهو أفضل مما يصنع في الصين ،لأن الصناع في العراق يضيفون مادة البوراكس إلى المواد الخام لذلك يكون أنقى وأنصع من البلور الصيني [٥] .

٤ . المعاملات التجارية :

نظراً لموقع العراق الذي يتوسط العالم القديم وازدهار الحركة التجارية فيه نجده يؤدي دور الوسيط في النشاط التجاري [٦] ، فأصبحت للتجارة نظم وقوانين واصطلاحات خاصة بها لم تكن موجودة قبل هذه المدة [٧] .

ومما يؤكد نشاط التجارة تطور المؤسسات المالية والصيرفية في العصر العباسي الأخير ، فقد كان للطرفين دور مهم في تسليف التجار وتنشيط معاملاتهم ، وفي توسيع

---

(١) كاهن : تاريخ العرب ١ / ٢٨٨ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٩١ .

(٢) ابن الفقيه : مختصر البلدان ، ص ٢٥٣ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٢ . ١٦٣ .

(٣) زكي محمد حسن : الصين وفنون الاسلام (القاهرة ، دار الآثار العربية ، ١٩٣٧) ، ص ٣٥ ؛ سلطان : العرب والصين ، ص ١٧٠ .

Simkin C . G . F . The traditional Trade of Asia “ London 1968 “ . P . 87 .

(٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٠ . ١٦١ ؛ الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٢٤ . ٣٢٥ ؛ شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ٤١ . ٩٠٤ هـ / ٦٦١ . ١٤٩٨ م (الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٩٠) ، ص ٢٠٧ ؛ العاني : التجارة الداخلية والخارجية ، ص ٣١٩ .

(5) Richards . D . S : Islam and the trade of Asia “ Penncylvnia ,1970 “ . P. 163 .
نقولا زيادة : " **الجزيرة العربية في كتابات المؤرخين الصينيين** " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٦ (الرباط ، ١٩٧٨) ، ص ١٤٢ ؛ مشرقيات ، ص ١٦٦ .

(٦) سلطان : العرب والصين ، ص ١٩٤ .

(٧) الجميلي : عصر الخليفة المستنصر بالله ، ص ١١٠ .

نطاق الائتمان [١]، وكانت للطرفين مراكز خاصة بهم أحياناً مثل " درب عون " في بغداد و " حلقة أصحاب العينة " في البصرة [٢] ، ونتيجة لذلك ظهرت وظائف مالية فيما يأتي أهمها :

١ . الجهبذة :

أو الجهبذ كلمة قديمة يعرّفها الزبيدي [٣] : " الخبير بخواص الأمور البارع العارف بطرق النقد " . في حين يعرّفها الفيروزآبادي [٤] : " الناقد الخبير " . ويترجم آدم متز [٥] كلمة " جهبذ " بـ " صاحب مصرف " Banker ، وكان في بغداد ديوان خاص يسمى " ديوان الجهبذة " [٦] ومن واجباته الرئيسة أنه يعد في نهاية كل شهر وكل سنة حساباً بالدخل والخرج وأن يقدمه إلى بيت المال [٧] ، وتطورت بعد ذلك وأصبحت الوظيفة المالية الحكومية التي تسند إلى موظف له الخبرة الكافية بشؤون الصرف والعملات وأنواعها ومقدار قيمتها وفقاً لأسعار الصرف السائدة في السوق [٨] .

٢ . النقود :

لقد أصاب النقود نوع من الاستقلال والنشاط في عهد الخليفة الناصر لدين الله وصارت تضرب في أيامه ببغداد ،إلاّ في بعض حالات استثنائية ، ففي عهد الخليفة المستعصم بالله ضربت بإربل وحدث فيها بعض التبدل [٩] . ويشرف على دار

---

(١) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص ٧٠ . ٧١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٧١ .
(٣) تاج العروس ٢ / ٥٥٨ .
(٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، نشر: مصطفى البابي الحلبي (مصر ، ١٩٥٢) ١ / ٣٥٢ .
(٥) الحضارة الاسلامية ، ص ٣٧٤ . ٣٧٥؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٨٣ . ٨٤ .
(٦) المرجع نفسه ، ص ١٨٥ .
(٧) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٣٦ . ٣٧ ؛ بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ١٩٤ .
(٨) أمل عبد الحسين السعدي : الصيرفة والجهبذة في العراق من القرن الثاني إلى نهاية القرن السابع الهجري ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٥) ، ص ١٨٢ .
(٩) عباس العزاوي : تاريخ النقود العراقية ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، العدد الأول ، السنة الرابعة ، كانون الثاني (بغداد ، ١٩٤١) ، ص ٢٢٢ .

الضرب وكيل الخليفة ويسمى " متولي دار الضرب " [١]. وحرصت الخلافة على سلامة النقود وصيانتها من التلاعب [٢] .

كان التعامل في العراق خلال العصر العباسي الأخير يقوم على أساس مزدوج هو الدينار الذهبي والدرهم الفضي ، وكان الدينار يساوي مثقالاً منن الذهب والدرهم سبعة أعشار المثقال من الفضة ، وكان الدينار يساوي اثنى عشر درهماً [٣] .

٣ . **الصيرفة :**

الصرف بيع الثمن بالثمن بشروط خاصة تحددها حالة السوق ، وقد تولى الصرافون في أسواق العراق عملية تبديل النقود من فئة إلى أخرى [٤] . وكان لصيارفة بغداد خبرة كبيرة في هذا المجال وخاصة في اختيار ومعرفة الذهب المغشوش وتعتمد الخلافة عليهم في مراقبة سلامة النقد من الغش ولهم أساليبهم وطرقهم الخاصة في ذلك [٥] .

وكان لظهور النظام المصرفي وتجمع النقود والاندفاع نحو الغنى والجشع وخوف التجار على أموالهم من سيطرة الخلافة ووضع يدها على الثروات الخاصة عن طريق المصادرة أثّر في إيجاد أماكن أكثر أمناً وحفظاً على أموال التجار ، فظهرت بيوتات مالية أو شركات باتفاق عدد من التجار والصيارفة اتفقوا فيما بينهم [٦] .

ثم أدى توسع التجارة في العصر العباسي إلى نشاط الصرافين فأخذوا يتعاملون بالتسليف ويقبلون الودائع ، وكان أغلبهم يتعاملون مع الخلافة فضلاً عن تعاملهم مع الشعب [٧] .

كما أن تجار العراق كانوا مضطرين إلى التعامل مع الصرافين نظراً لأن أقاليم الخلافة في الشرق كانت تتعامل بالدراهم في الأغلب ، في حين كانت الأقاليم الغربية

(١) حمدان الكبيسي : النظام النقدي في الدولة العربية الاسلامية، الطبعة الأولى(بغداد ، ١٩٨٨)،ص ٤٥.
(٢) نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٩٢ .
(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٢٣ . ٢٢٤ ؛ خصباك : العراق ، ص ١٢٠ . ١٢١ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية، ص ٩٢ .
(٤) العاني : التجارة الداخلية والخارجية ، ص ٣٣٤ .
(٥) الدمشقي : الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٢٤ . ٢٥ .
(٦) الشيخلي : الأصناف في العصر العباسي ، ص ٢٢ . ٢٣ .
(٧) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٩٢ .١٩٣.

تتعامل بالدنانير الذهبية ، وهكذا تطورت حركة الصيرفة في أسواق العراق واستمرت في تسليف النقود وتبديل العملات وصرف الصكوك والسفاتج [١] . وكانت وسائل التعامل النقدي تجري بطرق وهي :

أ . التعامل دون اللجوء إلى استعمال النقود بل يستخدم بدلها :

١ . **السفاتج** . وهي أهم أداة للمعاملات الخاضعة للائتمان ، وقامت السفاتج بدور الحوالات والهدف من استعمالها هو نقل النقود من مكان إلى آخر ، ويقصد بها أن يعطي رجل مالاً لآخر وأخذ هذا المال في بلد المعطي فيوفيه اياه هناك ، فهذه الطريقة وجدت لتجنب أخطار المواصلات والطرق من اللصوص [٢] ، وقد بلغت بعض السفاتج ثلاثين أو أربعين ألف دينار وهو مبلغ كبير لذلك تعد السفاتج خير وسيلة لنقل الأموال من مكان إلى آخر [٣] .

٢ . **الصكوك** . وهي وسيلة أخرى من الوسائل الائتمانية والمصرفية وهو أمر خطي يدفع مقدار من النقود إلى الشخص المسمى فيه بعد أن يوقع عليه الشخص المخول بذلك ايذاناً لصرف المبلغ المدون فيه [٤] ، واستخدمت الصكوك لتسديد القروض والديون للخلافة أو للأفراد [٥] ، وهو أفضل طريقة للمعاملات التجارية داخل البلد أو خارجه [٦] .

وتولى أعمال الصيرفة في العراق أهل الذمة ، وعدد من المسلمين وكانت المؤسسات المصرفية والمالية قدمت الكثير من الخدمات ليس للتجار فحسب وإنما للحكومة وأفراد الشعب وسهلت عمليات تبادل النقود في مراكز المدن والأسواق [٧] .

---

(١) العاني : التجارة الداخلية والخارجية ، ص ١٣٥ ؛ بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ١٩٤ ؛سلطان : العرب والصين ، ص ١٩٧ .
(٢) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٩٥ ؛ بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ١٩٤ .
(٣) بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ١٩٤ .
(٤) العاني : التجارة الداخلية والخارجية ، ص ٣٣٢ .
(٥) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٩٩ .
(٦) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص ٧٠ .
(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٦٨ ، ٣٥٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٨١ .

ب . التعامل بالمقايضة " التبادل " : وهي طريقة يتم بموجبها مبادلة البضائع والسلع مع مراعاة النوعية أو الكمية للسلع التي يجري تبادلها ما بين التجار وبالاتفاق دون اللجوء إلى استخدام النقود (١) .

٥ . واقع النشاط التجاري :

لقد تأثرت الحركة التجارية في العصر العباسي الأخير بسبب انقسام العالم الاسلامي إلى دول متعددة أدى إلى تناحر سياسي وصراعات من قبل السلاجقة في العراق ومن بعدهم الخوارزميين في بلاد ايران وما وراء النهر، واتفاقيات الخليفة الناصر لدين الله مع الغوريين والاسماعيلية ضدهم فأصيبت التجارة بضعف كبير (٢) .

وقد أدت الحروب الصليبية المستمرة هي الأخرى إلى تدهور التجارة وانتقال العديد من التجار الذين كانوا قد حوّلوا تجارتهم إلى بلاد الشام وأصبحوا لا يبالون إلاّ بمصالحهم الخاصة وذلك لتضخيم ثرواتهم دون أي مشاركة للنهوض بدولهم (٣) .

كما أدت هجمات المغول في بداية القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد إلى اضطرابات وضعف الأمن في الشرق الاسلامي بوجه عام ومن ثمَّ إلى ضعف الاتصال التجاري بين شرق آسيا وغربها (٤) . لهذا تضاءل دور مواني الخليج العربي وتحولت التجارة عن طريق البحر الأحمر التي كانت أكثر أمناً مما أدى إلى ازدهار البلدان الواقعة على البحر الأحمر كاليمن والحجاز ومصر (٥) ، وعندما حاصر غياث الدين خسرو شاه صاحب آسيا الصغرى (بلاد الروم) مدينة طرابزون سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م بسبب خروج صاحبها عن طاعته ، انقطع الطريق التجاري القادم من بلاد العرب إلى طرابزون وآسيا الصغرى فلحق بالتجارة الضرر ،إذ كان التجار من العراق يقصدون هذه الطرق (٦) .

---

(١) بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ١٩٤ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، الطبعة الأولى (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥) ، ص ٢٦٥ ؛ عباس العزاوي : تاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام إلى آخر العهد العثماني (بغداد ، شركة التجارة والطباعة ، ١٩٥٩) ، ص ٣١ . ٣٢ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٧٤ .

(٣) عثمان تجارة المحيط الهندي ، ص ١٨٣ .

(٤) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول (القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٤٩) ، ص ٢٩١ .

(٥) عاشور : العصر المماليكي ، ص ٢٩٧ ؛ بروي : تاريخ الحضارات العام ٣ / ٥٥١ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٧٤ ؛ غنيمة :تجارة العراق قديماً وحديثاً ، ص ٤٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٩ / ٢٨٤ ؛ المسري : التجارة في العصر العباسي ، ص ٣٠٩ .

ويذكر ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م أن جيوش المغول بلغت مدينتي حران والرها وصادفوا قوافل قادمة من بلاد الروم متجهة جنوب بغداد فعمدوا إلى مهاجمتها وقتلوا من فيها ونهبوها ، فكتب ابن الصلايا والي أربل إلى الخليفة المستعصم بالله في بغداد يخبره بما حدث [١] . وقد أصاب الطرق التجارية الكثير من الصعوبات بسبب توتر العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية ، فضلاً عن تعرضها إلى هجمات المغول منذ سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م .

وكانت التجارة مرتبطة بالسياسة ، وكثيراً ما سيطر التجار في حوادث كثيرة وأصبح للتجار نفوذ اجتماعي كبير ، بل أن بعضهم كان يؤثر في رجال الكم تأثيراً ملحوظاً وهذا يدل على أن لهم مكانة كبيرة في المجتمع لما لهم من ثروة عظيمة كان لها الأثر الكبير في المجريات السياسية والاقتصادية للبلد [٢] . فقد أرسل الخليفة الناصر لدين الله إلى صلاح الدين الأيوبي " توقيع بعشرين ألف دينار تقترض على الديوان العزيز من التجار " في بلاد الشام [٣] .

إلاّ أن اضطراب الحياة الاقتصادية قد أثّر إلى حد بعيد في تباين المسكوكات من حيث العيار والوزن والحجم ، فضلاً عن أنها غير منسجمة ، فمنها الجيد ومنها الردئ الرخيص [٤] ، وظهر في هذه التعامل بالقراضة ، وقد ذكر ابن جبير [٥] أثناء زيارته لبغداد أن أهلها يقرضون الدنانير الذهبية ، فأراد الخليفة المستنصر بالله اصلاح النظام النقدي فمنع التعامل بالقراضة سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م وأصدر بدلاً منها دراهم فضية جديدة تساوي كل عشرة منها ديناراً واحداً [٦] ، مما جعل الخلل بين واردات الدولة ومصروفاتها فترتب على ذلك نقصان كميات الذهب من السوق على النحو الذي يؤثر تأثيراً في قيمة النقد [٧] .

---

(١) الحوادث الجامعة ، ص ٢٦٠ . ٢٦١ ؛ المسري : التجارة في العصر العباسي ، ص ٣٢٩ .

(٢) نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٨٨ . ٨٩ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن محمد عماد الدين الأصفهاني العماد الكاتب : الفتح القسي في الفتح القدسي(ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٨٧ م) ، ص ٣٦٥ ؛ أبو شامة ، الروضتين ٢ / ١٥٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢ / ٣١٤ .

(٤) محمد : الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٣٣٢ .

(٥) الرحلة ، ص ١٧٤ .

(٦) ابن القوطي : الحوادث الجامعة، ص٧٠ .٧١؛ للمزيد .ينظر: خصباك : العراق ، ص ١٢٠ . ١٢١.

(٧) الجميلي : عصر الخليفة المستنصر ، ص ١١٤ .

الفصل الثالث

موارد الخلافة ونفقاتها

أولاً . موارد الخلافة المالية :

١ . الضرائب الشرعية

تعد ضريبة (الخراج والجزية) من أهم ايرادات الخلافة والتي أقرتها الشريعة وأكد عليها الفقهاء ، فضلاً عن ان الخلافة قد سعت إلى فرض ضرائب أخرى تعد مصدراً آخر لبيت المال تستثمر للانفاق على مؤسساتها ومصالحها التي تعد مهمة ، والتي كان ظهورها بين حين وآخر مقروناً بحالة الوضع السياسي والاقتصادي للخلافة العباسية (١) .

أ . ضريبة الخراج :

وهي ضريبة تجبى من الأراضي الزراعية التي أصبحت تحت سيطرة الخلافة عنوةً وحرباً أي ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها (٢) . ويعود تقدير الخراج إلى رأي الامام بعد أن تؤخذ قابلية الأرض بعين الاعتبار وخصوبة التربة ونوع الحاصل ونوع السقي ، فضلاً عن البعد عن الأسواق (٣) ، وهناك طرق ثلاثة لفرض الضريبة على الأرض ، وهي :

١ . **طريقة المساحة** . وتفرض على وحدة المساحة من الأرض الزراعية (٤) ، وهي الضريبة التي تدفع نقداً أو عيناً أو بالطريقتين معاً (٥) . وهذا يعني أن الأراضي البور والمستنقعات لم تكن خاضعة للضريبة (٦) .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣١٤ .

(٢) قدامة : الخراج ، ص ٢٠٩ . ٢١٠ ؛ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٣٩ ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٦ ؛ عوف محمد الكفراوي : سياسة الانفاق العام في الاسلام (الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٩) ، ص ٤٨٨ .

(٣) يعقفوب بن ابراهيم أبو يوسف : الخراج ، تحقيق : محمد الباجي ، الطبعة الأولى (تونس ،١٩٨٤) ، ص ١٥٠ ؛ ابن آدم : الخراج ، ص ٥٦ ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٧ ؛ محمد بن الحسين الفراء أبي يعلى : الأحكام السلطانية ، صححه : محمد حامد الفقي ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص ١٥١ .

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩ .

(٥) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٦) الماوردي : الأحكمام السلطانية ، ص ١٤٩ .

٢ . **المقاسمة**. وهي الضريبة التي تدفع على حسب المحصول وتجبى عيناً [١]، وتسمى في الوقت الحاضر " المحاصصة " وتؤخذ نسبة معينة من الحاصل [٢] . أي تقدر بالنسبة المئوية وتفرض على المحاصيل الزراعية عند نضجها أي بعد حصادها [٣].

٣ . **المقاطع** . وهي الضريبة التي تدفع على وحدة المساحة من الأرض المزروعة [٤] ، وعلى أساس تسوية ثابتة بموجب ايجارات أو اتفاقات الخلافة والفلاحين[٥].

وعند قيام الخلافة العباسية كانت أكثر الأراضي غير مزروعة ولا يمكن اصلاحها إلاّ بنفقات كبيرة فأثّرت وأحدثت خللاً في موارد الخراج حيث طّبق نظام المقاسمة [٦] . فالخليفة المهدي (١٥٨ . ١٦٩ هـ / ٧٧٤ . ٧٨٥ م) أول من طبقها تخفيفاً عن كاهل الفلاح [٧] . غير أن حالة الفلاح أخذت بالتدهور والانحطاط خلال مدة التسلط البويهي والسلجوقي نتيجة لسيادة الاقطاع العسكري [٨] . واستعمال وسائل الشدة والقسوة في جباية الخراج [٩]، فضلاً عن زيادتها حتى تضاعف مقدارها [١٠] .

وفي العصر العباسي الأخير أصبحت الجباية عن طريق الاقطاعات والضمان ، فالاقطاع هو أن تقطع المنطقة أو المدينة لأحد الأفراد مقابل دفع مبلغ معين من المال

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩ ؛ سيد أمير علي : مختنصر تاريخ العرب ، ص ٣٦٦ .
(٢) المصدر نفسه : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٠٨ .
(٥) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٢٠٤ ؛ سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦٦ .
(٦) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩ ؛ محمد ضياء الريس : الخراج في الدولة الاسلامية ، الطبعة الأولى (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ص ٣٨٨ ؛ عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول (القاهرة ، ١٩٧٣) ، ص ١٥٢ .
(٧) العزاوي : تاريخ الضرائب العراقية ، ص ١٠٢ .
(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٠٠ .
(٩) المصدر نفسه ١٠ / ٢٠٠ .
(١٠) المصدر نفسه ١٠ / ٢٠٠ .

متفق عليه . أما الضمان فإنه يتم بتعهد أحد الأفراد بتقديم مبلغ معين للخلافة عن منطقة من المناطق مقابل جباية ضرائبها لنفسه (١) .

وعند مجيء الناصر لدين الله إلى الخلافة أوجد رسوماً جديدة في سياسته الضرائبية (٢) ، للاسهام في البناء الزراعي من جديد وتعمير ما خربه السلاجقة من مشاريع الري (٣) ، ففي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م أوعز الخليفة إلى صاحب الديوان بالخروج إلى الكوفة ليعد نخيلها ويستوفي الخراج من أهلها مما يؤكد طريقة المقاسمة في الجباية كما يدل على اعتمادها قبل هذه الفترة وهذا يعني أن خراج النخيل يؤخذ على أساس عدد الأشجار (٤) .

ويذكر أن الخليفة الناصر لدين الله زاد في الضريبة المفروضة على أهل بعقوبة إذ جعلها من (١٠) آلاف دينار في السنة إلى (٨٠) ألف دينار (٥) ويعد هذا شكلاً آخر من طرق جباية الخراج ، إذ يفرض على القرية مبلغاً مقطوعاً تشترك القرية جميعاً بدفعه ، وكان هذا الاجراء قاسياً لكنه يؤشر حاجة بيت المال إلى الأموال ،وعلى الرغم مما أثارته اجراءات الناصر فقد امتدح ابن جبير (٦) الأوضاع الاقتصادية في عهده .

وعند مجيء الخليفة الظاهر بالله الى الحكم (٦٢٢ـ٦٢٣هـ /١٢٢٥ـ١٢٢٦م) أدرك خطورة السياسة الضريبية التي انتهجها الناصر وما ألحقته بالفلاحين من أضرار مما دفعه إلى اتباع سياسة ضرائبية جديدة ، إذ قام بإسقاط جميع ما سنّه والده ، فأعيد استحقاق خراج بعقوبة السابق وهو عشرة آلاف دينار (٧) . ومما يؤكد سياسة الناصر من فرض ضرائب عالية أنه أوفد في عهده صاحب الديوان ببغداد إلى واسط لتحصيل الأموال فرجع في أيام الظاهر ومعه أموال كثيرة بلغت أكثر من مائة ألف دينار ، وعندما علم الظاهر

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٠٠ ؛ خصباك : العراق ، ص ١١٠ ، ١١٤ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٤٤ .

(٢) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤١٣ .

(٣) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٤٥، ٢٤٦ ؛ الاربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٤٢ ؛ الأيوبي : مضمار الحقائق ،ص ١٦٨ .

(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٢٢ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤١٣ .

(٦) الرحلة ، ص ١٨٤ .

(٧) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٤٥ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٦١٣ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٤٦ .

بذلك أبلغه خطياً بأن " يعاد إلى أربابه فلا حاجة لنا إليه " فأعيدت الأموال إلى أصحابها [١] .

لقد أدرك الخليفة الظاهر بالله ما سببته تلك السياسة التي ألحقت بأصحاب الأراضي أضراراً وخراب الكثير من الأشجار بسبب الإهمال وعدم العناية بالمحاصيل الزراعية جراء ارتفاع ضريبة الخراج في عهد الناصر فأمر أن لا يؤخذ الخراج إلاّ من كل شجرة سالمة ، وأما التالف فلا يؤخذ عنه شيء [٢] .

أما ضريبة الخراج وجبايتها في عهد المستنصر بالله والمستعصم بالله من بعده فكانت تسير على ما كان عليه في أيام الظاهر بالله إذ عدّت امتداداً لسياسته [٣] ، غير أن بعض الأراضي كانت تعطى إقطاعاً أو بالضمان [٤] .

وعلى الرغم من حرص الخلافة على تحصيل ضريبة الخراج بموعدها المقرر ، إلاّ أنه في سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ظهر اختلال في وارد المخزن وقلة واردات الخلافة فأمر الخليفة المستعصم بالله ، اقبال الشرابي بإحضار كاتب المخزن وسأله عن السبب فأجابه بأن أصحاب المناصب لم يسددوا ما استحق على مزارعهم من ضرائب فأمر الشرابي بتحصيلها ومنع هؤلاء من الزرع وأدخلت الأموال إلى المخزن وكانت كثيرة [٥] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٤٣ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٤٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٤٢ ؛ السيوطي تاريخ الخلفاء ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٥٨/١٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١١٣/١٣ .

(٤) أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٠٧ ؛ القزاز : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ١٢٤ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٤٤ .

(٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧٦ . ٥٧٧ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٨٩ . ٢٩٠ ؛ نجم : الأضاع الاقتصادية ، ص ١٤٧ .

ب . الجزية [1] :

فرضت على أهل الذمة ، وهي ضريبة الرأس وتجبى منهم مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان كونهم رعية لدولة واحدة ، ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمصالح الخلافة عامة [2]، استناداً لقوله تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [3] .

وتفرض الجزية على البالغين ولا تؤخذ من النساء ولا من الأطفال ولا من ذوي العاهات ولا من الشيخ الفاني ولا من الفقير المعدم [4] ، وكانت الجزية تجبى في المحرم (الشهر الأول) من كل سنة قمرية [5] . وتستعمل لفظة " جوالي "أحياناً محل لفظة جزية [6] . وكان مقدارها ثابتاً اقتداءً بما فعله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وهي دينار واحد (١٢ درهماً) على الفقير ، وديناران (٢٤ درهماً) على متوسطي الحال ، وأربعة دنانير (٤٨ درهماً) على الغني [7] ، ويدفع الذمي في بعض الأحيان الجزية عيناً من الثياب

(١) أصل كلمة الجزية من الجوالي (جمع جالية) وأصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطناً أخر وهم أهل الذمة الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عن جزيرة العرب (جالية) ثم نقلت هذه اللفظة إلى الجزية التي أخذت منهم واستعملت في كل مكان جزية تؤخذ وإن لم يكن صاحبها جلا عن وطنه .

ينظر : أبو يوسف : الخراج ، ص ٣ . ٥ ؛ الريس : الخراج والنظم ، ص ١٢٥ ؛ حبيب زيات : الخزانة الشرقية (أبحاث وأماليَّ في تاريخ الشرق وآدابه وحضارته في عهد العباسيين) (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٤٨) ، ص ٥٤ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٥٣٠ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٤١ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٤١ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٢٩ .

(٤) أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابي : المختار من رسائل الصابي ، نقحه وعلّق على حواشيه : الأمير شكيب ارسلان (بيرون ، دار النهضة ، د . ت) ، ص ١٤٠ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢١٩ .

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ . ١٤٦ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٨ /١١٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٥٣٠ ؛ فاضل عبد اللطيف الخالدي : النظم في العراق في أواخر العصر العباسي، ص ١٧٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٥٣٠ .

(٦) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢١٩ .

(٧) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٢٢ . ١٢٤ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٨ .

والدواب والأمتعة بدلاً من النقود تخفيفاً عن كاهلهم(١) ، وقد جرت بعض المحاولات لزيادة نسبتها أيام الخليفة الناصر لدين الله إذ تقدم محيي الدين محمد بن فضلان صاحب ديوان الجوالي بلزوم زيادة ما يتقاضى من أهل الذمة وفق المذهب الشافعي ، لكن الخليفة لم يلتفت إلى ذلك ولم يخالف ما هو يجري العمل به وأهمل طلبه (٢) .

وكان ديوان الجوالي مسؤولاً عن استيفاء ضريبة الجزية ، واستمر ذلك حتى سقوط الخلافة العباسية (٣) . وكان يعطي لمن يدفع الجزية وصل يثبت أداءه لها (٤) . وقد تدفع أقساطاً حسب امكانيات دافعها (٥) ، وإذا أسلم الذمي رفعت عنه الجزية (٦) .

وأصبح من مهام صاحب ديوان الجوالي متابعة رؤساء أهل الذمة بكتابة الجزية التي يستحصلون عليها من اتباعهم ومعرفة من أسلم ومن توفي ، وكذلك بالمواليد الجديدة وبالقادمين من أهل الذمة من خارج البلاد وتفقد أحوال الناشئين لمعرفة من بلغ من الصبيان (٧) .

وممن تولى هذا الديوان خلال هذه المدة أبو البدر بن حيدر المتوفى في عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م (٨) ، وابو الحسن علي بن رشيد الذي عيّنه الخليفة الناصر لدين الله في عام ٦٠٥ هـ / ١٢٧٧ م ناظراً بديوان الجوالي (٩) ، ومحيي الدين يوسف بن الجوزي الذي عزل سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (١٠) ، وكذلك محيي الدين محمد بن فضلان الشافعي المتوفى سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م (١١) ، وكانت الأموال التي تجبى عن طريق الجزية تشكل مورداً لا بأس به من موارد بيت المال (١٢) .

---

(١) النويري : نهاية الأرب ٨ / ٢٤٠ ؛ النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله ، ص ١٢٨ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧ . ٨ .

(٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص ٩ / المقدمة ض ؛ رفائيل بابو اسحاق : تاريخ نصارى العراق (منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا) (بغداد ، مطبعة المنصور ، ١٩٤٨) ، ص ٧٢ ؛ متز : الحضارة الاسلامية ، ١ / ٨٠ .

(٥) النويري : نهاية الأرب ٨ / ٢٤١ .

(٦) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ .

(٧) النويري : نهاية الأرب ٨ / ٢٤٢ . ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٨) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / المقدمة ض .

(٩) المصدر نفسه ٩ / ٢٥٩ .

(١٠) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٧ . ٨ .

(١١) الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٥ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٦٤ .

(١٢) النقيب : سياسة الناصر لدين الله ، ص ١٢٦ .

ولكن مما يؤسف له أن المصادر لا تشير إلى حجم وأعداد أهل الذمة في هذه المدة ، كما أن الديوان لم يكشف عن عدد المشمولين بهذه الضريبة ، ما يؤدي إلى صعوبة تقدير حجم الايرادات المالية المستحصلة منهم والتي كما أشرنا تمثل أحد موارد خزينة الخلافة .

ج . الزكـاة :

وتجبى " في الأموال المرصدة للنماء إما بأنفسها أو بالعمل فيها " [١] .

والزكاة أحد أركان الاسلام وهي أول ضريبة فرضت على الأغنياء والقادرين من المسلمين ، وكانت أول الأمر اختيارية أي ترك أمر دفعها إلى صاحبها تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [٢] . ثم أصبحت اجبارية، وتقوم الخلافة بجمعها واعادة توزيعها على مستحقيها لقوله تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ** ﴾ [٣] . وتوزع أموال الزكاة تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [٤] .

وأموال الزكاة منها : الظاهرة كالمواشي والحاصلات الزراعية ، والباطنة كالذهب والفضة [٥]، فضلاً عن تجارة المسلمين . وتؤخذ زكاة الزروع والثمار والنخيل وتبلغ هذه الضريبة العشر إذا كانت تسقى بصورة طبيعية سواء بماء المطر أم بالقنوات ونصف العشر ، إذا كان السقي بواسطة الآلة [٦]. أما زكاة المواشي والتي تشمل الأبل والغنم والبقر فيجب أن تكون سائحة في المراعي وكانت في ملكية صاحبها سنة واحدة وتصل حد النصاب [٧] .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٣ .

(٢) سورة المعارج ، الآيتان ٢٤ . ٢٥ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٦٠ .

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٨ . ١١٩ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢١٠ .

(٧) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٣٢ ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٠ . ١١١ . وينظر : الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢١٠ .

أما الذهب والفضة فيشترط النصاب ومقداره مئتي درهم شرعي [1] هذا بالنسبة إلى الفضة . أما الذهب فيكون النصاب عشرين مثقالاً وتكون مقدار الضريبة لكل منهما ربع العشر [2] . وكان أمر جباية الزكاة وتوزيعها خلال العصر العباسي الأخير قد اتبعت النصوص الشرعية ولم يرد ما يشير إلى وجود القوة في جمعها [3] .

٢ ـ الضرائب غير الشرعية :

منها ضريبة المكوس [4] أو العشور ، ففي عهد الخليفة الناصر لدين الله أعادت الخلافة ضرائب منها المكوس وكان السبب في ذلك حاجة الخلافة إلى الأموال وسياسة الناصر في التوسع واستعادة الممالك من المتغلبة [5] .

ويؤخذ المكوس أو العشور على أموال وعروض أهل التجارة الذين يقدمون بها من دار الحرب إلى بلاد الاسلام [6] . وكان مقدار الضريبة من التاجر المسلم ربع العشر ، ومن أهل الذمة العشر ومن تجار دار الحرب العشر [7] ولا تجب العشور إذا كانت أقل من مائتي درهم [8] . أما التجارة داخل البلاد الاسلامية فلا تجب عليها ضريبة العشر [9] .

ولكن في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م فرض الخليفة الناصر لدين الله المكوس على المبيعات وكان مبلغاً كبيراً [10] . واستمرت هذه الضرائب إلى نهاية عهده حيث أبطل

---

(١) **الدرهم الشرعي** : الذي يكون وزنه ستة دوانيق وكل عشرة منها سبعة مثاقيل . الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٩ ؛ أبو يعلي ، ص ١٠٨ . ١١٠ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١١٩ ؛ الغزالي : احياء علوم الدين ١ / ١٨٩ .

(٣) النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، ص ١٢٩ .

(٤) **المكوس** : المكس في اللغة بمعنى الجباية وبمعنى الضريبة التي يأخذها الماكس أو العاشر ويقال له (العشار) أيضاً . الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، مادة مكس ٢ / ٢٦٥٢ ؛ الزبيدي : تاج العروس ٤ / ٣٤٩ .

(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٥١ ؛ العزاوي : تاريخ الضرائب ، ص ٣١ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٥٣١ ؛ الريس : الخراج ، ص ١٢٣ .

(٧) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٣٢ .

(٨) السرخسي : المبسوط ٢ / ١٩٩ .

(٩) المصدر نفسه ، ٢ / ١٩٩ . ٢٠٠ ؛ الريس : الخراج ، ص ١٣٤ .

(١٠) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٢٢ ؛ ينظر : ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٢٧ .

الظاهر بأمر الله المكوس من البلاد بإسقاط جميع ما جدده أبوه وكان ذلك كثيراً لا يحصى [١] .

واتبع الخليفة المستنصر بالله سياسة الظاهر في معالجة الكيفية في فرض الضرائب وما أحدثته من حالة التذمر والاستياء عند الناس [٢] . ويتضح هذا جلياً عندما كان يقف على بركة الذهب التي تركها الخليفة الناصر لدين الله وهو يقول : " أترى أعيش حتى أنفقها كلها " [٣] . وفعلاً أنفق الكثير في حياته لبناء العديد من المشاريع [٤] .

ومن الضرائب الأخرى التي كانت تقررها الخلافة ضرائب البيع في حالة نقص في الموارد المالية ، إذ ذكر ابن الساعي [٥] أن الضريبة التي جباها الخليفة الناصر لدين الله على المبيعات سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م قدّرت بمائتي ألف دينار . وكذلك ضريبة العقار التي تقررها الخلافة على المباني الحكومية كالأسواق والطواحين والعرصات وغيرها [٦] .

وتذكر المصادر أن الضرائب عادت إلى الارتفاع في أيام الخليفة المستنصر بالله فعند تولية المستعصم بالله الخلافة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م أمر وزيره نصير الدين أحمد ابن الناقد بإزالة ما أحدثه عمال السوء من المكوس [٧] مما يدل أن تغيراً في فرض الضرائب قد حدث في آخر أيام المستنصر بالله أو ربما في أعقاب وفاته ، كان مصدره العمال مما دفع المستعصم بالله إلى معالجة الأمر على عجل فاستصحب الوزير المذكور حاجب بن النوبي وهو يومئذٍ تاج الدين بن الدراجي إلى داره خوفاً عليه من عامة الناس لأنه كان مسؤولاً عن أخذ المؤن عند تولية المستعصم بالله [٨] .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٥٨ ؛ العزاوي : تاريخ الضرائب ، ص ٣١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٥٩ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٥١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٥٩ .

(٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٤٨، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٨٠؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٥١ .

(٥) الجامع المختصر ٩ / ٢٢٧ . ٢٢٨ ؛ فوزي : واردات الدولة ونفقاتها ضمن كتاب (حضارة العراق) (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥) ٥ / ٣٩٢ .

(٦) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٢٢ ؛ الريس : الخراج ، ص ٢١١ .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦٢ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٢ .

(٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦٢ .

كما تذكر المصادر أنه بين فترة وأخرى خلال العصر العباسي الأخير تقوم الخلافة باستحصال ضريبة من الذين يرغبون في الحصول على وظائف كبيرة . يذكر الأيوبي [١] في حوادث سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م أن مسعوداً بن جابر الذي كان خازن المخزن في عهد الخليفة الناصر لدين الله بذل عشرة آلاف دينار ليكون صاحب المخزن .

وفي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م بذل أبو السعود بن جعفر مبلغاً قدره الفاً وخمسمائة دينار من أجل أن يكون حاجب الحجاب فأذن له في ذلك وأصبح حاجب الحجاب ، أما سلفه حاجب الحجاب بهاء الدين أبو الفتح بن الداريج فإنه رتب عارضاً للجيش بعد أن أخذ منه مبلغاً مقداره الف وخمسمائة دينار [٢] .

ورغب قطب الدين محمد بن عبد الرزاق بن سكينة شيخ رباط الشيوخ أبو سعيد بالمشرعة أن يرتب حاجباً بباب المراتب وبذل في سبيل ذلك قرية فأجيب إلى طلبه [٣] . وفي سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م رغب الأميران سيف الدين عبد الله وعلاء الدين علي ولدا الأمير قيران الظاهري أن يصبحا من أرباب الدرباشات والغواشي المفروعة وأن تجعل معيشة كل واحد منهما أربعة آلاف دينار كل سنة ، وبذلا في سبيل ذلك عشرين الف دينار فأجيبا إلى طلبهما [٤] .

٣ . موارد مالية أخرى :

ومن الموارد المالية الأخرى للخلافة أموال المصادرة والتي تحصل عليها الخلافة بعد عزل موظفيها الكبار وذلك تعويضاً لما سبق أن حصلوا عليه من أموال الخلافة أو أموال وممتلكات المواطنين .

ففي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م تم القبض على كمال الدين أبي الفضل بن الوزير أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء وحمل إلى دار الخفاش في قصر التاج وطلب منه أموالاً كثيرة فلم يعترف بشيء وأخذ ما كان في داره من المال فكان مقداره عشرين الف دينار [٥] .

(١) مضمار الحقائق ، ص ١٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٢ .
(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢١٤ .
(٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٠٢ .
(٥) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ٧٤ . ٧٥ ؛ النقيب : سياسة الخليفة الناصر لدين الله ، ص ١٣١ .

ومن الموارد المالية الأخرى التركات التي لا وارث لها فتصبح ملكاً للدولة [١] ، وتسمى بالتركات الحشرية [٢] ، ولها ديوان يسمى " ديوان التركات الحشرية " والمسؤول عنه يسمى ناظر التركات ويدّون الأموال والتي تذهب بعد ذلك إلى " بيت المال " [٣] .

وقد تولى ديوان التركات الحشرية في عهد الخليفة الناصر لدين الله أبو البدر بن حيدر الذي كان على درجة من التميز والكتابة ،وقد توفي سنة ٥٩٩ هـ /١٢٠٢ م [٤] ، وكذلك محمد بن صليجان على عهد الخليفة المستعصم بالله [٥] .

وتذكر المصادر عن كثير من التركات الحشرية التي أصبحت تذهب إلى بيت المال،ففي سنة ٦٤٢ هـ /١٢٤٤م توفي نصير الدين أحمد بن الناقد وترك أموالاً كانت نيفاً وتسعين الف دينار ووصية في رقعة أن هذا المال حق من حقوق بيت المال [٦] . وتوفي الرئيس عبد الوهاب بن نصر الله بن الخياط بدار التشريفات والمخزن وترك أموالاً وثياباً وقدرت أمواله بعشرين ألف دينار [٧] . وعندما أشرف صانع حمام في بغداد على الوفاة كان بحوزته سبعة أرطال ذهباً وأثني عشر رطلاً فضة [٨] . وقد شكلت هذه الأموال مورداً لا بأس به من موارد بيت المال .

فضلاً عن ذلك تدخل الهدايا بوصفها موارد اضافية لأنها كانت تقدم إلى الخلفاء في مناسبات مختلفة كالتهنئة أو العزاء أو للعلاقات الودية بين الدول عند وصول المبعوثين والرسل إلى دار الخلافة [٩] ، وكان الوالي أو الأمير يرسل الهدية إعراباً عن طاعته وولائه ، وكان الأمراء يهدون الخليفة الهدايا الثمينة بعد أن يخلع عليهم ويمنحهم الامتيازات والألقاب الفخرية [١٠] .

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان م ٨ ق ٢ / ٥٣٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٥٣٢ .
(٢) **الحشر** : بمعنى الموت . ابن منظور : لسان العرب ٤ / ١٩٠ . ١٩١ .
(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٠٧ .
(٤) المصدر نفسه ٩ / ١٠٧ .
(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٢٩ .
(٦) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٢٨ . ٥٢٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٥٩٨ .
(٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٠٥ . ٣٠٦ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٢ .
(١٠) ميسون هاشم مجيد : " **هدايا أمراء الدويلات إلى الخلافة العباسية ومردوداتها الاقتصادية** " ، مجلة آداب الرافدين ، عدد ٣٢ ، كلية الآداب (جامعة الموصل ، ١٩٩٩) ، ص ٥٦ . ٥٨ .

تشير المصادر إلى تعدد الوسائل التي من خلالها تستحصل الخلافة على الموارد المالية ، لكن مما يؤسف له أن هذه المصادر لا تقدم أرقاماً اجمالية لهذه الموارد منفردة أو مجتمعة، كما انها لم تتعرض إلى حجم ميزانية الخلافة في هذه المدة مما يفقد الباحث القدرة على تقدير الوضع المالي للخلافة وانعكاس ذلك على سياستها في مجمل الأنشطة .

ولكن من الواضح أن الخلافة في هذه المدة لم تعتمد على سياسة اقتصادية ثابتة ، إذا استثنينا الضرائب الشرعية "الجزية خاصةً "نلاحظ أن هناك تأرجحاً في طبيعة الضرائب واستحصالها ، وإنما تعتمد أساساً على قناعة الخليفة من جهة وحاجة الخلافة من جهة أخرى ،فضلاً عن ذلك لا تفرق المصادر بين المال العام التابع لخزينة الخلافة وبين المال الخاص الذي يعود للخليفة وأسرته ، كما لم توضح المصادر الأموال التي تشكل المال الخاص ، مما يفهم منه عدم وجود خطوط واضحة بين الاثنين .

إلاّ أن الواضح عدد من الاشارات أن السياسة الاقتصادية للخلافة القائمة على التوسع في الاقطاع والضمان اللذان اختص بهما كبار رجال الخلافة من قادة الجيش وموظفي الادارة ، وعدم إيفاء هؤلاء بالتزاماتهم تجاه خزينة الخلافة ، قد أسهمت في إحداث عجز مالي في واردات الخلافة ، لجأت إلى معالجته بشكل آني تفادياً لأزمة اقتصادية . فضلاً عن أن زيادة الضرائب ولا سيما الخراج أدّت إلى تدهور وضع الزراعة إذ غالباً ما ترك الفلاح أرضه أو قام بإلجائها خلاصاً من الضريبة والتعسف في جبايتها ، فضلاً عن أن قيام الخلافة بفرض ضرائب جديدة ، وزيادة الضرائب القديمة يؤشر حاجة الخلافة إلى الأموال وعدم قدرة الخزينة على الإيفاء باحتياجات الخلافة .

كما أنّ عدم استقرار الأوضاع السياسية ، وبخاصة تحركات المغول ضمن نطاق العالم الاسلامي أدّى إلى تهديد الطرق التجارية مما انعكس سلباً على حركة التجارة ، ومن ثمَّ انخفاض الضرائب المستحصلة منها .

ثانياً . نفقات الخلافة :

شملت نفقات الخلافة أغراضاً متعددة منها النفقات العسكرية والعمرانية والخيرية ، فضلاً عن الهدايا والخلع ، كما أنّ الخلافة كانت مسؤولة عن دفع رواتب الموظفين والعمال إما نقداً أو عيناً وحسب ما يوجد من مواد في المخزن(١)،الذي كان في الأصل تابعاً لديوان بيت المال وهو يتكون من عدة خزائن تضم جميع دخل الخلافة مثل خزانة الملابس وخزانة النقود وخزانة الحبوب ، وكان هذا الديوان يضبط دخل جميع نفقات الدولة ،وكان على كاتب هذا الديوان أن يمضي كافة الصكوك وأوامر الدفع المرسلة من الوزير ، ويجري الموازنة السنوية لتلك الأموال التي يديرها (٢) .

١ . النفقات العسكرية :

إنّ مصدر النفقات العسكرية كان من دور الضرب وموارد الجوالي والتركات وغلات العقار ، ولّما شعر السلاجقة بأثر الأموال في تحقيق تطلعات الخلفاء للاستقلال،عزموا على افقارهم وحرمانهم منها من خلال الاستيلاء عليها (٣). وكانت رواتب الجند تدفع في أوقاتها ، وما زال العطاء يدفع نقداً ، إلاّ أنه صار يعطى اقطاعاً أيام السيطرة السلجوقية (٤) .

وفي فترة انتعاش الخلافة واعادة تشكيل الجيش كانت رواتب الجند والأمراء والمماليك تختلف باختلاف رتبهم ، فالأمراء الصغار يصل راتبهم إلى ألف دينار في السنة (٥) . وفي حالة رفعه إلى رتبة أعلى يصل راتبه إلى أربعة آلاف دينار (٦) ، أما الأمراء الغرباء الذين جاءوا إلى بغداد وانظموا إلى جيش الحضرة ، فقد اعطوا رزقاً سنوياً ما بين خمسة آلاف أو ستة آلاف دينار في السنة (٧) . وفي بعض الأحيان تمنح الدولة اقطاعات

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٢ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ١٨٧ .

(٢) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤١ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٨٥ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٥٤ ؛ للمزيد أنظر : عباس : جيش العراق ، ص ١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٤) زيدان : تاريخ التمدن ١ / ١٤٦ .

(٥) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ / ٧٤٥ .

(٦) المصدر نفسه ج ٤ ق ٢ / ١٠٢٤ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٥ .

(٧) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ / ٥٨٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٠٢ ، ٦١٢ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٨٣ ؛ قادر : الجيش ، ٢٩٧ . ٢٩٨ .

واسعة لعدد من الأمراء بدلاً من الرواتب ، وكانت تدر عليهم مئات الألوف من الدنانير [١] ، فالأمراء والمماليك الذين تولوا الولايات والشحنكيات وقيادات الجيش كانت دخولهم السنوية مرتفعة ، فقد بلغ دخل مجاهد الدين ايبك الدويدار المستنصري أكثر من خمسمائة ألف دينار سنوياً [٢] ، وكان معظمهم يبذلون الأموال الكثيرة في المناسبات المختلفة [٣] .

وكان عطاء الجند يتحدد تبعاً لقرب المملوك من ولي الأمر[٤]، فضلاً عن صنفه في الجيش ، فقد خلع الخليفة المستنصر بالله على أمراء الجيش ، وأنعم على من دونهم من الألفين إلى الخمسمائة دينار ، وأنعم على جميع الجند ومماليك الأمراء والعرب ثلاثين إلى خمسة عشر دينار [٥] .

وهكذا أصبح الأمراء من أعلى الطبقات في المجتمع بما يرد عليهم من أموال طائلة من الاقطاعات وضمان المناطق ، فضلاً عن رواتبهم العالية والامتيازات الممنوحة لهم من قبل الخلافة .

وكانت أرزاق جارية تصرف فضلاً عن الرواتب إلى الأمراء في كل يوم " من اللحم والتوابل والخبز والعليق والزيت ولأعيانهم الكسوة والشمع وكذلك المماليك السلطانية ، وذوي الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه " [٦] .

وكانت الخلافة مسؤولة عن تجهيز الجيش بالأسلحة والمعدات الحربية وتوجد آنذاك خزانة للسلاح تحتوي على مختلف الأسلحة والتجهيزات العسكرية [٧] .

واستنزف الجيش خلال العصر العباسي الأخير من خلال نفقاته الكثيرة ميزانية الخلافة ، ففي سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م وقع حريق في خزانة السلاح ببغداد فاحترق شيء كثير من السلاح والأمتعة والتجهيزات العسكرية وقدور النفط قدّرت قيمة ذلك ثلاثة ألف

---

(١) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ق ٣ / ٥١٦ . ٥١٧ ؛ ينظر : ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٧ ، ٢٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٣٣ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٨٣ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٥٥٦/٢ ؛ ينظر : ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ /٢٩٣ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٠ ؛ ينظر : قادر : الجيش ، ص ٢٩٨ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٥٢ . ٥٣ .

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان م ٨ ق ١ / ٥٢٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٦ ؛ نجم الأوضاع الاقتصادية ، ص ١٥٣ .

ألف وسبعمائة ألف دينار وبقيت النار يومين [(١)] . ويذكر ابن كثير [(٢)] الخبر بقوله : " فأرسلت الملوك من سائر الأقطار هدايا أسلحة إلى الخليفة عوضاً عن ذلك وفوقه من الأشياء كثيراً " هذا فضلاً عن نفقات تجهيز الحملات العسكرية ، فتذكر المصادر أن مقدار ما أنفقه الخليفة الناصر لدين الله لمجابهة السلطان جلال الدين ابن خوارزم شاه عندما أراد التوجه إلى بغداد والاقتتال مع أهلها كان ألف ألف دينار [(٣)].

٢ . رواتب الموظفين :

كانت الخلافة العباسية في عصرها الأخير تضم عدداً كبيراً من موظفي الادارة والدواوين والكتاب والعلماء والمدرسين والحجاب والمؤذنين والقضاة والخطباء والأطباء وغير ذلك من الموظفين .

وكان للوزراء فضلاً عن رواتبهم التي قد تصل إلى مائة ألف دينار في السنة رواتب لأولادهم وأخوانهم وخدمهم وأتباعهم وأرزاق ووظائف كثيرة [(٤)] ، وكانت دخولهم مرتفعة ، فبعد وفاة عبد الوهاب بن نصر بن الخياط سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م خلّف بعد وفاته ثروة عظيمة قدّرت بعشرين ألف دينار [(٥)] ، أما أبو عبد الله الحسين بن الحسن الكوفي الذي تولى نقابة الطالبين فبعد وفاته سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ خلّف ثروة قدّرت بعشرين ألف دينار [(٦)] .

وهناك أصحاب الدخول المحدودة والتي تشمل العلماء والمدرسين والاداريين في المدارس ، وقد بلغ ما وزّع على العلماء في عهد الخليفة الظاهر بأمر الله مائة ألف دينار [(٧)] . أما أساتذة الفقه في المستنصرية فكانت رواتبهم (١٤٤) ديناراً في السنة ، وأساتذة دار القرآن ثلاثة دنانير في الشهر أي (٣٦) ديناراً في السنة ، وأساتذة دار الحديث دينارين وعشرة قراريط فيكون دخلهم السنوي قرابة (٣٣) ديناراً ، وكان راتب " الناظر " (

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ /٢٠٦ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ / ٥٢٣ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٤٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٩٣ .

(٢) البداية والنهاية ١٣ / ٤١ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٠ .

(٤) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٢٧٨ ؛ زيدان : تاريخ التمدن ٢ / ١١٨ .

(٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٩٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٥٥ . ٥٥٦ .

(٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٥ .

١٢) ديناراً في الشهر [١] . وكان للمدرسين والمعيدين والطلاب والاداريين والموظفين جرايات ، فضلاً عن رواتبهم فيحصلون على ما يحتاجون إليه من الخبز والحلوى والفواكه والصابون والحبر والورق والأقلام ، وكانت هذه الجرايات تضاعف لهم في شهر رمضان من كل سنة [٢] ، وكانت هذه الرواتب التي تعطى للموظفين والاداريين وهم أصحاب الدخول المحدودة قليلة جداً إذا ما قورنت مع رواتب الأمراء والمماليك والجند .

٣ . نفقات المشاريع العمرانية :

شملت هذه النفقات الصرف على المشاريع من انشاء وبناء المدارس والمساجد والمشاهد والربط وترميم أسوار بغداد وكذلك الصرف على المشاريع الاروائية منها حفر وكري الأنهار واقامة السدود وغيرها ، وتقوم الخلافة بالانفاق على تنظيف الطرق والعناية بها [٣] .

ففي عهد الخليفة الناصر لدين الله تم بناء العديد من الربط والمشاهد وأضرحة الأولياء منها بناء مشهد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م لرجل يقال له علي بن الهيتي ، ورباط أمرت ببنائه أم الخليفة الناصر لدين الله وأوقفت عليه قرية يبلغ واردها خمسمائة دينار [٤] ، وبنى الخليفة الناصر لدين الله رباطاً بالحريم الطاهري ببغداد ونقل إليه الكتب الكثيرة سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ، ورباط الشيخ محمد السكران وكانت له رسوم في توزيع المال والطعام للفقراء [٥] ، كما أمر بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ونقل إليها من الكتب النفيسة الكثير [٦] . وقام سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م

---

(١) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ١٤٠؛ ناجي معروف : حياة اقبال الشرابي ، الطبعة الأولى (بغداد ، ١٩٦٦) ، ص ٢٣ ؛ الخالدي : النظم في العراق ، ص ١٩٤ .

(٢) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٧ . ٢٨٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٦٠ ؛ معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، الطبعة الأولى (بغداد ، ١٩٦٥) ٥٧/١ . ٥٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٦١ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٥ . ٣٠٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٧٢ . ٢٧٥ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ١٨٨ .

(٤) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٧٩ .

(٥) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ٥ / ٤٠٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٢٤ . ٢٢٥ .

(٦) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٢٤ . ٢٢٥ .

ببناء دار الضيافة بالجانب الغربي من دجلة بالقرب من تربة سلجوقة خاتون زوجته [1]، وعمّر دار المضيف للصادر والوارد من الحاج وغيرهم [2] .

أما بناء الدور فقد أمر الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م بتشييد دار في درب الصاغة واعطاها لابن رزين " ربيب الخليفة " [3] ، وفي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م أمر الخليفة أن يعمر له دار في ناحية " حسنا باذ " في معاملة نهر الملك واتخذه بعد ذلك مقراً للاستراحة عند خروجه للصيد [4] .

كما أمر بشراء بستان تاج الدين بن رئيس الرؤساء من أولاده بثلاثمائة دينار وأمر بهدم ما كان في البستان وبنى داراً حسنة وعمّر البستان وجعلها منتزهاً يخرج إليها [5] .

وفي سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة سور ثاني على بغداد [6] ، كما عني الخليفة بترميم وعمارة المساجد والاهتمام بها وصيانتها [7] . وأعظم مثال للعمارة العباسية في العصر العباسي الأخير هو بناء المدرسة المستنصرية التي شيّدها الخليفة المستنصر بالله في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ، واستغرق بناؤها ستة أعوام وبلغت تكاليف عمارتها ما يقرب من سبعمائة ألف دينار [8] ، وعني الخليفة المستنصر بالله بعمارة المساجد والأضرحة ، ففي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م أنشأ الرباط المستجد بدرب الروم في بغداد وأسكنه جماعة من الصوفيه [9] . وبنى مسجد قمرية بالجانب الغربي الذي على شاطئ دجلة وبلغت كلفته ثمانية عشر ألف دينار [10] ، كما أمر بعمارة مساجد الكرخ وجامع البصرة [11] . وأنشأ مارستان ، فضلاً عن بنائه خان نهر سابس بأعمال واسط [1] ،

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٥٩ .

(٢) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٤٦ . ٢٤٧ .

(٣) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

(٦) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٥٣ .

(٧) خالد خليل الأعظمي " **عمارات بغداد في العصر العباسي** " ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الرابع (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٩) ، ص ٢٣ .

(٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٧٣٩/٢٨ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٣ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٢ ؛ الأعظمي : عمارات بغداد ، ص ٢٤ .

(٩) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤ .

(١٠) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٧٨ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٤٨ .

وفي سنة ٦٣٥هـ /١٢٣٧م أمر الخليفة بإصلاح السور ظاهراً وباطناً وتعجيل عمل الخندق احتياطاً وخوفاً من التتر [٢] . وأمر الخليفة المستنصر بالله بانشاء سقاية المدرسة المستنصرية سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، وسقاية تربة أحمد ابن حنبل بالجانب الغربي من بغداد سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م [٣] .

أما الخليفة المستعصم بالله ، فقد أمر سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م ببناء السد على فم نهر عيسى ليزود ماء النهر إلى القصر المستجد بجوار قنطرة الشوك [٤] ، وبناء سور مشهد موسى بن جعفر وذلك سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م [٥] ، وفي سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م أمر الخليفة بتشييد دار المحول [٦] الذي بلغت تكاليفه مالا يزيد عن مائتي ألف دينار [٧] ، وعنيت زوجات الخلفاء والأمراء ببناء الربط والمشاهد والمدارس ، ففي سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م فتح الرباط المستجد الذي أمرت أم الخليفة المستعصم بالله بترميمه [٨] . وبنى شرف الدين اقبال الشرابي مدرسة بواسط على شاطيء دجلة بالجانب الشرقي وبنى ببغداد مدرسة في سوق السلطان ، وجدد بمكة رباطاً وأوقف وقوفاً كثيرة عليها [٩] . وعلى الرغم من أن بعض هذه المنشآت اعتمدت على المال الخاص ، إلاّ أن أغلبيتها كانت تمول من قبل الخلافة .

٤ . الخلع :

وهي الخلع التي تقوم الخلافة باهدائها في مناسبات عديدة اما ان تكون لأغراض سياسية تقوم الخلافة بارسالها إلى الأمراء ، وهي مظهر من مظاهر تكريم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨٠؛ صبري فارس الهيتي " **تخطيط مدينة بغداد** " مجلة المورد ، المجلد الثامن، العدد الرابع ، (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٩) ، ص ١٥ .

(٣) عماد عبد السلام رؤوف " **تاريخ مياه الشرب القديمة في بغداد** " ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الرابع (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٩) ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ٩١ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٩٨ . ١٩٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧١ .

(٦) **المحول** : بليدة كثيرة البساتين والفواكه والمياه بينها وبين بغداد فرسخ واحد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥ / ٦٦ .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٧٥ .

(٨) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٦١ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٠٨ .

الخلفاء لقوادهم وأمراء جيوشهم أو لرجال الادارة عند ترتيبهم في مناصبهم ، وهي خلع متعددة الأشكال،وقد تكون في مناسبات اجتماعية مثل حفلات الزواج للمقربين من الخليفة ، وكذلك حفلات الختان لأولاد الخلفاء والأمراء ، فضلاً عن أغراض أخرى منها الولادة والوفاة [١] ، ومعظم الخلع كانت تخرج من المخزن المعمور ببغداد .

ففي سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م خلع على الأمير برجم بن محمود بن برجم ، قباء أطلسبعلمين كبار ، وعمامة قصب كحلية ، وقلّد سيفاً محلى بالذهب وأعطي عشرة آلاف دينار [٢] . وفي سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م وفي عيد الفطر خلع الخليفة على وزيره أبي الأزهر أحمد بن الناقد وعلى مماليكه ثلاث عشر ألفاً ما بين قمصان أطلس وأقبية وغزلي وعتابي وبقاير [٣] وغيرها [٤] .

وفي سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م أرسل الخليفة ابن الجوزي سفيراً إلى نجم الدين أيوب وكان يحمل خلعة السلطنة وهي عمامة سوداء وقوس مذهبة وثوبان من ذهب وسفط [٥] ذهب وغلمان وحصان [٦] .

٥ . الصدقات :

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٨١ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٦٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٩١ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ص ١٨٩ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ٢٣٥ .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٦٥ ؛ للمزيد أنظر : ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ق ٢ / ٤٩٣ .

(٣) **البقاير** : مفردها بقيار ، والبقيار بالفتح ثوب يتخذ من شعر المعزى أو وبر الجمال ثم اتخذه الملوك من فاخر الثياب ليخلع على من ارتضوه من كبار الرجالات . الغساني : العسجد المسبوك ، هامش ٢٢ / ٥١٣ ؛ أنظر : ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٤٤ .

(٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٩١ .

(٥) **سفط** : وعاء يصنع من نبات الحلفاء لوضع الحاجيات الصغيرة والثمينة وما يزال يستعمل في العراق ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣١٣ . هامش (٢) .

(٦) الذهبي : دول الاسلام ١١٢/٢ ؛ للمزيد من المعلومات . أنظر: ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب : ج ٤ ق ٣٤/٢ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٥٤ . ٣٥٥؛ نجم: الأوضاع الاقتصادية، ص ١٦٤ .

تشمل الصدقات الأموال التي تخرج من دار الخلافة ومن الخاصة من افراد الحاشية وتعطى لأشخاص موثوق بهم يتم توزيعها في وجوهها الشرعية [١] . فضلاً عن الصدقات التي تفرضها الدولة على الفقراء [٢] .

ومن الصدقات المستديمة " الصدقات الرجبية " التي توزع في كل سنة عند حلول شهر رجب [٣] وتوزع في بغداد وباقي مدن العراق وفي بعض الأحيان تتعدى حدود العراق [٤] .

وتوزع الخلافة صدقات رمضانية وقد فتحت لها دور ضيافة توزع فيها الطعام للفقراء في شهر رمضان [٥] ، وذلك عند حلول الافطار ، وفي بعض الأحيان تخرج من هذه الدور صدقات بشكل نقود إلى المحتاجين من بغداد وغيرها من مدن العراق مثل الكوفة وكربلاء ، واستمر هذا التقليد حتى نهاية الخلافة العباسية [٦] ، وكان المخزن يجهز دور الضيافة بكل ما تحتاجه من الأطعمة لإفطار الفقراء [٧]، كما توزع الأطعمة من خلال دور الضيافة على جميع المدارس والأربطة وزوايا الفقراء بالمشاهد [٨] .

وقد تخرج الصدقات من المخزن عند وفاة كبار رجال الخلافة كما حدث للوزير نصير الدين أحمد بن الناقد البغدادي أخرج صدقة عنه من المخزن وكانت تسعين رأساً من البقر وألف وخمسمائة رطل من الخبز ومائة وخمسين قوصرة من التمر [٩] . ولم يقتصر اخراج الصدقات على الخلفاء ، بل شمل ذلك زوجاتهم ، فضلاً عن الوزراء والأمراء [١٠] .

٦ . نفقات أخرى :

---

(١) فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٨٨ ، ١٨٩ ؛ الجبوري : الخلافة العباسية ، ١٨٨ . ١٨٩ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٦ .

(٤) ابن النجار : جزء من تاريخه (مخطوطة) ، ورقة ١٠ أ نقلاً عن فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٨ ؛ ينظر : الغساني : العسجد المسبوك ، ض ٤٧١ . ٥٠٦ ،

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٧٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٧١ ، ٥٧٨ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٩ .

(٧) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦١١ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٥٤ . ٥٧٨ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٥٢٨ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥٩٩ .

عنيت الخلافة العباسية بتحمل نفقات الحج وتسيير قوافل الحجاج إلى مكة والمدينة المنورة ، وكان المخزن مسؤولاً عن تجهيز القوافل بكل ما تحتاجه من أموال ومتاع (١) . وتقوم الخلافة بإصلاح الآبار والطرق التي يسلكها الحجاج وتزويدهم بالماء (٢) ، وكانت الخلافة ترسل كسوة الكعبة الشريفة وكسوة حجرة الرسول (ﷺ) وصدقة فقراء الحرمين (٣) .

وعند ذهاب زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله إلى الديار المقدسة " وكانت صالحة كثيرة المعروف والصدقات دائمة البر والصدقة ... حجت وأنفقت ثلاثمائة ألف دينار ... وكان معها نحو من ألفي جمل وتصدقت على أهل الحرمين وأصلحت البرك والمصانع " (٤) .

وعند ذهاب والدة الخليفة المستعصم بالله إلى الحج وعودتها صرفت الأموال المخرجة من المخزن ، وكانت قد بلغت مائة ألف دينار (٥) .فضلاً عمّا قامت به من الخلَع على أمير الحاج ومن كان بخدمتها من النواب والأتباع وغير ذلك إذ أمرت لهم بالأموال (٦) . فضلاً عن بناء دور الضيافة للصائمين والحجاج والانفاق عليها (٧)، علماً أن هذه الأموال تصرف من أموال المخزن وترسل هذه الأموال والكسوة سنوياً إلى مكة والمدينة المنورة .

إنّ هذه الأمور التي ذكرناها تحتاج إلى نفقات كثيرة كلفّت الخلافة مبالغ كبيرة كانت تخرج من بيت المال مما سبّبت عجزاً مالياً وأزمات اقتصادية عانت منها الخلافة في هذه المدة .

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ . ١٧٤ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٩ . ٥٢٠ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ / ٥١٣ .

(٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٢٤ وما بعدها ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٣ . ٣٠٤ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٩١ . ١٩٢ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٢٤ .

(٧) للمزيد عن هذه المشاريع . ينظر : ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٧٨ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ / ٥٣٤ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٦٠ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٢٩ ؛ الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨١ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٤٧ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٢٨ .

لاشكّ أن الخلافة تتحمل مسؤولية الانفاق على مختلف مرافقها مما يستلزم موارد ثابتة وخزينة مستقرة،وفائضاً مالياً لما يستجد من نفقات ولا سيما في الجانب العسكري ، وكما هو واضح ، فعلى الرغم من أن المصادر تشير إلى طبيعة نفقات الخلافة إلاّ أنها تفتقد لجدولة هذه النفقات للتعرف على حجمها مقارنةً مع الواردات للوصول إلى تقييم لطبيعة الوضع المالي للخلافة .

إلاّ أن طبيعة السياسة الضريبية التي انتهجتها الخلافة في هذه المدة والقائمة على فرض ضرائب جديدة والتوسع في الضمان والاقطاع مؤشر على أن خزينة الخلافة كانت تعاني من عجز مالي في مواردها أفقدها القدرة على توفير الأموال التي تمكن الخلافة من القيام بواجباتها في الانفاق على مرافقها .

ثالثاً . الحياة المعيشية :

١ . الأجور :

إن دراسة الدخول في هذه المدة تعطينا صورة واضحة لمستوى المعيشة كما تبين المستوى المعيشي للمجتمع العباسي في تلك المدة والذي تشكّل بشكل غير متوازن من حيث الدخول والأجور التي يتقاضونها من الخلافة ، فالأجر المرتفع له دلالاته وبالعكس [١] .

يصنف المجتمع العباسي في هذه المدة إلى خاصة وعامة ويندرج ضمن الفئة الأولى الخليفة وعائلته وكبار رجال الخلافة من الوزراء والأمراء ونحوهم وهؤلاء في مقدمة أصحاب الدخول العالية لأن لديهم أملاكاً كثيرة [٢]، وذكرنا سابقاً كيف كانت للخليفة الناصر لدين الله الأموال الكثيرة بحيث ملأ منها بركة كبيرة [٣] ، أما الأمراء والمماليك فكانت دخولهم مرتفعة بلغت في السنة أكثر من نصف مليون دينار [٤] . ثم الوزراء ورجال الادارة إذ كانت دخولهم وأجورهم هي الأخرى مرتفعة وسيطروا على أموال كثيرة . أما أصحاب الدخول المحدودة فهم العلماء والمدرسون والأداريون لهذه المدارس ، فكانت أجورهم ثابتة وقليلة جداً قياساً لما ذكرناه، وكانت محصورة بين (٣٣) ديناراً و (١٤٤) ديناراً في السنة. أما ذوو الدخول الواطئة فأكثرهم من العامة من الصنّاع وأهل المهن والفلاحين والفقراء وأجورهم قليلة جداً والمعلومات عنهم قليلة جداً أيضاً ، ويوضح الجدول الآتي أجور عدد من موظفي الخلافة [٥] .

---

(١) دريد عبد القادر نوري " **الأجور والرواتب في العصر العباسي** " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٢ (بغداد ، ١٩٨٧)، ص ٢٣٢ .

(٢) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٨١ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن كثير : البداية ١٣ / ١٥٩ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق/ ٥٥٦ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٩٣ .

(٥) الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٧ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٥٨ . ٤٦١ ؛ معروف : تاريخ علماء المستنصرية ١ / ٥٧ ، ٣٣٩ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ؛ نوري : الأجور والرواتب ، ص ٢٤١ .

المهنـة	المكان	الزمــان	الأجــور
قـاري فـي دار الحـديث في المدرسة المستنصرية	بغداد	٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م	ديناران مع عشرة قراريط في الشهر مع اربعة أرطال خبز وغرف بطيخ .
استاذ الفقه في المدرسة المستنصرية	بغداد	٦٣١ هـ / ١٢٣٣م	١٢ ديناراً في الشهر مع أرزاق يومية وافرة من اللحم والخبز والخضر .
أسـتاذ دار القـرآن فـي المدرسة المستنصرية	بغداد	٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م	٣ دنانير في الشهر مع أرزاق يومية .
ناظر المدرسة	بغداد	٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م	١٢ ديناراً في الشهر مع أرزاق يومية وافرة من اللحم والخبز والخضر .
مشـرف علـى المدرسـة المستنصرية	بغداد	٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م	٧ دنانير مع أرزاق كاملة

٢ . مستوى الأسعار :

إنّ ارتفاع الأسعار وانخفاضها يعود إلى أسباب منها الاضطرابات الداخلية أو التحديات الخارجية التي تواجه الخلافة وبالعكس قد تكون بفعل ضغط شعبي أو اصلاحات ادارية (١) ، أو عند ظهور أزمات اقتصادية عندما تتعرض البلاد إلى ظروف طبيعية ومناخية تؤدي إلى هلاك المزروعات وتعذر الأقوات بفعل الفيضانات وظهور الأمراض والأوبئة مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار (٢) .

---

(١) نوري : " **الأجور والرواتب في العصر العباسي** " ، ص ٢٣٤ ، هامش (٢) ، ص ٢٥٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ ، ٢٤٧ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٥٤ . ١٥٥ ، ٢٢٥ . ٢٢٦ ، ٣٠٣ .

إنّ الوقوف على نظام سعري ثابت او مستقر لأية مرحلة من مراحل التاريخ العباسي ، يكون أكثر صعوبةً بسبب ندرة المعلومات المتعلقة بها وإن المعلومات الواردة عن المواد الاستهلاكية جاءت متفاوتة من سنة إلى أخرى [١] .

وكانت العوامل السياسية مؤثرة في حركة السوق ووضع الأسعار فاستقلال السلطة واستقرار الأمن ونفوذ الخليفة الأداري لها أثر كبير في الأسعار واستقرارها [٢] .

وللعوامل الصحية تأثير آخر ، فعند انتشار الامراض والوباء يؤدي إلى زيادة الأسعار وهذا ما حدث سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م حيث كثر المرض والموت فتسبب في ارتفاع أسعار المواد الغذائية فأدى إلى ارتفاع سعر السكر والأدوية مما دفع الخليفة المستنصر بالله إلى معالجة ارتفاع الأسعار فتصدق بسكر كثير إلى المرضى [٣] .

كما تؤثر الأزمات الاقتصادية في الأسعار بسبب احتكار السلع الغذائية من قبل التجار ، إذ يزداد الطلب عليها فترتفع أسعارها . ففي سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م كان لموظفي الخلافة دور كبير في غلاء الأسعار فاحتكر صاحب المخزن ظهير الدين بن العطار الغلات الزراعية والحبوب العائدة للخلافة ومنع بيعها مما أدى إلى ارتفاع أسعارها [٤] .

لقدشهد العراق خلال السنوات الأخيرة أزمات اقتصادية خانقة وذلك بسبب قلّة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها ، والجدول الآتي يعطي صورة واضحة لطبيعة الأسعار للمرحلة الخاصة لهذا البحث للوقوف على الوضع الاقتصادي ومستوى المعيشة للخلافة العباسية .

السنة	الوزن	المادة	السعر	المستوى
٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م [٥]	-	مواد لم	غلاء عام	حدوث

(١) ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٦٠ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٦٢ .
(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٥٤ . ١٥٥ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ١٦١ .
(٤) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ٣ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٦٢ .
(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ١ / ٣٥٣ .

السنة	الوزن	المادة	السعر	المستوى
		تذكر		الأمراض
٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م [١]	كر	حنطة	(١٥) دينار	رخاء
٥٩٦ هـ / ١١٩٩ [٢]	كر	شعير	(٦) دنانير	رخاء
٦٠٥ هـ / ١٢٠٨م [٣]	كر	حنطة	(٧) دنانير و (١٠) قراريط	رخاء
٦٥٠٥ هـ / ١٢٠٨ م [٤]	كر	شعير	(٣) دنانير	رخاء
٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ [٥]	كر	أرز	(٨) قراريط	رخاء
٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م [٦]	(٢٥) طِلاً	خبز	قيراط	رخاء
٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م [٧]	-	فواكه	رخيصة	رخاء
٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م [٨]	كر	حنطة	نيف وثمانون .يناراً	غلاء
٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م [٩]	كر	حنطة	(٥٥) دينار و (٤) قراريط	غلاء
٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م [١٠]	(١٠) أرطال	خبز	درهم	غلاء
٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م [١١]	(١٤) رطلاً	خبز	درهم	غلاء
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م [١٢]	كر	حنطة	(٩٠) .يناراً	غلاء
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م [١٣]	كر	شعير	(٣٠) .يناراً	غلاء
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م [١٤]	(٣) مكاكي	أرز	دينار واحد	غلاء
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م [١٥]	(٥٠) طِلاً	تمر	دينار واحد	غلاء

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٨ .
(٢) المصدر نفسه ٩ / ١٨ .
(٣) المصدر نفسه ٩ / ١٨ .
(٤) المصدر نفسه ٩ / ٢٦٩ .
(٥) فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٧٧ .
(٦) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٦٩ .
(٧) فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٧٨ .
(٨) ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٣٦٤ .
(٩) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٢ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥١٢ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٥١٢ .
(١٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٠٢ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٥ .
(١٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢١٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٥ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .
(١٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٥ .

السنة	الوزن	المادة	السعر	المستوى
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (١)	كر	سمسم	٣٨ .ديناراً	غلاء
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (٢)	(٣٠) رطلاً	ليمون	درهم واحد	غلاء
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (٣)	(٤) أرطال	السكر	دينار واحد	رخاء
٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م (٤)	-	مواد لم تذكر	غلاء عام	لم يذكر السبب
٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م (٥)	كر	الحنطة	(٨٠) .ديناراً	غلاء
٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م (٦)	كر	الشعير	(٣٠) .ديناراً	غلاء
٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م (٧)	كر	الشعير	(٥٠) .ديناراً	غلاء
٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (٨)	(١٠٠٠) رطل	التبن	(٥) دنانير	غلاء
٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م (٩)	-	مواد لم تذكر	غلاء عام	بسبب الفيضان
٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م (١٠)	اجرة العبور بالسفينة من جانب إلى آخر	-	عدة دنانير	غلاء

إنّ أسعار عدد من المواد الغذائية والتي تعد أساسية في حياة الناس منها الحنطة والشعير والخبز تعرضت للزيادة والنقصان مرات عدة كان السبب في ذلك الفيضان وقلّة الأمطار . وكانت هناك تدابير من الخلافة العباسية في معالجة الأزمات الاقتصادية التي تسبب ارتفاعاً في الأسعار فتعمل على معالجتها وتسعى إلى خفض أسعار الحبوب وهذا ما حصل في عهد الخليفة الناصر لدين الله عندما أمر باطلاق ما في مخازن الخلافة من

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .
(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢١٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .
(٩) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ .
(١٠) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٣٣٥ .

الغلات وطرحها في الأسواق ،وأعطى الأجناد ارزاقهم من الحنطة والشعير ورخصت الأسعار بعد ذلك [١] . وبيع المخزون من الغلات في مخازن الخلافة في عصر الخليفة الظاهر بالله فانخفضت أسعار الحبوب [٢] .

واستمرت الخلافة في الحفاظ على سياسة سعرية معينة ولا سيما المواد الغذائية ، ففي سنة٦٤٠هـ /١٢٤٢م أمر الخليفة المستعصم بالله المحتسب عبد الرحمن ابن الجوزي بتقرير سعر مسترخص للحنطة وغيرها وكان الكر من الحنطة بخمسة وخمسين دينارا وأربعة عشر قيراطاً . وكان الخبز كل عشرة أرطال بدرهم ، فجعل أربعة عشر رطلاً بدرهم [٣] . إلاّ أن حالات الغلاء أصبحت ظاهرة شائعة منذ سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م ، كما يؤشر ذلك الجدول ، وفشل الجهاز الاداري للخلافة في معالجته .

٣ . مستوى المعيشة :

وعلى الرغم من هذه الاجراءات إلاّ أن انخفاض مستوى المعيشة نتيجة لارتفاع الأسعار بفعل عوامل عديدة كان متفشياً في مختلف المدن العراقية مما جعل الناس فريسة سهلة للأمراض [٤] . وانعكس ذلك على نقص السكان وهجرة اعداد كبيرة منهم إلى أماكن عديدة منها البادية وبلاد الشام ، يؤكد ابن جبير [٥]فقدان الجزء الأعظم من سكان بغداد الغربية ، وان الكوفة وسامراء كانتا مهجورتين في حين يذكر ياقوت الحموي وغيره [٦] أن بغداد اختفت فيها أحياء بكاملها ، كما تحولت في أيامه كل من قصر ابن هبيرة وجرجرائيةعلى نهر دجلة إلى قرى في حين كانت في السابق مدناً عامرة بالسكان .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٧٨ ؛ الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ٢٨٠ . ٢٨١ .

(٢) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٠ . ١١ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٢ .

(٤) اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص ٢٨٤ .

(٥) الرحلة ، ص ١٦٧ . ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٦ .

(٦) معجم البلدان ٢ / ١٢٣ ؛ ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣ / ١١٠١ ؛ أشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص ٢٨٤ .

الفصل الرابـع

أثر الأوضاع الاقتصاديـة في النواحي السياسيـة

تتحدد طبيعة أي كيان سياسي من خلال قدرته على تطبيق برنامجه على الصعيدين الداخلي والخارجي ، إذ أن جبهة داخلية موحدة وقوية ، فضلاً عن سياسة خارجية تقوم أساساً على التكافؤ في مختلف الاتجاهات ، يمثلان ركنين أساسيين لقوة هذا الكيان واقتداره . ولا يمكن لذلك أن يتحقق ما لم تتوافر مقوماته الأساسية ، لعل من أهمها وفي مقدمتها وجود موارد اقتصادية كافية تعزز توجهات الكيان السياسي وتوسم سياسته بالديمومة ،بما يمنحه القدرة على الحركة والمناورة وصياغة أساليبه على وفق متغيرات واقعه والقوى المحيطة به .

ولا يعنينا الدخول في حيثيات العامل المادي ودوره في تشكيل الأحداث التاريخية ، ولكن واقع الحال يشير إلى أن أي كيان وأياً كانت مرتكزاته ، يسعى للحصول على الموارد الاقتصادية ، سواء قبل قيامه أم بعده ، لإدامة بقائه واستمراره ، فإذا لم تتوافر في بيئته ، بحث عنها في مكان آخر .

ويختلف الوضع بالنسبة للخلافة العباسية فهي وإن مثّلت كياناً سياسياً قائماً بذاته ، إلاّ أنها وفي الوقت نفسه عدّت المرجعية السياسية والدينية لكل الكيانات السياسية الاسلامية التي تدين لها بالولاء وتستمد شرعيتها من خلال التفويض الممنوح لها من الخلافة في حكم رعاياها وأقاليمها .

ومن منطلق هذه المكانة وما توجبه من دور ، كانت الخلافة بحاجة إلى موارد اقتصادية كبيرة وذات مصادر متعددة تمكنها من أن تؤدي دورها في الأقاليم التي تخضع لسلطتها المباشرة من جهة ، فضلاً عن فرض سيادتها الفعلية والمعنوية على الأقاليم التي فوضت إدارتها لقوى أخرى .

إلاّ أن ما طرأ من تغيرات على واقع الخلافة العباسية خلال القرون الثلاثة الأخيرة من وجودها جردتها بالتدريج من نفوذها وصلاحياتها ،' فضلاً عن مصادر مواردها ، مما جعلها تعتمد ، بعد أن استعادت بعضاً من هذا النفوذ،على موارد محدودة ضمن رقعة جغرافية صغيرة ، أحكمتها في انتهاج سياسة ضيقة في مدياتها وتطلعاتها ، فأنعكس سلباً على دورها المحوري في الأحداث التي تعرض لها العالم الإسلامي في هذه المدة .

أولاً . السياسة الادارية :

أشرنا فيما سبق إلى أن الخلافة ، وبفعل تظافر عوامل عديدة أسهمت في عجزها عن استمرار فرض سيطرتها المباشرة على الأقاليم والمدن التابعة لها [١] ، مما جعل ظاهرة الانسلاخ عن مركزية الخلافة ونفوذها أمراً شائعاً منذ مستهل القرن الثالث للهجرة / العاشر للميلاد [٢]، مما أدى بالطبع على الصعيد الاقتصادي إلى إنحسار موارد مالية ضخمة مثلت عائدات هذه المناطق من الضرائب [٣] ، وإذا كان هذا الخلل لم تظهر إنعكاساته السلبية على اقتصاديات الخلافة لاتساع مناطق نفوذها وكثرة مواردها ، إلاّ أن التأثير بدا واضحاً في أواخر القرن الثالث للهجرة /العاشر للميلاد إذ مثّل العجز الاقتصادي أحد أهم العقبات التي واجهت مؤسسة الخلافة وأجهزتها الادارية [٤] ، إذ أخفقت على الرغم من كل محاولات الإصلاح من أن تفي بالتزاماتها المالية [٥] ، فكان الثمن باهظاً على المستويين السياسي والاداري فكان عزل الخلفاء وقتلهم [٦] ، وكثرة تبدل الوزراء [٧]، فضلاً عن المزيد من التفرق في الوحدة الادارية والسياسية [٨] أحد أوجه التأثير الاقتصادي . ولم يكن أمام الخلافة من حل سوى الإقرار بعجزها والقبول بالتنازل عن صلاحياتها لمن يتعهد بتوفير إلتزاماتها المالية [٩] ،

---

(١) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي (بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٠) ٢ /٤٥٧ ، ٥١٠ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٨ / ٥٧٩ ، ٩ / ٥١٢ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٢٨٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ٨ / ٣٢٣ . ٣٢٤ .

(٤) الصولي : أخبار الراضي ، ص ٦١ ، ٧١ ؛ أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه : تجارب الأمم ، اعتناء : هـ . ن آمدروز (مصر ، ١٩١٤) ١ / ٣٤٩ . ٣٥٠ .

(٥) المصدر نفسه ١ / ١١٥ . ١١٦ ؛ الصابي : الوزراء ، ص ٤٣ . ٤٥ .

(٦) أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٩) ، ص ٣٩٤ ؛ ابن العمراني : الأنباء ، ص ١٣٦ ؛ مسكويه : تجارب ١ / ١٣٧ .

(٧) حمزة بن حسن الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٦١) ، ص ١٥١ .

(٨) الهمداني : تكملة ١ / ١٠١ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٢٨٨ .

(٩) مسكويه : تجارب ١ / ٣٣٥ ، ٣٥٠ . ٣٥١ .

فاستحدث منصب أمير الأمراء [1]بما مثّله من تطور في الهيكلية السياسية والادارية لمؤسسة الخلافة .

وأجهز التسلط البويهي والسلجوقي (٣٣٤ . ٥٩٠ هـ / ٩٣٦ . ١١٩٤ م) على ما بقي للخلافة من سيادة ونفوذ وصلاحيات [2] وأصبح الخليفة مجرد موظف يتسلم راتبه من حكامهم [3]وخلال أكثر من قرنين تعطلت فعلياً مؤسسة الخلافة وكافة أجهزتها الادارية [4] .

وعندما أفلحت جهود الخلافة في تحقيق هدفها في التحرر من التسلط السلجوقي وتحقيق سيادتها ، التي كان من أبرز مظاهرها ، إعادة فرض السلطة المركزية على عدد مما أنتزع منها من مدن ، وقد أشرنا ذلك في عهود الخلفاء بداية من المسترشد بالله [5] .

إلاّ أن الرقعة الجغرافية التي استقرت عليها سلطة الخلافة في هذه المدة لم تكن قادرة على توفير الأموال لنفقاتها وتطلعاتها ، وذلك لأكثر من سبب : أولاً ، لمحدودية هذه الرقعة، إذ لم تخرج سلطة الخلافة حتى أواخر عهدها عن الأنبار، وتكريت ،أربل ، طريق خراسان ، هيت ، عانة ، الحلة ، الكوفة ، واسط ، الأحواز ، بلد اللحف [6]، ثانياً، أن هذه المناطق وخلال مدة طويلة كانت قد استنزفت بفعل الممارسات الاقتصادية التي انتهجها البويهيون والسلاجقة في التعامل مع الأرض والفلاح، مما جعل الكثير منها خراباً بعد أن غادرها أهلها إلى مناطق أخرى [7]، وثالثاً ، أن الموارد التي اعتمدتها الخلاقة فضلاً عن محدوديتها فإنها اعتمدت أساساً على الأرض ، مما عرض هذه الموارد إلى التذبذب نتيجة للفيضانات والكوارث الطبيعية وغير ذلك من الأسباب [8]، ورابعاً أن الخلافة لم تتول الاشراف المباشر في استحصال مواردها ، بل استعاضت عن ذلك بأساليب أخرى ، منها الاقطاع والضمان [9] .

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ، ص ٨٥ . ٨٦ .

(٢) مسكويه : تجارب ٢ / ٨٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٤٠ .

(٣) مسكويه : تجارب ٢ / ٨٧ ؛ ابن دحية : النبراس ، ص ١٢١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨ / ٤٥٢ ؛ ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٢٨٩ .

(٥) ينظر : ص ١٢ . ١٣ من هذه الأطروحة .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ١٦٨ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٢٢ .

(٧) مسكويه : تجارب ٢ / ٩٧ . ٩٨ ؛ الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص ٩١ .

(٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٠٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٠٨ . ٣٠٩ .

(٩) ابن الساعي : الجامع ٩ / ٤٧ . ٤٨ ، ٢٩٣ .

لهذه الأسباب عانت الخلافة في هذه المدة أزمات مالية انعكست على مجمل سياستها ومنها الادارية ، إذ أن عجز الخزينة عن الايفاء بالتزامات الخلافة ، ألجأها إلى انتهاج سياسة ادارية تخلت بموجبها عن معظم صلاحياتها السياسية والادارية ، خلاصاً من التزاماتها ، ورغبةً في الحصول على الأموال . إذ على الرغم من أن الأطار العام كان يوحي بالمركزية الادارية (١) . إلاّ أن الخلافة غالباً ما كانت تعهد إلى ولاتها ومعظمهم من مماليكها سلطة الحرب والخراج (٢) بما يشبه الادارة الذاتية ، ومما يؤسف له أن المصادر لا توضح طبيعة العلاقة بين هذه المدن والمركز ، إذ لم تتضح درجة الهيمنة الادارية للخلافة على المدن التابعة لها ، ومدى قدرتها احداث تغييرات ادارية في ظل سيطرة الأمراء وقادة الجيش على النواحي الادارية (٣) .

فضلاً عن ذلك فقد التزمت الخلافة الأطار العام للنظام الاداري السلجوقي ، القائم على توزيع الأراضي بين قادة الجيش وكبار الموظفين إقطاعاً يستلمون خراجها عوضاً عن الرواتب ، وهذا يمنح الحق للمقطع باستحصال وارد الاقطاع ، وارساله إلى بيت المال بعد أخذ حصته المقررة (٤) ، وقد ترتب على رغبة هؤلاء في الحصول على الأموال ، الاساءة إلى الأرض والفلاح ، إذ جاروا في سياستهم حتى ألجأوا الفلاحين إلى مغادرة أراضيهم (٥) فانعكس ذلك على خراب الأرض وتدهور الزراعة وتكرار الضائقة لأقتصادية .

إنّ تبني الخلافة النظام الأقطاعي والتوسع فيه ، لاسيما فيما يتعلق بالأرض الخراجية (٦) ، أسهم في تفاقم أزمتها الاقتصادية ، إذ تنازلت عن جزء من حصتها في الأرض ، فضلاً عن صلاحياتها وواجباتها التي أسندت للمقطعين مما انعكس سلباً على سياستها المركزية ، إذ تخلت عن دورها في العناية بالمشاريع الزراعية والاروائية . واعتمد

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٨٠ . ١٨٢ .
(٢) ابن الساعي : الجامع : ٩ / ١٨٦ . ٢٠٦ .
(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧٦ . ٥٧٧ ، ٦٢٤ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٢٢ .
(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٢٧ ؛ تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٥١٦/٢ . ٥١٧ ، ٦٤٥؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧٥ ، ٦٠٣ ، ٦٤٥ ، ٧٤٢ . ٧٤٣ .
(٥) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٨ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ١٣ / ١٨١ .

المقطعون على عمال ليست لهم معرفة بالزراعة مما دفع إلى انخفاض ضريبة الخراج ، وحرمت الخلافة من ايراد مهم كان يردها تمول به نفقاتها العامة [١] .

إنّ التلازم بين الضائقة الاقتصادية وحاجة الخلافة المتزايدة للأموال ، ألجأها إلى ممارسلت إدارية أسهمت في تفاقم الأزمة بدلاً من حلها ، إذ شهدت هذه المدة إنتشاراً واسعاً للضمان ، سواء للأرض الزراعية أم للمدن برمتها [٢] مقابل حصول الخلافة على أموال معجلة تفي بالتزاماتها لعدم وجود احتياطي مالي في خزينتها ، فقسمت البلاد على عدد من الضامنين [٣] ، ولما كان أغلبية أصحاب الثروات في هذه المدة هم الأمراء وقادة الجيش ، فقد مثّلوا أغلبية الضامنين لواردات الخلافة ، إذ لم يسددوا مستحقاتهم مقطعين أو ضامنين بما أدى إلى اختلال في وارد المخزن [٤] .

إنّ توسع الخلافة في هذه الأساليب ، لم ينعكس على سلطتها المركزية فحسب ، بل حدّد من مهام جهازها الاداري ،إذ انحصرت علاقة المقطع والضامن الذين لهما نوابهما وموظفيهما بالخلافة من خلال ديوان المقاطعات [٥] .

فضلاً عن ذلك ، فإن الضائقة الاقتصادية ألجأت الخلافة إلى انتهاج سياسة ضرائبية قاسية كادت أن تطال جميع النشاطات الاقتصادية [٦] ، وعلى الرغم من أنها لم تكن دائمية [٧]، إلاّ أنها انعكست سلباً على حياة العامة وموقفها من الخلافة [٨] .

لاشكّ أن التخبط الذي وسم السياسة الادارية في هذه المدة ، عرّض وظائفها على اختلاف درجاتها إلى الفساد ، إذ أصبحت الوظائف والمناصب معروضة لمن يدفع مبالغ كبيرة للحصول عليها [٩] ، بغض النظر عن الخبرة والكفاءة ، فشاع الفساد في المؤسسة

---

(١) علي كنعان : الاقتصاد الاسلامي (سوريا ، دار المعارف ، ١٩٧٧) ، ص ٣٠٥ .
(٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٥١ ؛ ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٣٧ .
(٣) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ / ٧٤٢ ؛ الأعظمي : الزراعة ، ص ٢٤٢ .
(٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧٦ . ٥٧٧ .
(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٨٢ ؛ الخالدي : النظم في العراق في اواخر العصر العباسي ، ص ٢٠٩ .
(٦) بيلييايف : الحالة الاقتصادية ، ص ٣٦ .
(٧) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٧٧ .
(٨) السعدي : دور بادوريا في الاقتصاد العباسي ، ص ٢٠٥ .
(٩) ابراهيم : ريف بغداد ، ص ٢٣٩ .

الادارية ، وجار العمال وتعسفوا حتى وصفوا بعمال السوء [١]، فكان ذلك سبباً في قصورهم في معالجة ما تعرضت له البلاد من أزمات ، أظهرت فشلهم وعجزهم عن الاصلاح ، إذ شهدت هذه المدة حالات من الغلاء والمجاعات بسبب الكساد الزراعي نتيجة لإهمال مشاريع الري ومنشآته [٢] ، فضلاً عمّا أحدثته الفيضانات المتكررة من دمار لإهمال العناية بالسدود [٣] .

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٦ . ١٧ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٦٨ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٦٤ ؛ نجم : الأوضاع الاقتصادية ، ص ٦٨ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦١٤ . ٦١٥ .

ثانياً . سياسة الخلافة تجاه القوى الاسلامية :

ناضلت الخلافة العباسية وبالاعتماد عل امكانياتها الذاتية المحدودة من جهة ، والاستغلال الأمثل لتطورات الواقع من جهة أخرى [١] ، لتحقيق هدفها في التحرر من السيطرة السلجوقية المباشرة ، وخلال عهود ثلاثة من الخلفاء [٢]، خاضت صراعاً مريراً من أجل السيادة والنفوذ أفلحت في تحجيم النفوذ السلجوقي وكف يده عن التدخل في شؤونها [٣] ، وقد سيطرت الخلافة على معظم مدن العراق [٤] مما منحها قوة بشرية واقتصادية مكنتها من تعزيز قوتها العسكرية التي من خلالها تعززت مكانة الخلافة ليس بوصفها رمزاً معنوياً ، إنما قوة سياسية وعسكرية تفرض ارادتها على من تعدهم رعاياها ، يتوجب عليهم دينياً وسياسياً اعترافهم بالولاء والطاعة لهم .

١ . السلاجقة :

بعد قرون من سيطرة (البويهيون والسلاجقة) ، انفرد الخليفة بحكم العراق ، وعظمت مكانة الخلافة وسمت منزلتها ، " وعرف الأعاجم أنه لا مطمع بعدها في بغداد " [٥] . وقد اتسمت سياسة الخلافة في مرحلة ما بعد التحرير تجاه القوى الاسلامية بترسيخ مكانتها وحقوقها ، إذ تعاملت معهم من منطلق أنهم حكام لرعاياها بتفويض ومباركة منها ، وأي مخالفة لهذه المسلمات يعد خروجاً على الشرعية واجماع المسلمين [٦]، فلم تعد تتقبل الوصاية من أي قوة ، فضلاً عن رفضها لأن تكون نداً للقوى الاسلامية بل عدتهم تابعين لها وخاضعين لأوامرها .

ولعل قيام السلاطين والأمراء السلاجقة بابداء الخضوع والتذلل في محاولة لنيل رضى الخلافة وتفويضها يمثل أحد وجوه هذه السياسة ، فقد أرسل السلطان محمد السلجوقي وفداً من الأمراء لمقابلة الخليفة المقتفي لأمر الله لتقديم الاعتذار ونيل عفوه

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٥٤ . ٢٥٥ .

(٢) المسترشد بالله ، الراشد بالله ، المقتفي لأمر الله .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٧٠ . ١٧١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٥٦ .

(٥) البنداري : تاريخ ،ص ٢٣٣ ؛ الحسني : أخبار ، ص ١٠٤ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٥٣٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٤٦٠ .

ورضاه ، فلم يأذن لهم بدخول بغداد [١] ، بل بلغ يأس قسم منهم أن أبدوا المهانة والتذلل ما لم يسبق له مثيل ، إذ يذكر أن الأمير ترشك السلجوقي وصل إلى بغداد خلسة في شهر محرم سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م ، فلم يشعر به ، إلاّ حين ألقى بنفسه تحت التاج ، عند كوخ المستخدمين ، حاملاً سيفه وكفنه يطلب المثول أمام الخليفة [٢] .

هذه المكانة التي بلغتها الخلافة في التعامل مع قوة سيطرت عليها مدة ناهزت القرن من الزمان ، لم تكن تستند إلى مكانة الخلافة وقدسيتها التي امتهنها هؤلاء في مرحلة سابقة ، وإنما على اقتدارها المتمثل بالقوة العسكرية المعززة بقوة اقتصادية تمكنت الخلافة من توظيفها بشكلها الأمثل . ولعل هذا كان سبباً من الأسباب التي جعلت المؤرخين يطنبون في الإطراء على الخليفة المقتفي لأمر الله لتجديده الأمامة تمهيداً لرسوم الخلافة [٣] .

هذه الأسس التي قامت على إعلاء شأن الخلافة في مكانتها ورسومها وصلاحياتها كسابق عهدها الأول ، أصبحت ثوابت لخلفاء هذه المدة في صياغة سياستهم ، وهذا ما يفهم من موقف الخليفة المستنجد بالله من رسول السلطان أرسلان شاه بن طغرل ، الذي قدّم بغداد طالباً بالخطبة للسلطان ، وأن تعاد القواعد إلى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود ، فأهين الرسول وأعيد بأقبح حال [٤] . مما جعل الخليفة الناصر لدين الله يرد على السلطان طغرل بن أرسلان الذي أرسل سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م يطلب بعمارة دار السلطنة لينزل بها إذا جاء بغداد [٥] ، فأمر الخليفة بهدم الدار ومحو آثارها [٦] ، لما تمثله من رمزٍ للتسلط ، ولم يتوقف عند هذه الحدود بل عدَّ الخليفة هذا الطلب خروجاً على الخلافة وحقوقها على رعاياها بالطاعة والولاء [٧] ، فأستوجب إجراءً يؤكد لمختلف القوى مكانتها الحقيقية .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٨٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠ / ١٨٩ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن محمد عماد الدين الأصفهاني العماد الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق : محمد بهجت الأثري وجميل سعيد (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٥) ، ق ١ ج ١ / ٣٤ ؛ بنيامين التطيلي : رحلة ، ص ٢٠٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٦٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٢٦٨ ، ٢٩٦ .

(٥) المصدر نفسه ١١ / ٥٦٠ ؛ الذهبي : دول الاسلام ٢ / ٩٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٠٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٥٦٠ .

(٧) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٥٣٤ .

لم يكن أمام الخلافة سوى اللجوء إلى خيار القوة العسكرية التي أثبتت في المدة السابقة جاهزيتها ونجاحها في تحقيق أهداف الخلافة [١] ، فأرسل الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م جيشاً بقيادة وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس لتأديب السلطان طغرل إلاّ أن هذا الجيش منيَّ بالهزيمة في منطقة دايمرج بالقرب من همدان [٢]، وعلى الرغم من ذلك سارع الخليفة بتهيئة جيش آخر ، لمنع السلطان من قطف ثمار هذل النصر ، بقيادة مجاهد الدين خالص الخاص ، وتحرك إلى همدان في السنة نفسها،وأجبر السلطان بالتقهقر إلى أصفهان وسيطر جيش الخلافة على همدان [٣] ، وتجاهل ما أبداه طغرل من ندم واعلان الطاعة والولاء [٤] .

وعلى الرغم من أن الخليفة كان مصمماً على استئصال شأفته ، إلاّ أن مؤشرات تغّير في سياسة الخلافة بدت واضحة للعيان في الأحداث اللاحقة ، إذ يبدو أن قناعة تولدت لدى الخليفة الناصر لدين الله أن الاعتماد على القوة العسكرية للخلافة أمر له محاذيره ، لعل في مقدمة ذلك هيبة الخلافة ومكانتها التي تعززت في المدة السابقة ، مما دعاه إلى انتهاج سياسة جديدة تقوم على الاستعانة بالقوى الاسلامية لضرب بعضها بالبعض الآخر [٥] ، تحقيقاً لأغراض الخلافة ، فبعد أن حرّض قزل بن الدكز على السلطان طغرل [٦] ، وجد الخليفة الناصر لدين الله بغيته بأمير خوارزم علاء الدين تكش إذ أغراه بقتال طغرل ، مقابل إمارته على البلاد التي ينتزعها من السلاجقة [٧] ، فتمكن من الانتصار عليه وقتله ، وبعث برأسه إلى بغداد سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤م [٨] ، منهياً

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٤ . ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ١٢ / ٢٤ . ٢٥ .

(٣) صدر الدين علي بن ناصر الحسيني : زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) ، تحقيق : محمد نور الدين (بيروت ، دار اقرأ ، ١٩٨٦) ، ص ٢٩٦ .

(٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٤ . ٢٥ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ٨٠ ، ٩٩ . ١٠٠ ؛ جزيل عبد الجبار الجومرد ونزار قادر محمد " **دور الخلافة العباسية في العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية** " ، مجلة دراسات ، المجلد السادس والعشرون (أ) ، العدد الخامس (عمان ١٩٩٤) ، ص ٤٠٢ .

(٦) الراوندي : راحة ، ص ٥٠٠ . ٥٠١ .

(٧) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٤٥ .

(٨) الراوندي : راحة ، ص ٥١٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٢ / ١٠٨ .

بذلك نفوذ السلاجقة في المنطقة ، إذ يقول الحسيني [١] : " لّما قتل طغرل ... صارت جمرة آل سلجوق رماداً تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً " .

ما هي المسوغات التي جعلت الخليفة الناصر لدين الله في ينتهج هذه السياسة التي وسمت مدة خلافته ، وأن يستعيض عن قوته العسكرية بقوى أخرى بديلة يسعى من خلالها لتحقيق هدفه . في الحقيقة نفتقد للقرائن التي توضح هذه المسوغات وتؤكدها ، إلاّ أن قراءة لواقع الأحداث يكشف بوضوح بأن الخلافة لم تكن واثقة من قدراتها العسكرية لا سّيما في مواجهة القوى الكبرى وهذا ما أثبتته التجربة ، فالقوة العسكرية بقيت قليلة العدد والعدة بالنسبة لقوة مركزية تمثل العالم الإسلامي ومسؤولة بالدفاع عنه إزاء أي خطر خارجي يتهدده ، وبلا شك كان هذا القصور مؤشراً من قبل الخلافة ، إلاّ أنها كانت فاقدة لإمكانية تجاوزه ، إذ أن جيشاً كبيراً يعتمد أساساً على تجنيد المرتزقة من المماليك (أمراء أو جند) بحاجة إلى امكانيات اقتصادية كبيرة ، وموارد مالية ضخمة دائمة تعزز الاحتياجات العسكرية في اتجاهاتها المختلفة ، وهذا ما كانت تفتقده الخلافة في هذه المدة ، إذ على الرغم من السياسة الاقتصادية التي انتهجها الخليفة الناصر لدين الله ، والتي وسمها المؤرخون بالقاسية في سبيل الحصول على الأموال ، وإذا ما تجاوزنا ما ذكره عدد من المؤرخين [٢] عن الأموال التي جمعها الخليفة الناصر لدين الله والتي ملأ بها برك القصر فإن الأحداث تؤكد عدم تمكنه من النهوض بالقوة العسكرية للخلافة ، وهذا يعود إلى دور العامل الاقتصادي في تحجيمدور الخلافة ومنعها من أن تؤدي دوراً مؤثراً في الأحداث التي شهدها العالم الاسلامي ، فضلاً عن أنه فرض عليها توجهات سياسية كانت لها نتائج كارثية لاحقة .

٢ . الخوارزميون :

كان إصرار الخليفة الناصر لدين الله على التخلص من القوة السلجوقية ، أمرٌ له ما يسوغه لما لهذه القوة من تجربة سابقة في التعامل مع الخلافة ، إلاّ أن الأسلوب الذي اتبعه الخليفة لتحقيق هذه الرغبة ، أظهر وبدون قصد قوة أخرى استغلت الفراغ الذي أحدثه غياب السلاجقة ، وتطلعت إلى أن تحل محلها بكل شيء .

---

(١) زبدة التواريخ ، ص ٣١٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٥٩ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٥٧ .

وظهرت مؤشرات ذلك منذ انتصار تكش على طغرل السلجوقي ، إذ رفض دعوة وزير الخليفة مؤيد الدين بن القصاب لتقبل خلع الخليفة [1] اشارة إلى رفضه الخضوع للخلافة ، وعلى الرغم من أن الخليفة الناصر سارع لملء الفراغ الذي تركه غياب القوة السلجوقية في المنطقة ، إذ سيطر جيشه على الأحواز وهمدان والري وأصفهان سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م [2]، إلاّ أن هذه القوة لم تفلح في تحجيم تطلعات تكش إذ تقهقرت أمام زحفه وتخلت له عن الري وهمدان وأصفهان سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م [3] ، مما شجّع تكش اعتزازاً منه بقوته واستهانته بقوة الخلافة العسكرية ، أن يطلب من الخليفة الناصر لدين الله أن يخطب له في بغداد ويعيد اعمار دار السلطنة السلجوقية لينزل بها عند قدومه إلى بغداد [4]، وهذا ما عدّه الخليفة تطاولاً لم يطق احتماله ، فأرسل إليه جيشاً بقيادة أبي الهيجاء السمين سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧م ، إلاّ أن هذا الجيش أخفق في السيطرة على همدان والبقاء فيها ، ولم يتمكن قائد الجيش من العودة إلى بغداد حياءً ، فمات كمداً وهو في طريقه إلى اربل [5] . وهكذا أخفقت الخلافة في فرض توجهاتها بالاعتماد على القوة العسكرية مرة أخرى ، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن القوة العسكرية للخلافة غير مؤهلة لمواجهة القوى الكبرى ، بسبب اخفاق الخلافة للنهوض بها عدداً وعدة لتواضع امكانياتها الاقتصادية .

إزاء ذلك عاد الناصر لدين الله لتسخير سياسته في التلاعب بصياغة العلاقات بين القوى الاسلامية لإنقاذ الخلافة من هيمنة المتطلعين بالسيطرة عليها، فلجأ إلى تأليب القوى المحيطة بالخوارزميين من الغوريين والخزر [6] ، فأدى ذلك إلى انشغال تكش وولده من بعده علاء الدين محمد ٥٩٦ . ٦١٧ هـ / ١١٩٩ . ١٢٢٠ / بمشاكل داخلية أخرت طموحاتهم في القدوم إلى بغداد ما يقرب من عشرين سنة [7] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ١٠٨ ؛ العبود : الدولة الخوارزمية ، ص ٨٠ . ٨١ .

(٢) الراوندي : راحة ، ص ٥٢٣ ، ٥٢٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٢ / ١٠٨ . ١١٢ .

(٣) الراوندي : راحة ، ص ٥٢٩ . ٥٣٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٢ / ١١٢ ؛ نظمي زاده : كلش خلفا ، ص ١٩٣ .

(٤) الذهبي : العبر ٤ / ٢٧٨ .

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٥٤٢ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة ج ٨ ق ٢ / ٤ .

(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٥٥٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٦ .

(٧) محمد بن أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق : حافظ أحمد حمدي (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٣) ، ص ٦٤ ؛ ابن كثير : البداية ١٢ / ٢٣٧ .

وعلى الرغم من محاولات الخوارزميين احتلال بغداد في عهد علاء الدين محمد سنة٦١٤هـ /١٢١٧م [١] وجلال الدين منكبرتي (٦١٧. ٦٢٨هـ /١٢٢٠.١٢٣٠م) في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٤ م [٢]، إلاّ أن هذه المحاولات باءت بالفشل ، ليس بسبب تصدي جيش الخلافة لها ، إنما لتهديد قوى أخرى للنفوذ الخوارزمي في المنطقة مما جعل عدداً من المؤرخين والباحثين [٣] ينساقون وراء إتهام منكبرتي للخليفة الناصر لدين الله بمكاتبة المغول وتحريضهم على الخوارزميين [٤]، وهي تهمة أثارت جدلاً بين المؤرخين والباحثين ، ولم يكن أمام منكبرتي سوى إلغاء فكرة غزو بغداد وتحسين علاقته بالخلافة،وهذا ما حصل في عهد الخليفتين الظاهر بأمر الله والمستنصر بالله [٥] .

٣ . الأيوبيون :

اتسمت سياسة الخلافة تجاه القوى الاسلامية التي حاولت مناوأتها وسعت للهيمنة عليها ، بمواجهتها عسكرياً ،وعندما أخفقت في ذلك استعانت بقوى أخرى لتحقيق أهدافها ، في حين سخّرت مكانتها الدينية والاعتبارية في التعامل مع القوى الأخرى التي اعترفت بشرعيتها ودانت لها بالولاء والطاعة ، إذ تميزت علاقتها بالأيوبيين با لود والتأييد لِما قدّموه من خدمات جليلة للخلافة بشكل خاص وللعالم الاسلامي بشكل

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٢٥ . ٤٢٧ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٦٣٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٤٠ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ١٠٥ ؛ تاج الدين أبي نصر السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود أحمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو (دمشق ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٠) ١ / ٣٣٠ ؛ المقريزي : السلوك ق ١ ج ١ / ٢١٨ ؛ ابن أبي عذيبة : انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، مخطوط (جامعة بغداد ، مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب ، تحت رقم ١٢٤٨) ، ورقة ٤ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٦٢٤ ؛ أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٤٤ ؛ الذهبي: دول الاسلام ٢ / ٢٩٤ .

(٤) العبود : الدولة الخوارزمية ، ص ١٠١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٤١ ؛ الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٧ ؛ حسين مؤنس : " **المغول والاسلام** " ، مجلة العربي ، العدد الواحد والسبعون (الكويت ،١٩٧١) ، ص ٢٤ ؛ خصباك : العراق في عهد المغول ، ص ١٤ ؛ ف. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : أحمد السعيد (القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٨) ، ص ١٦٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٤٩٥/١٢ . ٤٩٧ ؛ النسوي : سيرة ، ص ٢٨٠ ، ٣٠٤ . ٣٠٩ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٤ .

عام ، فقد حظي صلاح الدين الأيوبي بمكانة مرموقة لدى الخلافة بعد قيامه بإسقاط الخلافة الفاطمية في مصر وأعاد الخطبة للخليفة العباسي المستضيء (٥٧٥.٥٦٦هـ / ١١٧٠ . ١١٨٠ م) ، على منابر مصر واليمن وبلاد الشام [١]، إلاّ أن ذلك لم يطلق يد الأيوبيين في تنفيذ سياستهم التي عدتها الخلاقة تجاوزاً على نفوذها وأمنها ، كما اعتقد بعض الخلفاء ، لذلك غالباً ما وقفت الخلافة مانعاً بوجه تحقيق الأيوبيين مشاريعهم وطموحات قسم منهم ، فلم يتمكن صلاح الدين الأيوبي من الحصول على موافقة الخليفة الناصر لدين الله بتقليده الولاية على الموصل [٢] ، وعززت هذا التوجه عندما أرسل عز الدين مسعود ، صاحب الموصل ، سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م يطلب من الخليفة الناصر لدين الله منع صلاح الدين من السيطرة على الموصل،فأرسل الخليفة إلى صدر الدين شيخ الشيوخ يأمره بالتوسط بين الطرفين [٣] ، وكذلك فعل مع الملك العادل الأيوبي ، عند محاولته السيطرة على سنجار سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م ، إذ أرسل صاحبها قطب الدين محمد بن زنكي إلى الخليفة يطلب منه التدخل،فأرسل الخليفة وفداً إلى الملك العادل ، ضم الأستاذ دار هبة الله بن المبارك والأمير آق باش ، لابلاغه برغبة الخليفة بإقرار الصلح مع آل زنكي حقناً لدماء المسلمين ، فاستجاب العادل لطلبه [٤] .

إنّ قيام الخلافة بتأدية دور الوسيط بين الأيوبيين والزنكيين ونجاحها في ذلك يعود إلى موقف هاتين القوتين منها وخاصةً الأيوبيين ، فعلى الرغم من دورهم وما لهم من مكانة لدى الرأي العام الاسلامي ، إلاّ أنهم لم يفكروا في مناوأة الخلافة او مناصبتها العداء ، إذ غالباً ما أذعنت لرغباتها وأبدت لها الطاعة .

ففي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م استنجد صاحب اربل مظفر الدين كوكبري بالخليفة المستنصر بالله لمنع الملك الأشرف موسى ، صاحب دمشق من السيطرة على اربل ،

---

(١) ابن العبري : تاريخ ، ص ٢١٥؛ طقوش : تاريخ الزنكيين ، ص ٤٣٥ . ٤٣٦ ؛ حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية (القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٢) ، ص ٧٥ .

(٢) أبو شامة : الذيل ٣ / ١٤٩ ؛ دريد عبد القادر نوري : سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر واللشام والجزيرة (بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٦) ، ٤٠٠ . ٤٠٧ .

(٣) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٠٦ . ١١٠ ، ١٦٢ . ١٦٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ١١ / ٤٨٦ . ٤٨٧؛ ابن شداد بهاء الدين يوسف بن رافع :النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي) ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة ، الدار المصرية، ١٩٦٤) ، ص ٥٥ ، ٦٤ . ٦٥.

(٤) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٨٧ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٥٤١ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٨٨ .

فأرسل إليه الخليفة طالباً منه العودة عن ذلك فامتثل لأمره [١] . وفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م بعث الخليفة رسوله ابن الجوزي للتوسط بين الملك الصالح وأخيه الكامل حول دمشق ، وتم الاتفاق بتسليم دمشق للملك الكامل ، على أن يعطى للملك الصالح بعلبك والبقاع وبصرى [٢] .

كما توسط الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م بين بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل ، وغازي بن الملك العادل ، صاحب ميافارقين ، فأرسل محي الدين ابن الجوزي لكف الأخير عن محاولته لضم الموصل فأمتثل لأمره [٣] .

هذه الأمثلة توضح طبيعة الدور السياسي للخلافة في تعاملها مع القوى الاسلامية ، إذ أدت دور الوسيط في حل الخلافات بين أمراء القوى نتيجة لخلافاتهم حول مناطق النفوذ ، محكومة بامكانياتها العسكرية التي بقيت قاصرة بسبب قصور مواردها الاقتصادية .

ثالثاً . سياسة الخلافة تجاه الأخطار الخارجية :

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٦٨٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٨٢ ؛ جزيل عبد الجبار الجومرد ونزار محمد قادر " **أثر الخلافة العباسية في تكوين العلاقات السياسية بين قوى الأطراف** " ، مجلة دراسات ، المجلد الرابع والعشرون ، العدد الثاني ، آب (عمان ، ١٩٩٧) ، ص ٤٥٥ .

(٢) ابن واصل : مفرج ٥ / ١٥٢ ؛ ابو الفداء ، المختصر : ٣ / ١٦٠ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٠١ . ٥٠٢ .

تعرض العالم الاسلامي خلال العصر العباسي المتأخر لأشرس هجمتيبن ، تمثلت الأولى بغزو أوربا للمشرق الإسلامي بسلسلة من الحملات عرفت بـ " الحروب الصليبية "والأخرى قادتها قبائل المغول،فاجتاحت المشرق الإسلامي برمته حتى وصلت إلى بغداد .

١ . الحروب الصليبية :

تولت أوربا المسيحية ارسال الحملات العسكرية إلى الشرق الاسلامي مدفوعة بأسباب وذرائع مختلفة [١] ، ونجحت في احتلال منطقة مهمة وكبيرة من العالم الاسلامي ابتداءًمن سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م وإقامة أربعة كيانات استيطانية هي مملكة بيت المقدس ، وامارة طرابلس ، وامارة انطاكية وامارة الرها [٢] .

ولايعنينا الدخول في أسباب وحيثيات هذه الحروب بقدر ما يهمنا الوقوف على دور الخلافة العباسية في التصدي لها ، من منطلق أنها كانت ممثلة للعالم الاسلامي ، وعليها تقع مسؤولية الدفاع عن كيانه ومقدساته .

إنّ أول ما يمكن أن نقرره ، أن الخلافة العباسية كانت عاجزة عن القيام بواجبها تجاه ما تعرض له العالم الإسلامي ، وإذا كان عذرها أنها كانت مسلوبة الارادة ابان الغزو الصليبي بفعل السيطرة السلجوقية التي جردتها من كل شيء ، فما العذر بعد أن حققت سيادتها وتحررت من هذه السيطرة ومن ثم انفردت بزعامة العالم الاسلامي روحياً وسياسياً بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر [٣] ، فما الذي جعل الخلافة تتخلى عن دورها وتترك المهمة لأمراء القوى الاسلامية (أتابكة وأيوبيون) ، ولماذا لم يسجل لها التاريخ دوراً فاعلاً في أحداث الصراع العربي الاسلامي من جهة ، والصليبيين من جهة أخرى ، خلال ما يقرب من القرن والنصف من الاستيطان الصليبي في المنطقة وقبل سقوطها بفعل الغزو المغولي ٤٩٢ . ٦٥٦هـ /١٠٩٨ . ١٢٥٨م .

---

(١) للمزيد من التفاصيل ، ينظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣) ١ / ٢٥ ؛ راغب حامد عبد الله البكر : الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، (جامعة الموصل .كلية الآداب ، ١٩٨٣) ، ص ١٦ . ١٧ ؛ صالح العابد ، " **الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة** "، مجلة المورد، العدد ٤ (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ٥ . ١٣ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٩ .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٥ ؛ طقوش : تاريخ الزنكيين ، ص ٤٣٥ . ٤٣٦ .

لا شك أن الخلافة لم تكن جاهلة بمجريات الأحداث وخطورتها ، كما أنها لم تكن لتفوت هذه الفرصة التي ستعزز من مكانتها وهيبتها لدى الرأي العام الاسلامي ، ولكن كانت هناك معوقات حقيقية كبيرة عطلت دورها ، وجعلت منها متفرجاً عاطلاً عن الحركة في الوقت الذي كانت تسعى لقيادة العالم الاسلامي .

إنّ الظروف الاقتصادية التي مرت بها الخلافة كانت أحد أهم المعوقات في تحجيم دورها الايجابي تجاه هذه الأحداث ، إذ يكفي الاشارة إلى موقف الناصر لدين الله من استنجاد صلاح الدين الأيوبي والحاحه على الخليفة بارسال النجدات نتيجة للضغط الصليبي على عكا (١) ، فكان موقف الخلافة الممثلة للعالم الإسلامي بأن بعث إليه الخليفة " حملين من النفط الطيار ، وحملين من القنا الخطي الخطار ، وتوقيع بعشرين ألف دينار تقترض على الديوان العزيز من التجار وخمسة من الزراقين النفاطين " (٢) .

لا جِدال في أن وضع الخلافة الاقتصادي لم يصل إلى هذا الحد من الفاقة والتردي ، بحيث أنهالم تتمكن من المساهمة المادية سوى بهذا القدر الذي تحمل عبئه التجار . ولكن مما لاشك فيه أنها كانت عاجزة عن المشاركة الفعلية ، لواقع جيشها المحدود في العدة والعدد من جهة ، ولعدم قدرتها على تشكيل جيش رديف من المحترفين يمثلها في هذا الصراع لضعف امكانياتها الاقتصادية ، ففي الوقت الذي كان فيه صلاح الدين الأيوبي يستعد لتحرير القدس من الاحتلال الصليبي ، كان الخليفة الناصر لدين الله منشغلاً في كيفية التصدي لمحاولات السلاجقة ، لإعادة أمجادهم في بغداد (٣) ، وهذا القصور يفسر رد الخليفة على طلب لصلاح الدين بالنجدة لقوله : " كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا " (٤) مما يؤكد قناعة الخلافة باستحالة أن تكون حاضرة في خضم الحدث ، فدعاها إلى التخلي عن مسؤوليتها وترك ذلك على عاتق ملوك وأمراء القوى الاسلامية .

٢ . المغول (٥) :

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٢ . ٣٤ .

(٢) العماد الكاتب : الفتح القسي ، ص ٣٦٥ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ١ / ٤٠١ .

(٣) ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص ١٤ ؛ الذهبي : دول الاسلام ٢ / ٩٣ .

(٤) أبو شامة : الذيل ، ص ١٤٧ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ص ٢٦٣ . ٢٦٤ .

(٥) **المغول** : مجموعة من القبائل الّرحل ، نشأت في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي ، وعاشت على روافد نهر عامور وسيطرت على الأراضي الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال كنجان على حدود منشوريا في الشرق ، والمغول قوم حافظوا على طبائعهم الفطرية ،

كان غزو المغول للعالم الاسلامي جزءاً من حركة واسعة تستهدف إقامة امبراطورية مغولية عالمية [١] . وقد بدأ المغول يهددون أطراف العراق منذ سنة ٦١٧ هـ / ١١٢٠ م ، بعد الانتصار الذي حققوه على الدولة الخوارزمية في عهد خوارزمشاه علاء الدين محمد سنة ٦١٦ هـ / ١١١٩ م [٢]، إلاّ أن انسحابهم إلى مواطنهم أخّر هدفهم في التقدم نحو عاصمة الخلافة [٣] .

وكان ذلك مؤشراً كافياً على جدية ما ينتظر الخلافة من خطر ، يقدمها في قيادة المواجهة ، وعليها للقيام بهذه المهمة أن تحقق أمرين ، أولهما : توحيد القوى الاسلامية وتوجيه امكانياتها لوقف الزحف المغولي ، وثانيهما : الارتقاء بقوتها العسكرية من خلال تعزيز قدراتها في العدة والعدد لتكون بمستوى الخطر المحدق بالخلافة .

أثبتت الوقائع أن الخلافة لم تتمكن من تكوين جبهة موحدة من القوى الاسلامية لانشغال هذه القوى بخلافاتها ومصالحها الضيقة من جهة ، ومناصبة البعض الآخر منها العداء للخلافة نفسها من جهة أخرى . كما أننا لم نلحظ من خلال اشارات المصادر ومن الوقائع ، أن الخلافة انتهجت سياسة عسكرية لاتتناسب وحجم الخطر المحدق بها ، إذ

واتخذوا فيما بعد اسم التتار وكانوا قسمين ، الأول : يتكون من تسع قبائل ، والثاني : ثلاثين قبيلة ينقسمون بدورهم إلى ثلاثة أقسام : التتار البيض وهم الذين ينزلون خارج الصين مباشرة ، وتأثر هؤلاء بالحضارة الصينية ، والتتار السود ، وكانوا ينزلون شمال صحراء جوبي ، وكانوا بدواً رحلاً ، وتتار الغابة وكانوا يعيشون حول الروافد العليا لنهري آدنون وكيرولين . (بارتولد : مادة جنكيز خان ، دائرة المعارف الاسلامية ٧ / ١٢٧ ؛ الباز العريني ، المغول ، ص ٢٣ ؛ أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٢ / ٤٦٥ ؛ هوتسمان ، مادة التتار ، دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٥٧٦ ؛ حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٦٢٨ ؛ ل . آ . سيديو : تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر (مصر ، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٩) ؛ محمد نصر مهنا : الاسلام في آسيا منذ الغزو المغولي (الأسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٩٠) ؛ محمد سهيل طقوش : التاريخ الإسلامي الوجيز (بيروت ، دار النفائس ، ٢٠٠٢) ؛ رشيد عبد الله الجميلي " **حملة هولاكو على بغداد** " ، مجلة سومر، العدد الخاص عن بغداد (بغداد، ١٩٧٨) ، ص ٦٠ .

(١) السيد الباز العريني : المغول (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧) ، ص ٢٢٢ ؛ خصباك : العراق ، ص ٥٢ .

(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٣ / ١٢٢ ؛ النسوي : سيرة جلال الدين ، ص ٣٨ ؛ حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٠٨ وما بعدها ؛ فوزي : تاريخ العراق ، ص ٣٥٧ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٦٧١ ؛ خصباك : العراق ، ص ١ ؛ فوزي : الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ص ١٢٠ .

بقيت على الأساليب نفسها في إعلان الجهاد والنفير ، ودعوة العامة للتسلح ، والاستعانة بعدد من قوى الأطراف ، كلما توجست الخطر [١] .

ولا يمكن لأحد أن يوسم خلفاء هذه المدة بالقصور والعجز وعدم الكفاية ، ولكن مما أعجزهم وقّيد دورهم هو ضعف الامكانيات الاقتصادية خاصة ، والتي لم تكن بحجم مكانة الخلافة الاعتبارية وما توجبه لها من دور على صعيد الواقع . مما جعل سياستها تتخبط دون ملامح واضحة تؤشر جدية الخلافة في التعامل مع الخطر ، فعند سماع الخليفة الناصر لدين الله بوصول المغول إلى كرمنشاه واقترابهم من بغداد " أمر الناس بالقنوت في الصلاة وحصن بغداد " [٢]، وتورد المصادر نقلاً عن مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل ما يشير بوضوح إلى حقيقة القوة العسكرية للخلافة ، ففي سنة ٦١٨ هـ / ١١٢١ م وصل المغول إلى أطراف اربل ، فكتب الخليفة الناصر لدين الله إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وإلى مظفر الدين كوكبوري يأمرهم بالاجتماع مع عساكره لمواجهة المغول ، فلما اجتمعا في داقوقا بعث إليهم الخليفة قوة من ثماني مائة جندي بقيادة مملوكه قشتمر ، يقول كوكبوري : " لما أرسل إليَّ الخليفة في معنى قصد التتر ، قلت له : إن العدو قوي وليس لي من العسكر ما ألقاه به ، فإن اجتمع معي عشرة آلاف فارس ، أستنقذت ما أخذ من البلاد ، فأمرني بالمسير ووعدني بوصول العسكر ، فلما سرتُ لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثماني طواشي ، فأقمت وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين " [٣] .

هل يعني ذلك عدم مبالاة الخلافة وجديتها ، أم قصور في تقديرها لحقيقة وطبيعة ما يتهددها ، أم أن الخلافة لم يكن أمامها سوى هذا الإجراء .

لا شكّ أن الخلافة كانت مدركة حقيقة الخطر المغولي ، وجادة في التصدي له ، ولكن كما أسلفنا هذه امكانياتها التي حددت طبيعة سياستها طيلة هذه المدة .

فالخليفة المستنصر بالله ، وعلى الرغم من طول مدة بقائه في منصب الخلافة ، وشهد عصره سقوط الدولة الخوارزمية على يد المغول سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م ، إلاّ أن سياسته في التعامل مع الخطر المغولي أتسمت بالسمات السابقة نفسها ، مما يؤكد عدم

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٨٤ . ٨٥ ، ١١١ . ١١٢ ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ١ / ٨٧ ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : السلوك في معرفة دول الملوك ، تصحيح : محمد مصطفى زيادة (مصر ، ١٩٥٦) ج ١ ق ١ / ٢٥٧ . ٢٥٨ .

(٢) أبو شامة : الذيل ، ص ١٢٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٧٩ .

صحة ما أشار إليه قسم من المؤرخين حول امكانياته الاقتصادية والعسكرية (١)، إذ لم يتمكن خلال مدة خلافته من تكوين جبهة اسلامية موحدة لمواجهة الخطر المغولي، كما أن الوقائع لا تؤكد أن جيش الخلافة قد بلغ في عهده مستوى متقدماً على صعيد الحجم والتسليح والممارسات القتالية ، بما يؤهل الخلافة لأخذ زمام المبادرة في مواجهة الخطر المغولي ، وهذا ما جعل اليونيني (٢) يصف سياسة المستنصر بالله تجاه المغول بأنه كان " يصانعهم ويهاديهم " ، ففي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م وصلت سرايا متفرقة من المغول إلى شهرزور واربل ودقوقا ، فلم يتخذ جيش الخلافة أي اجراء تجاههم " فعادوا سالمين لم يذعرهم أحد ولا وقف في وجوههم فارس " (٣) ، وعندما دخلت هذه السرايا إلى العراق سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م من جهته الشرقية أرسل الخليفة إلى أمراء القوى الاسلامية طالباً العون فجاءه من بعلبك ألف فارس ، ومن دمشق ستمائة فارس ، ووصل من شهرزور طائفة صغيرة ، وكان مجموع القوات التي التقت المغول سبعة آلاف فارس ، منيت أمامهم بالهزيمة (٤)مما يدل على ضعف الجيش وقلّة عدده لعدم قدرة الخلافة على الاستكثار من الجند لضعف امكانياتها الاقتصادية ، بما يفسر قيام الخليفة المستنصر بالله في السنوات الأخيرة من خلافته بفرض أرزاق الجند على أهل السوق (٥) .

ويبدو أن استمرار الضائقة الاقتصادية وعدم قدرة الخلافة على ايجاد حلول لها ، كانت السبب في أن تتخلى الخلافة عن قوتها العسكرية في عهد الخليفة المستعصم بالله إذ " فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم ولحقوهم ببلاد الشام " (٦) ، بعد أن أهمل الخليفة حالهم ومنعهم أرزاقهم وأسقط الكثير منهم من الديوان ، فساءت أوضاعهم المعاشية ، ولّما لم يكن لدى أغلبهم حرفة أخرى يمتهنونها ، فقد ألجأتهم الفاقة إلى الاستجداء في الأسواق وعلى أبواب المساجد (٧) .

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٨٤ . ٨٥ ، ١١١ . ١١٢ ؛ الذهبي : دول الاسلام ٢ / ١١١ ؛ اليونيني : ذيل ١ / ٨٧ ؛ المقريزي : السلوك ج ١ ق ١ / ٢٥٧ . ٢٥٨ .

(٢) ذيل ١ / ٨٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٥٠١ . ٥٠٢ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٧ . ٣١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١١ . ١١٢ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٣٣ ؛ ابن دحية : النبراس ، ص ١٥٨ ؛ ابن الساعي : الجامع ٩ / ٢٢٧ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٣٤ . ١٣٥ .

(٦) اليونيني : ذيل ٢ / ٨٧ .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٦١ ، ٣٢٠ . ٣٢١ .

واختارت الخلافة سياسة الحيلة والخداع [1] والتلويح بمكانتها وقدسيتها وتنازلت عن نفوذها على أقاليمها واكتفت بسلطتها على بغداد،ولم يكن للخليفة فيها سلطة ونفوذ ، إذ كان الخليفة المستعصم بالله يرد على من يحذره من خطر المغول بقوله : " إنّ بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي ، إذا نزلت لهم عن باقي البلاد ، ولا أيضاً يهجمون عليَّ وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي " [2] .

لا شك أن أحداً لا يستطيع تجاهل تأثير عوامل متعددة مما تناوله الباحثون أسهمت فيما آل إليه مصير الخلافة ، ولكن مثلت الأوضاع الاقتصادية في هذه المدة ، عاملاً ضاغطاً على سياسة الخلافة وتوجهاتها على الصعيدين الداخلي والخارجي ، ولم تفلح جهود الخلفاء من خلال كثير من الاجراءات التي اتخذوها من النفاذ من هذه الضائقة ، فآل بهم الأمر إلى الانكفاء في عاصمتهم وقصورهم وانتظار المصير .

---

(١) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ١٤٩ .

(٢) ابن العبري : مختصر ، ص ٢٥٥ .

الفصل الخامس

أثر الأوضاع الاقتصادية في النواحي العسكرية

أولاَ . عناصر الجيش :

اعتمد الخلفاء العباسيون منذ عهد الخليفة المسترشد بالله ٥١٢ . ٥٢٩ هـ / ١١١٨ . ١١٣٥ م في اعادة بناء المؤسسة العسكرية على عناصر وأجناس مختلفة رفدت الجيش العباسي بالمقاتلة ، وقد انضوت هذه العناصر ضمن تشكيلاته عن طريق الأرتزاق . أي جند نظاميين ،أو من خلال التطوع أو البعوث [١] ، ومن هذه العناصر:

١ . القبائل العربية :

مَثّل العنصر العربي نواة الجيش العباسي في هذه المرحلة ، وقد بدأ دخولهم في الجيش منذ عهد الخليفة المسترشد بالله ، وكانوا إما من أصحاب الرزق الذين سجلت أسماؤهم في ديوان الجند ، كجند نظاميين لهم مرتباتهم الثابتة أو متطوعة يحملون سلاحهم حين يطلب إليهم ذلك أو عندما يعلن الخليفة الجهاد في حالة تعرض الخلافة للخطر [٢] .

استمرت الخلافة بالاعتماد على العرب بوصفهم مورداً للمقاتلة في الجيش العباسي ، ففي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م استنفر الخليفة المستعصم بالله أبناء القبائل العربية لوصول طائفة من المغول منطقة الدجيل ، فخرج لملاقاتهم ثلاثة آلاف فارس من العرب ومماليك الخليفة [٣] ، كما أمر الخليفة سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م أهل بغداد بالتأهب للقتال والتدريب على رمي النشاب وتعليق السلاح في الأسواق والخانات والدكاكين والمبيت في الأسواق وإشعال الأضواء على جانبي مدينة السلام تحسباً لخطر المغول[٤].

ولم يقتصر دور العرب في الجيش على المقاتلة بوصفهم جنداً مرتزقة أو متطوعة بل تسلموا المراكز القيادية في الجيش ، ويأتي في مقدمة ذلك الأمير آل تتبه الشطرنجي أمير واسط في عهد الخليفة الناصر لدين الله [٥] والشريف معد متولي بلاد واسط سنة

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٥٠ ، ٩٨ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٧٠ . ١٧٣ ؛ البنداري : تاريخ ، ص ٢٢٦ . ٢٢٩ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٩٩ . ٢٠٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ . ٢٤٢ ؛ نزار محمد قادر : " **الجيش في عهد المستعصم بالله العباسي (٦٤٠ . ٦٥٦ هـ / ١٢٤٢ . ١٢٥٨ م)** " ، مجلة التربية والعلم ، العدد العاشر ، كلية التربية ، (جامعة الموصل ، ١٩٩١) ٢١٦ .

(٥) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ١٤ .

٦١٦ هـ / ١١٢٢ م الذي أمره الخليفة الناصر لدين الله قتال بني معروف وضم إليه المقاتلة من تكريت وهيت والحديثة والأنبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة [١] ، كما تولى العرب مناصب عارض الجيش منهم الأمير ظهير الدين الحسن بن عبد الله [٢] ، وأبو طالب أحمد بن الدامغاني ، والحسن بن المختار العلوي [٣] .

٢ . الأتراك :

إنّ التغير الذي طرأ على سياسة الخلافة العباسية في توسيع قاعدة الجيش قد بدأ بشكل ملحوظ منذ عهد الخليفة العباسي المأمون ١٩٨ . ٢١٨ هـ / ٨١٣ . ٨٣٣ م الذي أرسى أسس السياسة القائمة على الاعتماد على اقليم المشرق بوصفه مورداً أساسياً لتجنيد المقاتلة لأسباب سياسية وعسكرية ، ثم أصبحت هذه السياسة منهجاً عسكرياً لمن جاء بعده من الخلفاء واستكثروا من استقدام العناصر التركية بطرق وأساليب مختلفة حتى أصبحت تمثل عامة الجيش وقاعدته الأساسية [٤] .

وعلى الرغم من المشاكل الكثيرة التي أثارتها هذه العناصر ، حتى غدت سبباً أساسياً في ضعف الدولة في العهود العباسية السابقة ، فقد استمرت الخلافة في الاعتماد عليهم كنواة لجيوشها ، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى ما كان يتمتع به المقاتل التركي من ميزات قدمته أو ميزته عن المقاتلة من عناصر أخرى ، فقد امتاز الأتراك بصفات جسمانية ، ولياقة بدنية مع احتفاظهم بروحهم القبلية وطبيعتها القاسية الملائمة للروح العسكرية [٥] ، لذلك فقد كرسوا حياتهم للغزو والغارة وركوب الخيل " ومقارعة الآبطال وطلب الغنائم وتدويخ البلدان " [٦] ، إذ يمقتون الراحة والمقامويعدونها ذلةً وعجزاً فأمضوا أعمارهم على ظهور الخيل [٧]. لذلك كانت خدماتهم العسكرية معروضة ومهيأة دائماً للانخراط في الجيوش .

(١) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٥٦ .
(٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٥٠ .
(٣) ابن الساعي : الجامع ٩ / ٢٢٨ . ٢٢٩ ؛ ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٠٣ .
(٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤) ، ص ٦٥ ؛ الأصطخري : المسالك ، ص ٢٩١ ؛ أبو العلاء ابن حسول : تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة العلية السلطانية(أنقرة،١٩٤٠) ، ص ٤٠ . ٤٤.
(٥) عباس : جيش العراق ، ص ٧٢ .
(٦) الجاحظ : رسائل ، ص ٦٥ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٤٩ ؛ ابن حسول : تفضيل الأتراك ، ص ٤٠ . ٤٢ .

لذلك لم يكن أمام الخليفة المسترشد بالله سوى الاعتماد عليهم لتكوين قوته العسكرية [1] ، فكّونوا غالبية جنده الذين بلغ تعدادهم سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م ما يزيد على خمسة عشر ألفاً [2] . كما أن الخلفاء الذين تولوا بعده ، استخدموا هذا العنصر على نطاق واسع في الجيش [3] ، وفي محاولة من الخلفاء لغرض الطاعة والولاء فيهم كانوا يشترونهم وهم صغار ويتولون تربيتهم حتى أصبحوا ينسبون إلى الخليفة الذي تعهدهم كالمسترشدي والمقتفوي والمستنجدي والمماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية [4] ، ونتيجة لادراك السلاجقة ، بأن الخلفاء ، بدأوا يستعينون بالأتراك لتكوين قوتهم العسكرية،فقد اشترطوا على الخليفة المقتفي بأمر الله "أن لا يشتري مملوكاً تركياً " [5] .

فضلاً عن أنهم مثّلوا الأغلبية ضمن عناصر الجيش ، فقد كان منهم أمراء الجند والشحن وأمراء الأقاليم [6] ، فكما يقول ابن حسول [7] : " ليس يرضي التركي إذا خرج من وثاقه إلاّ بزعامة جيش أو التوسم بحجبه أو الرياسة على فرقة والأمر والنهي " . ومن أمرائهم المشهورين الأمير مجاهد الدين ايبك المستنصري [8] ، وعلاء الدين أبو شجاع الدكز الناصري [9] ، والأمير مجاهد الدين ايبك المستنصري [10] ، وغيرهم كثير [11] .

نخلص من هذا أن السياسة العسكرية القائمة على تجنيد الأتراك في الجيش قد استمرت وعلى نطاق واسع خلال العصر العبلسي الأخير ، خلافاً لما كان متوقعاً وهو أن خلفاء هذا العصر ، قد استفادوا من أخطاء هذه السياسة وما ترتب عنها من نتائج سلبية كانت لها آثارها المدمرة على قوة الدولة ، ويبدو أنه لم يكن هناك خيار آخر أمام الخلفاء للاستعانة بعنصر بديل جاهز ومهيأ بأعداد كبيرة له من الميزات القتالية ما كان يتمتع به الأتراك وقد ارغمت الخلافة على القبول بهذه المعاناة من واقع الضرورة التي فرضتها

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ١٠ / ٣٥ .
(٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٥٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧ ، ٥٠ ، ١٦٨ .
(٥) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ .
(٦) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٨٠ .
(٧) تفضيل الأتراك ، ص ٤٠ . ٤٢ .
(٨) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٦٦ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .
(١٠) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٧٥ .
(١١) فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٧٤ .

ظروف ذلك العصر على مجاراة الاتجاه العسكري السائد آنذاك المتمثل بتجنيد الفرسان الأتراك .

٣ . الأكراد :

اعتمد الجيش العباسي على تجنيد الأكراد لميزاتهم الحربية وتعودهم على القتال وفيهم شجاعة ونجدة وحمية [١] ، وهم من القبائل القاطنة على ضفاف نهر الفرات أو على سفوح جبال طوروس او من كردستان [٢] ، وكانت مناطقهم تدين بالولاء للخلافة العباسية [٣] . لذلك التحقوابوصفهم جنداً نظاميين ضمن فرق الجيش في العصر العباسي الثاني [٤] .

وعندما سنحت الظروف للخلافة في بناء الجيش التحقت به أعداد كثيرة من الأكراد ، في محاولة من الخلفاء بالاعتماد على العناصر الوطنية في مقاومة السلاجقة [٥]، فضلاً عن أنهم كانوا يلبون نداء الخلافة عند اعلانها للجهاد والنفير العام [٦] . وقد ارتقى قسم منهم إلى رتبة أمير في الجيش أمثال الأمير حسام الدين أبي فراس الحلي الكردي [٧] وأبي الفتح بن ورام [٨] والأمير الحسن بن محمد الكرالكردي الذي استشهد في موقعة الدجيل سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م [٩] .

---

(١) حسين أمين : " **نظام الحكم في العصر السلجوقي** " ، مجلة سومر ، مجلد ٢٠ ، عدد ٢ (بغداد ، دار الجمهورية ، ١٩٦٣) ، ص ٢٢١ . ٢٢٢ ؛ نظير سعداوي : جيش مصر في أيام صلاح الدين (القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٦) ، ص ٢ . ٣ .

(٢) الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ١٤٥ . ١٤٦ .

(٣) عبد الرقيب يوسف : الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى (بغداد ، ١٩٧٢) ١/١٥٤،١٤١، ١٧٣.

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨ / ٣٨٥ . ٣٨٦ .

(٥) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٣١ ؛ ابن الساعي : الجامع ٩ / ١٤٧ . ١٤٨ .

(٦) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٧ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٤٨ .

(٨) المصدر نفسه ١٠ / ٢٧ .

(٩) ابن العبري : مختصر الدول ، ص ٤٧٠ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٥ ؛ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ /٣٤ ؛ قادر : الجيش في عهد المستعصم بالله ، ص ٢٠٦ .

٤ . الديلم :

الديلم هم سكان المناطق التي تقع بين طبرستان وبلاد الخزر [١] ، وقد كّونوا أحد عناصر الجيش في العصور العباسية الأولى ، ويمتاز الديالمة بحبهم للحرب وقدرة عالية على تحمل المصاعب قياساً بالجند الأتراك [٢] .

ويبدو أن فقر بلادهم كان وراء تجوالهم في البحث عن الخدمة في الجيوش طلباً للمال والغنائم [٣]، استناداً إلى ذلك التحقت اعداد منهم ضمن الجيش العباسي في عصره الأخير ، وبرز منهم عدد من القادة والأمراء في عهد الخليفة الناصر لدين الله ٥٧٥ . ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ . ١٢٢٥ م ، وقد وصفهم الرحالة ابن جبير [٤] عند زيارته لبغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م بقوله : " ورونق هذا الملك إنما هو على الفتيان والأحابيش المجابيب ، منهم فتى اسمه خالص وهو قائد العسكرية كلها أبصرناه خارجاً أحد الأيام ، وبين يديه وخلفه أمراء الأجناد من الأتراك والديلم " .

ويبدو أن اعدادهم قليلة قياساً بالعناصر الأخرى ، إذ لم ترد إشارات لدورهم العسكري أو السياسي في أواخر العصر العباسي ،وربما يعود سبب ذلك إلى أن الخلافة لم تعتمد على تجنيدهم بوصفهم عنصراً أساسياً في الجيش ، أو استقدامهم من مناطقهم ، لما أحدثوه من فوضى واضطراب في عصر التسلط البويهي ، أثارت ردود فعل مناهضة لهم من قبل عامة أهل بغداد ، ووجودهم في الجيش في هذا العصر كان قاصراً على الموجود منهم في بغداد .

٥ . الأحباش :

بدأ دخول الأحباش في الجيش العباسي منذ عهد الخليفة المقتفي لأمر الله الذي سعى لبناء القوة العسكرية العباسية ، إلاّ أن السلاجقة اشترطوا على المقتفي لأمر الله عند توليه الخلافة سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م ، أن لا يجند الجند ولا يشتري

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٣٥٣ ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٣٠ ، ٣٣٥ .

(٢) مسكويه : تجارب الأمم ١ / ٣٧٤ ، ٢ / ٦٢ .

(٣) عبد اللطيف الطيباوي : محاضرات في تاريخ العرب والاسلام (بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٧٩) ، ص ١٧٥ .

(٤) الرحلة ، ص ١٨٢ .

المماليك الأتراك [١] ، فلجأ الخليفة إلى شراء المماليك من الأحباش وأوعز بتدريبهم على الفروسية واستخدام الأسلحة ، وجعل منهم قواداً لجيشه الذي استأنف تكوينه فيما بعد [٢] .

وقد اشتهر هؤلاء بالشجاعة والصبر والاخلاص والأمانة [٣] ، لذلك اصطنعهم الخلفاء وخصوهم بخدمتهم فأرتقوا مراتب عالية كأمراء في الجيش أو الحج،منهم مجاهد الدين خالص الحبشي قائد الجيش العباسي في عهد الخليفة الناصر لدين الله [٤] والأمير نجاح الدين بن عبد الله الحبشي [٥] واقبال الشرابي الحبشي قائد الجيش في خلافة المستنصر بالله والمستعصم بالله [٦] .

٦ . الروم والأرمن :

وهم من المماليك كان مصدرهم الأسر أو البيع والشراء والاهداء ، وقد وجدوا في الجيش العباسي بأعداد قليلة ، واستخدمهم البويهيون والسلاجقة في جيوشهم [٧] . وقد استعان بهم الخليفة المقتفي بأمر الله ، فبعد أن حظر عليه شراء المماليك والأتراك ، إذ يقول البنداري [٨] : " وكان الامام لما استحلف على أنه لا يشتري مملوكاً تركياً ،كان يقتني مدة خلافته اما أرمنياً أو رومياً ... واختص من مماليكه الروم والأرمن عدة من النجباء سماهم الخيلية وولاهم الرتب العلية " .

وكشأن بقية المماليك فقد تعهد الخلفاء بتعليمهم وتدريبهم على شؤون الحرب والادارة ، وقد وصفهم الحسن بن عبد الله [٩] " بأنهم ليسوا أهل فروسية وقتال ويميلون إلى المكائد والحروب " . وبرز منهم أمراء تولوا المناصب القيادية في الجيش والادارة منهم قطب

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٦٠ . ٦١ ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٢٩ ؛ البنداري : تاريخ ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٣٢ .

(٣) الحسن بمن عبد الله : آثار الأول ، ص ١٤٦ . ١٤٧ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٨٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٦ .

(٥) الأيوبي : مضمار الحقائق ، ص ٨٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ٨٢ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ؛ ناجي معروف " **عصر الشرابي ببغداد** " ، مجلة الأقلام، الجزء التاسع ، السنة الثانية ، (بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ،١٩٦٦) ، ص ٥ . ٩.

(٧) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١١٩ ؛ البنداري : تاريخ ، ص ٧١ .

(٨) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢١٧ .

(٩) آثار الأول ، ص ١٤٦ .

الدين بدر بن عبد الله الأرمني [١] ، والأمير أبو المظفر باتكين الرومي الذي تولى امارة البصرة سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م [٢] ،ومظفر الدين بهنام الرومي الناصري أمير تستر في عصر الخليفة الناصر لدين الله [٣] .

٧ . الهنود :

كان من بين الجند الذين ضمهم جيش الخلافة في هذا العصر مجموعة من المماليك الهنود ، وقد درّبوا كسواهم على الشؤون الادارية والعسكرية ، وبرز منهم الأمير مرشد الهندي قائد الجيش العباسي في عهد الخليفة المستعصم بالله [٤].

---

(١) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٤ /٦٢٢ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١١١، ١٨٠ . ١٨١؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥١٣ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٠ ، ٦٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ .

ثانياً ـ تشكيلات الجيش :

اختلفت التشكيلات العسكرية في العصر العباسي الأخير عن النسق العام للمؤسسة العسكرية في العهود الأولى ، إذ لم تعد التشكيلات العسكرية تستند في تكويناتها إلى العناصر ، كالعرب والترك ، أو إلى الأقاليم والمدن التي جاء منها المقاتلة ولا إلى اللون ، وغيرها من الأسس التي اعتمدت في تشكيلات الجيش في العصر العباسي الأول ، كما اختلفت تسميات الفرق التي اشتقت أسماءها من أسماء القادة والأمراء والتي برزت في العصر العباسي الثاني ، لذلك يصعب تكوين صورة واضحة عن التشكيلات العسكرية في هذا العصر لعدم وضوح الأسس التي اعتمدت في تقسيم القوة العسكرية ، وعليه يمكننا أن نأخذ بعين الاعتبار طبيعة ارتباط المقاتلة بالمؤسسة العسكرية كجند مرتزقة أو متطوعة ، أساساً لهذا التقسيم ، أو درجة علاقاتهم بالخلافة وقربهم منها ، واستناداً إلى ذلك يمكن القول أن المؤسسة العسكرية في هذا العصر كانت تتمثل بما يأتي :

١ ـ الجند النظامي :

التحق المقاتلة في تشكيلات الجيش العباسي الذي أعيد تكوينه منذ خلافة المسترشد بالله وسجلوا في الديوان بوصفهم جنداً نظاميين (١) ، ويبدوا أن هؤلاء انتظموا في الجيش على شكل وحدات عسكرية صغيرة يتولى مسؤوليتها وقيادتها أمير (٢) ، ولم تقتصر هذه الوحدات على عنصر معين وإنما اجتمع في كل وحدة مجموعة من عناصر مختلفة،ولا يرد ذكر لعدد افراد هذه الوحدات (٣) . إلاّ أن عدداً من الاشارات تذكر وحدات مكونة من خمسين مقاتلاً ومنها مائة (٤).وتكّون هذه الوحدات عسكر الخليفة (٥) ، الذي غالباً ما كان يقوده بنفسه (٦) .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٥٥ .
(٢) المصدر نفسه ١٠ / ٣٥ .
(٣) القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٤٦ .
(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٠٥ .
(٥) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٥ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

ولّما كان المماليك يمثلون غالبية العناصر التي التحقت بالجيش من هذا العصر وهم ممن اشتراهم الخلفاء وتولوا تربيتهم وتدريبهم حتى نسبوا إليهم ، لذلك تفاوتت مراتبهم ومراكزهم ، تبعاً لقربهم من الخليفة ، وما يبدون من خدمات ويظهرون من كفاءة ومقدرة ، لذلك فهم ما بين جندي وأمير ويطلق على مماليك الخليفة بالغلمان ، الذين توكل إليهم عدة واجبات ، كحراسة دار الخلافة وهم الغلمان دارية (١) ، أو لحفظ الأمن والنظام في الداخل (٢)، أما بقية الجند فكانوا من الفرسان الذين غلبوا على صنوف الجيش في هذا العصر (٣) ، ويرجع القزاز (٤)سبب ذلك إلى قلّة عدد الجند من ناحية ومحاولة الخلافة رفع مستواهم التدريبي من ناحية أخرى .

أما الأمراء فكانوا على قسمين : الأمراء العراقيون والأمراء الغرباء (٥) . أما الأمراء العراقيون أو البغداديون ، فهم المماليك الذين اشتراهم الخلفاء وقّربوهم وعهدوا إليهم بأعلى المناصب العسكرية والادارية فتولوا حراسة الخليفة (٦) . ونتيجة لمكانتهم وعلاقتهم المباشرة بالخلفاء فقد كّونوا في هذا العصر طبقة عسكرية تغلغل نفوذها في مختلف الميادين العسكرية والادارية والمالية ويتدرج هؤلاء الأمراء والزعماء في مراتبهم (٧) ، وتميز رؤسائهم بلبس العمائم والمشاد ، ويسير امامهم حملة الأعلام والكوسات والدرباشات والغواشي (٨) ، ويكون في أمرتهم اعداد كبيرة من الفرسان (٩) .

ولم تتحدد ضوابط ثابتة لترقية الأمراء ، بل غالباً ما يتقرر ذلك على وفق رغبة الخليفة وقرب الأمير منه ، فقد الحق الأمير فلك الدين اقسنقر برتبة الزعماء سنة ٦٤٦ هـ

(١) فهد : العامة في بغداد ، ص ٤٥.
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢١٦ ، ٢١٧ .
(٣) المصدر نفسه ١٠ / ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ١٥٦ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٩٨ .
(٤) الحياة السياسة ، ص ١٤٦ .
(٥) فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٤٨ .
(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٩٤ .
(٧) ابن الكازروني : مقامة ، ص ٢٦ .
(٨) فهد : تاريخ ، ص ٢٤٩ .

الكوسات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يضرب أحدهما على الآخر بإيقاع مخصوص (القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٨) .

الدرباشات : مفردها درباشة وهي رماح صغيرة من الحديد (ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ق ٢ / ١٠٢٤) .

الغواشي : مفردها غاشية وهي قطعة من أديم محزوزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يدي الراكب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد(القلقشندي : صبح الأعشى٤/٦).

(٩) ابن الفوطي : مجمع تلخيص الآداب ، ج ٤ ق ٣ / ٤٩٣ .

/ ١٢٤٨م لأنه كان مصاحباً للخليفة المستعصم بالله في رحلة صيد صرعوا فيها عدداً من الغزلان [١] ، ومنهم من كانوا يدفعون الرشاوي لنيل مرتبة الزعامة كما فعل الأميران سيف الدين عبد الله وعلاء الدين علي إذ بذلا عشرين ألف دينار ليكونا من أرباب الدرباشات والغواشي فأجيب طلبهما [٢] ، وهذا بلا شك ناتج من رغبة هؤلاء في الحصول على المكانة والامتيازات التي يمنحها هذا المنصب لصاحبه وقد يخلع الخليفة هذه الرتبة على البعض من باب التشريف ، فقد خلع على مظفر الدين بن الأمير جمال الدين قشتمر سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م بالامارة وعمره يومئذٍ ثلاث عشرة سنة وحمل فخر الدين بن الأمير شرف الدين لقب الأمير ، ولم يتجاوز عمره خمس سنين اعترافاً من الخليفة المستنصر بالله بمكانة آبائهم [٣] .

ولم تقتصر واجبات الأمراء على الأعمال العسكرية ، بل عهدت لهم وظائف مختلفة كالاختصاص في خدمة الخليفة ومرافقته في تنقلاته وتمثيله لدى أمراء القوى الاسلامية [٤] ، أمثال الأمير خالص الناصري خادم الخليفة الناصر لدين الله [٥] ، ومن الأعمال التي أوكلت لهؤلاء الأمراء في خدمة الخليفة ، هي حمل الدواة في دار الخلافة أو عند خروج الخليفة في موكب يسمى الموكل بها (الدويدار) ، ومن مهامه تبليغ أوامر الخليفة وتقديم الكتاب إليه [٦] ، ويعمل تحت أمرته عدد من الأمراء والجند برتب أصغر منه يسمون الدوادارية [٧] ، واشتهر من هؤلاء علاء الدين الطبرسي الظاهري المعروف بالدويدار الكبير ، مملوك الخليفة الظاهر بأمر الله وحامل دواته ، وفي عهد الخليفة المستنصر بالله ارتفع شأنه وأصبح من أكابر الزعماء وتقلد امارة الحج أكثر من مرة [٨] ، والأمير مجاهد الدين ابو الميامن ايبك بن عبد الله المستنصري المعروف بالدويدار الصغير حامل الدواة للخليفة المستنصر بالله " الذي بلغ من الجاه العريض والحرمة الوافرة ، حتى أنه كان يترفع على وزير الدولة الذي هو نائب الخليفة ... وكان من أكابر الزعماء

---

(١) ابن الفوطي : مجمع تلخيص الآداب ، ج ٤ ق ٣ / ٤٨٩ .
(٢) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٠٢ ؛ فهد : تاريخ ، ص ٢٥٠ .
(٣) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ / ١٣١ ، ١٣٢ .
(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ١ /٧٠ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٦ .
(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ١٩ ، ٥ / ٤٦٢ .
(٧) عباس : الجيش ، ص ٩٠ .
(٨) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ / ٩٩٩ ؛ فهد : تاريخ ، ص ٢٥٢ .

وأرباب العمائم " [١] . وقد تولى قيادة الجيش لمواجهة المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م [٢] ، ومن الوظائف التي تقلدوها الشرابي ويتولى صاحبها تقديم الأشربة المعمولة من السكر أو الفواكه ، والأدوية للخليفة [٣] يساعده في ذلك عدة غلمان دون مرتبته [٤]، واحتل الأمراء الشرابيون منزلة خاصة لدى الخليفة،لقربهم منه ، فضلاً عن ارتباط وظيفتهم بصحة الخليفة وحياته ، لذلك كانوا يختارون من خواص مماليك الخليفة [٥] .

لذلك تعاظم نفوذهم وتولوا المناصب العليا كقيادة الجيوش وزعامة المماليك والاشراف على دار الخلافة [٦] ، وممن تولى هذه الوظيفة من الأمراء عز الدين نجاح ابن عبد الله التركي الناصري الشرابي ، أمير جيوش الخليفة الناصر لدين الله ومرافقه ، والحاكم في دولته [٧] ، والأمير شرف الدين أبو الفضائل اقبال الشرابي الحبشي المستنصري المستعصمي تولى قيادة الجيوش العباسية في خلافة المستنصر بالله وأصبح فيما بعد من خواص الخليفة المستعصم بالله [٨] . ومن وظائفهم الأخرى الكوارزدار [٩] والبقجة دار [١٠] وأمير آخور [١١] وأمراء السلاحية [١٢] وامارة الحج [١٣] .

ـ أما الأمراء الغرباء . فهم الذين كانوا يلجأون إلى بغداد طلباً للخدمة في الجيش العباسي وينالون الحظوة لدى الخلافة ، وفي بعض الأحيان كان الخلفاء يبعثون في طلبهم تعزيزا لقوتهم العسكرية، ولذلك قدم إلى بغداد اعداد من هؤلاء في فترات متباينة ومن

---

(١) للمزيد ، ينظر : الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٧٥ ، ٥١٩ . ٥٢١ ، ٦١٦ ، ٦٣٣؛ معروف : عصر اقبال الشرابي ، ص ٤ .
(٢) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٣٣ .
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٩ ؛ فهد : تاريخ ، ص ٢٥٦ .
(٤) ابن الكازروني : مقامة ، ص ٢٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠ . ٢١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٦٠٠ ؛ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ / ٣٧٣.
(٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٧٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٢١ ، ٦١١ .
(٩) **الكوارزدار** : اشتقت التسمية من الكوز ، ومعناها قارورة الماء ، ويتولى متوليها حمل الماء في موكب الخليفة (ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ / ٧٤٣) .
(١٠) **البقجة دار** : يقوم متوليها بحمل ثياب الخليفة وحاجياته في رحلاته وتنقلاته (فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٥١) .
(١١) **آخور** : تعني الأصطبل (القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ١٨ ، ١٩ ؛ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ / ١٣٨) .
(١٢) **السلاحية** : وهم المختصون بحراسة الخليفة ، وتعهد إليهم مهمات قتالية كحراسة الطرق أو تولي مهام الشحنكية (ينظر : ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٤٣ ؛ حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف في الآثار العربية (القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦٥) ٢٠ / ٢٤٢ .
(١٣) ينظر : فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٥٩ . ٢٧٠ .

مناطق مختلفة ، ولتمييزهم عن الجند البغدادي ، أفرد لهم ديوان خاص بهم سمي بديوان عرض الغرباء وأصبحوا ضمن تشكيلات الجيش العباسي في هذا العصر [١] ، وممن قدم إلى بغداد من أمراء الشام ومصر الأمير حسام الدين أبو الهيجاء من أكابر أمراء مصر الأيوبية قدم إلى بغداد سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م بدعوة من الخليفة الناصر لدين الله فأصبح من جملة أمرائه [٢] . والأمير فخر الدين أبو نصر بن أيوب الأربلي قدم إلى بغداد من الشام في عهد الخليفة المستنصر بالله [٣]، فضلاً عن التحاق عدد من أمراء الأسرة الزنكية والأيوبية في فترات مختلفة [٤] .

فضلاً عن ذلك فقد مثّلت عساكر الشحنكية [٥] إحدى تشكيلات الجيش العباسي ، التي أوجدها السلاجقة بوصفها وظيفة أبان سيطرتهم على الخلافة ، يعين متوليها من قبل السلطان وتتحدد مهماته في إدارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها وملاحقة الخارجين على النظام [٦]،ويبدو أن خلفاء هذا العصر أبقوا على هذا التشكيل العسكري ، وعلى الرغم من أن واجبات الشحنة كانت تقتصر على الجبهة الداخلية ، إلاّ أن الخلفاء أسندوا لهم مهمات عسكرية كرديف للجيش النظامي ، ففي سنة ٦٣٤ هـ /١٢٣٦م ولي الأمير ايدمر الأشقر الناصري شحنة بغداد أمور العسكر على أثر اعلان الخليفة الجهاد لتواتر الأخبار باغارة المغول [٧] ، وشاركت العساكر الشحنكية في موقعة بغداد سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م وفيها استشهد شحنة بغداد عز الدين ابقرا الظاهري [٨] .

---

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٢٨ . ٢٢٩ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٠٣ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٤٥٢ ؛ ابن واصل : مفرج ٣ / ٤٧ .

(٣) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣ / ٥٤ .

(٤) للمزيد ، ينظر : فهد : تاريخ ، ص ٢٧٢ . ٢٧٣ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ١٠٤ . ١٠٥ .

(٥) **الشحنة** : الرابطة من الخيل في البلد لضبط أهله ، واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل إذ ملأته بها . فهي وظيفة عسكرية لحماية المدينة (الزبيدي : تاج العرقس ٩ / ٣٥١) .

(٦) أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٠١ . ٢٠٢ .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٩٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .

٢ . المتطوعة :

يمثل المتطوعة تشكيلات عسكرية مؤقتة تلتحق بالجيش في ظروف الأزمات والأخطار ،إذ كانت الخلافة تعلن الجهاد وتستنفر المسلمين للقتال فيتطوع الناس ويجندون أنفسهم دفاعاً عن خلافتهم وبلادهم وأنفسهم ، وقد مثّل أهل بغداد القبائل العربية من أهل السواد والبوادي مصدراً للجيش العباسي يرفده بالمتطوعة كلما استدعت الضرورة [١] .

٣ . عساكر أمراء الأطراف :

لجأت الخلافة في هذا العصر إلى اعتماد سياسة عسكرية تقوم على الاستعانة بالأمكانيات القتالية للقوى الاسلامية التي تدين لها بالولاء ، من منطلق تبعيتها للخلافة ، بوصف أن الخليفة العباسي هو إمام المسلمين ، الذي يتوجب عليهم نصرته وطاعته ، وقد حرص أمراء القوى الاسلامية على تلبية مطالب الخليفة لأنه المصدر الوحيد للشرعية التي يسعون الحصول عليها لتقوية مراكزهم أمام بقية الأمراء وفرض سلطتهم على رعاياهم [٢] .

وشهد عهد الخليفة الناصر لدين الله توسعاً ملحوظاً في الاعتماد على هذه القوات لتحقيق أهداف الخلافة في فرض سلطتها وهيبتها على مناوئيها أو المتمردين عليها ، فقد استعان بقوات قزل أرسلان أمير همدان لمساعدة جيش الخلافة في مواجهة السلطان طغرل السلجوقي سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م [٣] ، واشتركت قوات علاء الدين تكش أمير خوارزم مع قوات الخليفة الناصر لدين الله في القضاء على السلطان طغرل في معركة قرب مدينة الري سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م [٤] ، كما أوعز إلى مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل وإلى الملك الظاهر غازي صاحب حلب وإلى الملك العادل صاحب مصر وإلى جلال الدين صاحب قلاع الاسماعيلية للاجتماع بعساكرهم في بغداد للمشاركة في القضاء على تمرد منكلي أحد المماليك في همدان ، وذلك سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥م [٥] ، وتركز ذلك حتى أصبح الاعتماد على قوى الأطراف من ثوابت السياسة العسكرية للخلافة العباسية .

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٤١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٥٦ . ٣٥٧ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٦٧ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٤٨٤ . ٤٩٢ .

(٤) الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٣١٣ .

(٥) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٣٤٨ . ٣٤٩ .

وفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م وردت الأخبار عن تقدم المغول إلى بغداد فأرسل الخليفة المستنصر بالله إلى أمراء القوى الاسلامية يطلب منهم المدد [١] فوردت إلى بغداد اعداد رمزية من الجند من بعلبك ودمشق وشهر زور [٢] ، واضطر الخليفة المستعصم بالله في تعزيز استعداداته لمواجهة الخطر المغولي كما يقول اليونيني[٣] إلى: " الانتصار بكل أحد " .

---

(١) ينظر : ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٥٠٢ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١١١ . ١١٢ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة، ص ١١٢ . ١١٣؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٨٠ . ٤٨١.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١ / ١٧٣ . للمزيد من المعلومات ، أنظر : قادر : الجيش في عهد المستعصم بالله ، ص ٢١٥ .

ثالثاً . حجم الجيش :

يختلف المؤرخون في تحديد حجم االجيش العباسي في هذا العصر ، فقسم منهم يورد من الأرقام ما يشير إلى أن حجمه كان كبيراً ، فيذكر عن الخليفة المستنصر بالله ٦٢٣ . ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ . ١٢٤٢ م بأنه استكثر من الجند حتى بلغ تعداد جيشه مائة ألف جندي (١) ، ويقول رشيد الدين الهمداني (٢) عن جيش الخلافة سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م "وكانوا خلقاً لا يحصى " . من جهة أخرى يذكر القسم الآخر بأن جيش الخلافة " كان في غاية القلة " (٣) .

ويبدو أن سبب هذا الاختلاف يعود إلى أن حجم الجيش لم يكن ثابتاً ، نتيجة لالتحاق المقاتلة في أوقات متفاوتة ، فضلاً عن أن التجنيد لم يكن بشكل دائمي بل فرض وقتي حتمته طبيعة الظروف التي واجهتها الخلافة ، لذا يتكرر في المصادر عبارة " دون الخليفة " (٤) ، حتى أن هولاكو الذي كان يخطط لغزو العراق لم يستطع الحصول على معلومات دقيقة تحدد له حجم الجيش العباسي ، فيذكر أنه لّما عزم على غزو بغداد كان يتخوف من كثرة جند الخلافة (٥)، فضلاً عن هذا فإن حالة عدم الثبات والاستقرار التي تميز بها جيش الخلافة في هذا العصر نتيجة لسياسة الحظر والمراقبة الشديدة التي فرضها السلاجقة على الخلفاء لحرمانهم من التجنيد .

وفي الوقت الذي تشير فيه المصادر إلى أن اعداد الجند تضخمت في عهد الخليفة الناصر لدين الله ٥٧٥ . ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ . ١٢٢٥ م والخليفة المستنصر بالله ٦٢٣ . ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ . ١٢٤٢ م حتى أن جريدة الجيش في عهد الأخير بلغت مائة ألف جندي (٦) ، نلاحظ أنها تهبط بهذا الرقم إلى عشرة آلاف أو عشرين ألف في عهد الخليفة المستعصم بالله ٦٤٠ . ٦٥٦ هـ / ١٢٤٢ . ١٢٥٨ م (٧) . إلاّ أن الوقائع

---

(١) الذهبي : دول الاسلام ٢ /١٤٦ ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ١ / ٨٦ ؛ المقريزي : السلوك ج ١ ق ١ / ٢٥٧ . ٢٥٨ ، ٣١٢ .
(٢) جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٩ .
(٣) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٣٣٥ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٢٠١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٠٧ . ٦٠٨ / ٦٣٨ ، ٦٧٧ ؛ ابن واصل : مفرج ١ / ٤٩ .
(٥) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٧٧ .
(٦) القلقشندي : مآثر الانافة ٢ / ٨٩ . ٩٠ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦١ .
(٧) ابن الوردي : تاريخ ٢ / ٢٨٠ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٢١ . ٢٢ .

تؤشر بأن حجم الجيش النظامي لم يكن كبيراً بحيث يمكن الاعتماد عليه في المواجهات الكبيرة ، لذلك غالباً ما كانت الخلافة تضطر إلى اعلان النفير ، وحشد أهل بغداد او الاستعانة بالقوى العسكرية لأمراء الأطراف لتعزيز قوتها العسكرية [١] .

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٩٩ . ٢٠٠؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٥ ؛ قادر : الجيش في عهد المستعصم بالله ، ص ٢١٨ .

رابعاً ـ التسليح والتدريب :

تعرضت الخلافة العباسية في عصرها الأخير إلى حقب من التسلط من قبل جيوش أجنبية " بويهية وسلجوقية " ولكل من هذه القوى نظمها العسكرية وفنونها القتالية وتجهيزاتها الحربية التي تتلاءم مع ميزاتها القتالية والطبيعة الجغرافية لموطنها الأصلية (١) . وهذا بلا شك أتاح للخلافة الاطلاع على خبرات وأساليب قتالية متنوعة والتعرف على أنواع وأشكال مختلفة من الأسلحة ، ولكن على الرغم من هذا نلاحظ أن هذا العصر لم يشهد تطوراً ملحوظاً في أسلحة وأعتدة المؤسسة العسكرية العباسية ، ويبدو أن ضعف الإمكانيات الاقتصادية للخلافة فضلاً عن الدور المحدود لمؤسستها العسكرية ، جعلها تقتصر في تجهيز جيشها على الأسلحة التقليدية المتعارف عليها في العصور السابقة مع شيوع بعض أنواع الأسلحة (٢) التي فرضتها المهمات الدفاعية للمؤسسة العسكرية في هذا العصر .

وقد اعتمدت الخلافة في تجهيز الجيش على عدة مصادر للتموين ، مصدر خارجي وذلك عن طريق التجارة ، حيث يتم شراء الأسلحة من الأسواق الخارجية (٣) ، ومن خلال ما يأتي به التجار إلى بغداد لعرضه في أسواقها ولا سيما سوق السلاح الكائن في الجانب الشرقي (٤) ، أو عن طريق تصنيعها داخلياً ،بعد توافر المعادن اللازمة والخبرات الفنية ، وذلك لصعوبة الاعتماد على التمويل الخارجي في توفير احتياجاتها وسد النقص في تجهيزاتها العسكرية ، فضلاً عما يوفره ذلك من نقد كانت الخلافة في حاجة ماسة إليه ، لذلك توجهت الخلافة إلى إقامة صناعة عسكرية محلية لتوفير احتياجاتها العسكرية ، وكان أمراء الأطراف يرسلون إلى الخلافة كميات من الأسلحة على سبيل الهدايا أو المساعدات أو كتعويض ولا سيما عند تعرض خزائنها للإحتراق أو الفيضان (٥) .

---

(١) سي . أي . بوزورث : " **التنظيم العسكري عند البويهيين في العراق وإيران** " ترجمة : عبد الجبار ناجي ، مجلة المورد ، مجلد ٤ ، العدد ١ (بغداد ، ١٩٧٥) ، ص ٣٨ ـ ٤٠ .

(٢) نقصد بها الأسلحة النارية (قوارير للنفط) .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٩٨ ، ١١١ .

(٤) الصابي : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت ، ١٩٠٤) ، ص١٠٨ ، ٣٠٦ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ١٢٩ .

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٥٢٣ ؛ ابن الساعي : الجامع ٩ / ١٤٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٩٣ .

تولت الخلافة في هذا العصر مهمة تسليح الجيش وتوفير مستلزماته جميعها فكانت لها خزائن للأسلحة تقع عادةً ضمن دار الخلافة للمحافظة عليها وحمايتها [١] ، يشرف عليها الخليفة بنفسه أو يعين لها مسؤولاً من الأمراء المقربين لديه فيسمى بأمير السلاح [٢] ، ويخصص لها المشرفين والحراس والفعلة والصنّاع [٣] وترد في المصادر عدة اشارات بحجم ما تحويه هذه الخزائن من أنواع الأسلحة [٤] .

وعلى غرار ما ذكر سابقاً فإن أسلحة الجيش في هذا العصر تقسم على قسمين : أسلحة خفيفة ، وتشمل السيوف [٥] والرماح [٦] والنشاب [٧] والمقالع [٨] والبندق [٩] والخوذ والدروع والترس [١٠] وقذائف النار التي تتخذ من النفط كسلاح يرمى به الجيش المعادي عن طريق المناجيق (المقاذيف) أو قوارير النفط أو الزراقات على شكل حمم ملتهبة [١١] ، وهذه تمثل غالباً سلاح الفرسان والمشاة وتستخدم في الدفاع والهجوم ، أما الأسلحة الثقيلة ، فكانت تتمثل في المناجيق (المقاذيف) [١٢] ، وتشمل العرادات وهو نوع صغير

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٧٠ ؛ ابن الساعي : الجامع ٩ / ١٢٩ .

(٢) ابن الساعي : الجامع ٩ / ١٢٩ ؛ ابن الكازروني : مقامة ، ص ٢٢ .

(٣) عباس : جيش العراق ، ص ١٤٩ .

(٤) ينظر : ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٠٦ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٥٢٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٩٣ .

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٥٢٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٢٠٦ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٩٣ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٦٩ ـ ١٧١ .

(٨) ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٧٠ .

(٩) **البنــدق** : كرات تصنع من الحجارة أو الرصاص ترمى بواسطة آلة تسمى آلة البندق .ينظر : ابن العمراني : الأنباء ، ص ٢١٥ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ١٥٦ ـ ١٥٨ .

(١٠) ينظر أنواع الدروع والتروس . ابن الجوزي : المنتظم ١٦٩/١٠ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة ج ٨ ق ٢ / ٥٢٣ ؛ عبد الرحمن زكي : السلاح في الاسلام (القاهرة ،١٩٥٦) ، ص٢٦ ـ ٢٧؛ صلاح الدين العبيدي: الجيش والسلاح في العصور العربية الاسلامية ، ضمن موسوعة الجيش والسلاح (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٧) ٣ / ٣٩٠ ؛ خالد جاسم الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩) ، ص ٥٧ .

(١١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٦٨ ـ ١٧٠ ؛ العماد الكاتب : الفتح القسي ، ص ٣٦٥ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ١ / ٤٠١ ، ج ٨ ق ٢ / ٥٢٣ .

(١٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ؛ ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٥١ ؛ ابن الكازروني : مختصر ، ص ٢٧٢ .

من المناجيق [١] ، والجروخ وهو منجنيق (مقذاف) صغير يستخدم في رمي السهام [٢] ، والدبابات [٣] . وركزت الخلافة في هذا العصر ، على حفر الخنادق وترميم وبناء الأسوار لحماية العاصمة بغداد من الأخطار الكثيرة التي تعرضت لها من جيوش السلاجقة والغزنويين والمغول [٤].

وكان كل سلاح يمثل صنفاً في الجيش ، وفضلاً عن الفرسان والمشاة [٥] . كان هناك الرماة (النشابة) [٦] والمنجنيقيون[٧] والنفاطون والعرادون ورماة الجروخ [٨].

وغالباً ما تتمثل هذه الصنوف في الاستعراضات العسكرية التي تقيمها الخلافة في المناسبات الدينية كالأعياد ،أو عند الاستعداد للقتال أو لإظهار القوة وارهاب العدو . إذ كانت الصنوف المقاتلة تستعرض من قبل الخليفة أو وزيره بكل تجهيزاتها العسكرية [٩] ، فتمر القطعات بترتيب وتنسيق من أمام دار الخلافة في " أحسن زينة ، وأبهى حلية ، وأعظم سكينة " [١٠] . وقد تميز هذا العصر بكثرة الاستعراضات العسكرية التي أقامها الخلفاء منذ عهد الخليفة المسترشد بالله ٥١٢ . ٥٢٩ هـ / ١١١٨ . ١١٣٥ م [١١] .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٠/ ١٦٨ . ١٧٠ ؛ ابن الكازروني : مختصر ، ٢٧٢ ؛ الحسن بن عبد الله : أثار الأول ، ص ١٩٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٢٦ ؛ زكي : السلاح ، ص ١٩ .

(٣) القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٤٧ .

(٤) ينظر : ابن الجوزي : المنتظم ٢٤٥/٩ ؛ ٤٨/١٠ . ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٣٢ ، ١٧٥ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٩٨ ، ١١١ ، الغساني : العسجد ، ص ٤٨٠ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ٢٣٣/٩ ، ٢٣٧ ، ٣٠/١٠ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٦، ١٩٩ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٤٦ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٧٠ . ١٧٣ ؛ ابن الكازروني : مختصر ، ص ٢٧٢ .

(٧) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، هامش (٤٠٠) ، ص ٢٢٩ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ١٠/ ١٦٨ . ١٧١ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٩ ؛ للمزيد عن الصنوف . ينظر : عباس : جيش العراق ، ص ١٧٤ . ١٨٦ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٣٣ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ٤ / ١٣٥ .

(١٠) ابن الكازروني : مقامة ، ص ٢٦ .

(١١) ينظر للتفاصيل : ابن الجوزي : المنتظم ١٠ /٣٥ ، ١٣٣ ، ١٥٨ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٤٣ .

وتقام لهذه الصنوف والوحدات تدريبات منتظمة في معسكراتها خارج بغداد [١] ، ولّما كان صنف الفرسان قد غلب على تشكيلات الجيش إذ لا يرد ذكر للمشاة إلاّ عند الاشارة إلى المتطوعة من أهل بغداد والسواد [٢] . فقد تركز التدريب على الفروسية . ويجري عادة في الميدان خارج دار الخلافة ، وميدان الخيل داخل السور [٣] ، ويشمل ذلك التدريب على ركوب الخيل والثبات عليه والطعن بالرمح والرماية به من على ظهر الفرس ورمي المزارق والنشاب والمبارزة والمطاردة [٤] ، وقد شاعت في هذا العصر كما شاعت من قبل ممارسة الخلفاء والأمراء لهواية الصيد [٥] التي من خلالها يتمرن الفرسان على ركوب الخيل والرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس واختبار الخيول [٦] .

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١١٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ /٣٠ ، ٣٥ ، ٤٥ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٩٨ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٤٦ .

(٣) سبط ان الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ١ / ٤٣ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ١٢٧ .

(٤) ينظر : نجم الدين حسن الّرماح : الفروسية والمناصب الحربية ، تحقيق : عبد ضيف العبادي (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٤) ، ص ٢٨ . ٥٥ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ١٧٦/١٠ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٣٤ ؛ ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٥٤ .

(٦) الحسن بن عبد الله : آثار ، ص ١٣٤ ؛ ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٥٤ .

خامساً ـ التنظيمات الإدارية والاقتصادية :

١ ـ الديوان :

استمرت وظيفة الديوان في ادارة أمور الجيش وتنظيم سجلات الجند وضبط الأموال المصروفة لهم وما تحتاج إليه دوابهم من ميرة وعلف ثمَّ تسجيل أسماء الجند ومراتبهم العسكرية فضلاً عن تسليحهم وتموينهم ، وتثبيت وتحديد إقطاعاتهم [١] . وأصبح يطلق عليه في هذا العصر بـ (ديوان العرض) [٢] ،ـ وقد أشرنا إلى أن العباسيين كانوا قد اقتبسوا وظيفة العارض من الأمويين ، وان الخليفة المأمون ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ / ٨١٣ ـ ٨٣٣م كان أول من أفرد للعراض ديواناً خاصاً بهم سمي بديوان العرض ، يرتبط تنظيمياً بديوان الجيش [٣] . ويسمى متولي هذا الديوان بالعارض [٤] ، وتتحدد واجباته بمعرفة العساكر وحفظ أرزاقهم ، وما يحتاجون إليه من أسلحة ودواب [٥] ، ولغرض تنظيم هذه الواجبات ، كان على العارض اعداد جرائد (سجلات) من أهمها جريدة الجيش وهي بمثابة مجلس مرتب حسب حروف المعجم ، تضم أسماء أرباب الاقطاعات وكبار الأمراء والأجناد مع تعيين تاريخ التحاقهم بالخدمة ومقدار عطائهم [٦] ، ثم ينظم سجلاً آخر حيث يقسم الجند فيها على المقدمين فيكون كل مقدم مسؤولاً عن عدد من الأجناد ويضاف عدد من المتقدمين إلى مقدم أكبر هو مقدم الألف [٧] ويفرد كاتب الجيش سجلاً خاصاً للأمراء مماثلاً لسجل الجند ، وسجلاً آخر

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤؛ الحسن بن عبد الله : آثار الأول، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢) ابن الساعي : الجامع ٩ / ٢٢٩ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٣) الطبري : تاريخ ٨ / ٥٨٧ .

(٤) ظهير الدين محمد بن الحسين ابو شجاع : ذيل تجارب الأمم، نشر : آمدروز (القاهرة ، مطبعة التمدن، ١٩١٦) ٣ / ٤٠ ـ ٤٣ .

(٥) عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني : الأنساب ، تصحيح : عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، (حيدر آباد الدكن ، مطبعة دار المعارف ، ١٣٨٣ هـ) ٤ / ١٩٠ ، ابن الكازروني : مقامة ، ص ٢٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٥٦٥ ؛ فهد : تاريخ ، ص ٢٤٤ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ٣ / ٥٦٥ .

(٧) فهد : تاريخ ، ص ٢٤٥ .

يثبت فيه اسم المقدم وعدته ومقدار إقطاعه الشخصي واقطاع اتباعه ويسمى ذلك جريدة العدة [(١)] .

ولا يشترط أن يكون العارض من رجال الجيش ، لأن وظيفته ادارية تنظيمية أكثر منها عسكرية ، لذلك غالباً ما يختار من الكتاب المتصفين بالأمانة والإخلاص والكفاءة والادارية [(٢)] . إلاّ أن وظيفته تفرض عليه أن يكون ذا معرفة واطلاع على أحوال الجند وأخبارهم ومعرفة الرجال ورتبهم واقدارهم وأن يكون خبيراً بالجيوش وعرضها [(٣)] . إذ يشارك أمراء الجند بوضع الخطط العسكرية ومرافقة الجيش في معاركه فضلاً عن مشاركته في المراسيم الرسمية [(٤)] ، وللعارض نائب ينوب عنه بادارة أعمال الديوان في حالة غيابه ، كما يتم تعيين عارض ثانوي لجيوش الأقاليم [(٥)] .

ونتيجة لتنوع أجناس الجند ومصادرهم بعد قدوم أمراء الأطراف إلى بغداد وانضمامهم إلى جيشها ، مما استلزم تقسيم الديوان على قسمين ، وأصبح له منذ سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م عارضان أحدهما يتولى شؤون الغرباء من الجند ويسمى بديوان عرض الغرباء [(٦)] ، وثانيهما يتولى شؤون الجند البغدادي ، ويسمى ديوان عرض العساكر البغدادية [(٧)]،واستمر هذا التقسيم في الديوان حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد [(٨)] .

وقد نال ذلك مثار اعجاب الشعراء وثنائهم ابان قوة الدولة فقيل فيه :

هذه دولة حوت كل حسن   وجهها مشرق بديع المعاني
فلها حاجبان زيدا جمالاً   ولها من جمالها عارضان [(٩)]

في حين أثار سخريتهم وتهكمهم في ظروف ضعفها وعجزها العسكري فقيل :

أما الوزير فمشغول بعنبره   والعارضان فنساج ومدّاد [(١٠)]

---

(١) النويري : نهاية الأرب ٨ / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ فهد : تاريخ ، ص ٢٤٥ . ٢٤٦ .
(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٠٦ .
(٣) الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ٦٩ . ٧٠ .
(٤) ابن الفوطي : الحوادث السابقة ، ص ٣٠ ، ١١٩ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٤٨١ ، ٥٥٠ .
(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ٢١٥ .
(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٠٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢١ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٢٤ . ٦٢٥ .
(٩) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٠٣ . ١٠٤ . وكان قد جعل لديوان المجلس حاجبان .
(١٠) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢١ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٢٤ . ٦٢٥ .

٢ . الأرزاق والرواتب :

كانت الخلافة مسؤولة عن الانفاق على الجيش فتوفر له حاجاته من الأرزاق والسلاح [(١)] ، وتعتمد الخلافة في مصروفاتها على الجيش وما توفره مواردها من أموال ، وتحددت مصادر وارداتها في هذل العصر بما كانت تفرضه من ضرائب تقليدية شرعية كالخراج والجزية والزكاة وعشور التجارة والتركات وخمس الغنائم [(٢)] ، أو ضرائب مستحدثة كالضرائب على الأسواق والحوانيت وعلى البضائع المنقولة ، ومصادرة أموال من تغضب عليهم الدولة من كبار الموظفين بعد عزلهم [(٣)] .

يقرر الخليفة مقدار ما يصرف للأمراء والجند من رواتب أو معيشة ، كما اصطلح على تسميتها في هذا العصر [(٤)] ، وليس هناك ما يشير إلى أسس ومعايير ثابتة لتحديد هذه الرواتب ، لذلك تباينت مقاديرها واختلفت مصادرها تبعاً لاختلاف رتب الجند ، وقربهم من ولي الأمر إذ قربت رواتب الأمراء ما بين ألف دينار إلى أربعة آلاف دينار في السنة [(٥)] ، وبلغت رواتب كبار الأمراء البغداديين والغرباء ستة آلاف دينار في السنة [(٦)] . ولمكانة هؤلاء المماليك في الخلافة خصصت لعدد منهم رواتب تقاعدية بعد استعفائهم من الخدمة ، فقد خصص للأمير أبي شجاع الدكز الناصري راتباً سنوياً بحدود اثني عشر ألف دينار [(٧)] .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٠٠ ؛ ابن الساعي : الجامع ٩ / ١٦ . ١٧ ، ٢٢ ، ٤٦ . ٤٧ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٨ ؛ فهد : تاريخ ، ص ٢٩٦ . ٣٠١ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٣٣ ؛ ابن دحية : النبراس ، ص ١٥٨ ؛ ابن الساعي : الجامع ٩ / ٢٢٧ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٣٤ . ١٣٥ .

(٤) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٧ .

(٥) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ / ٧٤٥ ، ١٠٢٤ ، ج ٤ ق ٣ / ١٣٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٠٢ ؛ خالد جاسم الجنابي : الجيش والشرطة ضمن كتاب حضارة العراق (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٤) ٦ / ٢٣٣ .

(٦) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ١ / ٥٨٤ ، ٥٩٥ ؛ ج ٤ ق ٢ / ٤٩٣ ، ٦٤٥ .

(٧) المصدر نفسه ج ٤ ق ٢ / ١٠٠٣ ؛ فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٠٥ .

فضلاً عن ذلك كانت الخلافة تمنح كبار الأمراء الاقطاعات كتعويض عن الزيادة في الرواتب أو سعياً منها لضمان ولائهم (١) ، وقرب دخل بعض هذه الاقطاعات ما بين مئة ألف إلى خمسمائة ألف دينار (٢) .

فضلاً عن هذا كانت الخلافة تغدق على زعماء الجيش وأمرائه المكافآت والخلع في شتى المناسبات تكريماً لهم (٣) ، وتتكون خلعة الخلافة عادة من قباء وعمامة وفرس بمركب ذهب وسيفاً محلى بالذهب وكنبوش (٤) ابريسم ومشدة في عنق الفرس وعدد من الكوسات والأبواق والأعلام (٥) ، كما كانت الخلافة تخص أمراء الجيش بالتكريم إشارة منها إلى ما لهؤلاء من مكانة رفيعة ، فقد خلع الخليفة المستنصر بالله على الدويدار الكبير علاء الدين الطبرسي بمناسبة زواجه مائة ألف دينار (٦) ، وأرسل إلى دار الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك ليلة زفافه من الهدايا ما يزيد ثمنه على ثلاثمائة ألف دينار وانعم عليه صبيحة اليوم التالي لزفافه ثلاثمائة ألف دينار (٧) .

كما كان للأمراء أرزاق جارية في كل يوم " من اللحم والتوابل والخبز والزيت ، ولأعيانهم الكسوة والشمع ... مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه (٨) .

أما الجند ، فتقدر رواتبهم تبعاً لعلاقة المملوك بالخليفة (٩) ونوعية صنفه ورتبته ، فضلاً عن ما يبديه الجندي من كفاءة واستبسال في القتال (١٠) . ولم ترد في المصادر اشارة تحدد مقدار راتب الجندي أو إستحقاقه ، سوى ما ذكر عن الخليفة المستنصر بالله

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٥٥٦ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٢٧ ، ٢٨ ، ١٨٠ . ١٨١ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٧ .

(٢) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ / ٩٩٩ ؛ ج ٤ ق ٣ / ٥١٦ . ٥١٧ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٣٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ١٠ / ١٧٥ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ / ٣٨ .

(٤) **الكنبوش :** هو ما يستر به مؤخر ظهر الفرس ، وهو تارة مكون من الذهب المزركش أو من الفضة الملبسة بالذهب . ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ٢ / ١٢٩ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٣؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٥٣٧ ، ٥٧٥ ، ٥٨٧ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٦٤ . ٢٦٥ .

(٧) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٣٣ ؛ فهد : تاريخ ، ص ٢٧٦ . ٢٧٧ .

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٥٢ . ٥٣ .

(٩) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٠ .

(١٠) الخوارزمي : مفاتيح ، ص ٥٩ . ٦٠ .

إذ قام سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م بتوزيع مكافآت على الجيش ، فكان مقدار ما أصاب كل جندي من المماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية خمسين دينار ومنح جميع الجند ومماليك الأمراء والعرب خمسة عشر ديناراً إلى ثلاثين [١] . وقد تصرف للجند مواداً عينية عوضاً عن النقد كرواتب ، إلاّ أن هذا لا يحصل إلاّ في حالة الأزمات وانقطاع الأموال وتأخرها ، ويصرف للجندي إلى جانب راتبه أرزاق جارية من المواد الغذائية [٢] ، كما تقوم الخلافة بتوزيع مبالغ تشجيعية للجند في أوقات القتال ، كما فعل الخليفة المستعصم بالله إذ خصص أموالاً للجند الرماة الذين تصدوا للجيش المغولي [٣] .

٣ . النفقات العسكرية :

كانت الخلافة تخصص مبالغ كبيرة لانفاقها في تجنيد المقاتلة ، فأغلبية الأمراء والجند كانوا من المماليك الذين اشترتهم الخلافة،وكانت مبالغ شرائهم كبيرة [٤] ، فضلاً عما كانت تنفقه من أموال للتجنيد أثناء تعرضها لخطر ، فقد أرسل الخليفة المستنصر بالله إلى الملك الكامل . صاحب مصر . مئة ألف دينار ليستخدم بها العساكر [٥] .

من جهة أخرى بذل الخلفاء أموالاً طائلة على تجهيز الحملات العسكرية ،وبلغ ما صرفه الخليفة الناصر لدين الله على الجيش الذي أرسله إلى همدان سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م لمواجهة السلطان طغرل السلجوقي ستمائة ألف دينار [٦] ، ونتيجة لاخفاق هذا الجيش في المواجهة وعودته إلى بغداد ، قام الخليفة الناصر لدين الله : " بتجهيزهم مرة ثانية وإزاحة علتهم ، وأخرج من العُدّة الوافرة والأسلحة العظيمة والأموال الجسيمة مالا عهد لأحد بمثلها خارجة من الديوان العزيز " [٧] . في حين كلفت استعداداته لمواجهة جلال

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٠ .
(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٥٢ . ٥٣ .
(٣) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٧٢ .
(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ٩ / ٣٠٣ .
(٥) ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٥١ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ٢٢٢ .،
(٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٤٨٠ . ٤٨١ ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢٩٤ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .

الدين خوارزم شاه الذي عزم على مهاجمة بغداد سنة ٦٢٢ هـ / ١١٢٥ م ألف ألف دينار [١] .

وتشمل التكاليف العسكرية ، ما كانت تنفقه الخلافة على بناء الأسوار وترميمها وتحصينها،إذ كانت تكلف مبالغ طائلة حتى أن الخلافة كانت تقترض الأموال من أرباب الخلافة وعامة الناس وتستعين بهم للقيام بهذا العمل [٢] .

فضلاً عن هذا فقد تحملت الخلافة مسؤولية تجهيز الجيش بالأسلحة والأعتدة ، لذلك كانت تنفق مبالغ كبيرة لتوفيرها ، سواء عن طريق استيرادها أم تصنيعها داخلياً ، ويكفي أن نشير للدلالة على حجم هذه التكاليف ما ذكره الغساني [٣] في حوادث سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م عن تقديره للأضرار التي أحدثها الحريق الذي وقع في خزانة السلاح ، ما قيمته ثلاثة آلاف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار .

---

(١) الذهبي : العبر ٥ / ٨٦ . ٨٧ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ١٠٥ . ١٠٦ .

(٢) ينظر : ابن الجوزي : المنتظم ٩ / ٢٢٢ . ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ . ٢٤٥ .

(٣) العسجد ، ص ٢٩٣ .

سادساً . واقع المؤسسة العسكرية :

يعد المؤرخون القوة العسكرية أساساً لأي كيان " فالملك بناء والجند أساسه، فإذا قويَ الأساس تمَّ البناء، وإذا ضعف الأساس أنهارَ البناْء ، فلا سلطان إلاّ بجند " [١]. ولذلك اعتمدت القوة العسكرية كأحد أهم الأركان في اقامة الدولة وإرساء أسسها ، فقيل " الُمْلكُ بالجند " و " المُلكُ نظام يعضده الجند " [٢] .

إنّ إعادة بناء المؤسسة العسكرية التي بواسطتها حققت الخلافة أهدافها في الخلاص من التسلط الأجنبي واستعادة نفوذها وسيطرتها وهيبتها في الداخل والخارج ، لم يتحقق إلاّ بفضل الجهود التي بذلتها الخلافة منذ عهد الخليفة المسترشد بالله ومن أعقبه من الخلفاء كالراشد والمقتفي لأمر الله ، إلاّ أن بوادر الضعف بدأت تظهر للعيان من جديد بعد أن تعرضت المؤسسة العسكرية لاختبار قوتها ازاء التحديات المستجدة التي هددت كيان الخلافة وسيادتها ، وقد بدا ذلك جلياً وواضحاً في الاخفاقات التي منيت بها المؤسسة العسكرية في مواجهتها لجيوش قوى الأطراف منذ عهد الخليفة الناصر لدين الله ، مما يؤشر قصور السياسة التي اعتمدتها الخلافة في بناء قوتها العسكرية .

إذ أن خلفاء العصر العباسي الأخير انتهجوا السياسة العسكرية ذاتها التي ابتدأها أسلافهم والقائمة على توسيع قاعدة الجيش ، وذلك بتنوع عناصره ، حيث ضمَّ الجيش في هذا العصر ، عناصر مختلفة تفاوتت اعدادها ، وتباين دورها ومكانتها تبعاً لموقف الخلافة منها، وبالرغم من أن تركيبة الجيش حافظت على تنوعها كما كان في السابق ، إلاّ أنّ عدة تغييرات طرأت على هذه التركيبة ، فقد لاحظنا أن الخلافة اعتمدت في بداية

---

(١) أبو عبد الله بن الأزرق : بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق وتعليق : علي سامي النشار (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٧) ١ / ١٩٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩ .

تكوين قوتها العسكرية على العناصر الوطنية وخاصةً من عامة أهل بغداد والسواد الذين مثّلوا ثقل الجيش في مراحله الأولى ، وهو تطور لم تشهده الخلافة العباسية سابقا، إلاّ أنّ هذا الوجود لم يكن ممثلاً بالجيش بشكل دائم حيث غلب عليه التطوع الوقتي وتلبية نداء الخلافة للجهاد أو الدفاع عن البلاد كلما داهمها خطر .

من جهة أخرى لاحظنا أنّ الخلافة اعتمدت في التجنيد على العناصر الموجودة في بغداد ، أو ما يرد إليها بطريقة أو أخرى ، خلافاً لما عهدناه سابقاً من أن الخلافة كانت تستعين بأقاليم الدولة لتجنيد المقاتلة بأعداد كبيرة ، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى انحسار نفوذ الخلافة السياسي وانفصال أكثر أقاليمها عنها ، وقيام الجيوش المحلية ، إذ لم يعد جيش الخلافة عامل اغراء لمقاتلة الأقاليم، فضلاً عن أن لسياسة المتسلطين من بويهيين وسلاجقة ، التي حرصت على حرمان الخلافة العباسية من امتلاك قوة عسكرية وفرض رقابة شديدة على الخلفاء وتجريدهم من امكانياتهم الاقتصادية كلها أسهمت في تقييد حركة الخلفاء والاعتماد على ما توافر من الجند،لهذه الأسباب غلب على تشكيلة الجيش في هذا العصر ، عنصر المماليك الذين اشترتهم الخلافة وأعدتهم لتولي المهام العسكرية والادارية .

فضلاً عن ذلك تشير تشكيلات الجيش إلى أن الخلافة اعتمدت في أوقات الأزمات وعندما تداهمها الأخطار ، على المتطوعة والنفير العام ، فضلاً عن استعانتها بقوى أمراء الأطراف ، مما يؤشر قلّة اعداد الجند النظاميين ، فضلاً عن ذلك ولا سيما أن المتطوعة وعساكر الأطراف لا تكلف الخلافة أية التزامات مالية يوجبها عليها الجند النظامي ، وهذا ما يفسر سياسة الخلافة العسكرية في التوسع في هذه الممارسات ، إذ انتهجت الخلافة منذ عهد الخليفة الناصر لدين الله في تعزيز قوتها العسكرية على المتطوعة واللجوء إلى اعلان الجهاد والنفير ، ويبدو أن ذلك يعود فضلاً عن ذلك إلى قلّة أعداد الجيش وضعفه ، إذ لم يكن بمستوى الأخطار التي واجهت الأمة والخلافة في هذا العصر ، لذلك نلاحظ أن دعوات الجهاد تترافق وتتزامن كلما داهم البلاد خطر [١] ، وهذا بلا شك كان أحد عوامل ضعف المؤسسة العسكرية في العصر العباسي الأخير ، ففي الوقت الذي كانت فيه الخلافة في عصرها الأول يقتصر اعتمادها على المتطوعة وتحدد واجباتهم في المرابطة في الثغور ، أو المشاركة الجزئية في عمليات الجهاد حتى أنها كانت تحرص

---

(١) ينظر : ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٨٤ . ٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١١ . ١١٢ ؛ السيوطي : السلوك ج ١ ق ١ / ٢٤٢ ، ٢٥٧ . ٢٥٨ .

على عدم اختلاطهم في الجيش النظامي [1] ، أصبحوا في هذا العصر يمثلون عماد القوة العسكرية تلجأ إليهم الخلافة عند حدوث المشاكل والاضطراب مما كان له أثر سيء في تنامي المؤسسة العسكرية في حجمها واستعدادها الفني والتعبوي ، فضلاً عن عدم معرفة المتطوعة لفنون القتال ، واكتسابهم للخبرة الحربية ، فهم يفتقدون لعنصر الانضباط والالتزام الذي يتصف به الجند النظامي او يستطيعون العودة والانفصال عن الجيش في أي وقت يشاءون وليس لأحد أن يلزمهم بالبقاء أو الاستمرار في القتال ، مّما له أثر في قوة الجيش ومعنويات أفراده [2]، فضلاً عن ذلك فإن هذه القوات التي غالباً ما كانت رمزية ومحدودة العدد وإن أدت بلا شك بعض مهام الخلافة العسكريّة، إلاّ أنه لا يمكن عدّها ضمن تشكيلات المؤسسة العسكرية العباسية في عصرها الأخير ، ففضلاً عن قلّة اعدادها، فهي لم تكن مهيأة ومتواجدة كلما استدعت الحاجة إليها ، كما أن انشغال أمراء القوى الاسلامية بمصالحهم الأقليمية والدفاع عن مناطق نفوذهم جعلهم في مناسبات عديدة يعتذرون عن تلبية نداء الخليفة ، فضلاً عن هذا فان مشاركة أمراء القوى ضمن قوة الخلافة العسكرية كانت تحكمها اعتبارات مصلحية أو اقليمية يسعى هؤلاء إلى تحقيقها من خلال قربهم من الخليفة أو تقديم خدمات له ، ذلك أنهم لم يجدوا حرجاً في التخلي عن الخلافة وتركها تواجه أعداءها منفردة إذا ما تعارضت مصالحهم ، ثمَّ أن اخفاق الخلافة طيلة هذا العصر في تكوين جبهة موحدة قوية من القوى التي تدين لها بالولاء نتيجة لتعارض مصالح هذه القوى مع بعضها ، قلل كثيراً من أهميتها العسكرية وأظهرت اخفاق السياسة العسكرية لخلفاء هذا العصر في الاعتماد على امكانيات قوى الأطراف العسكرية كبديل لتعزيز وتطوير الجيش النظامي المركزي ، الذي بقيت اعداده محدودة ، إذ على الرغم مما تذكره المصادر من أرقام كبيرة عن حجم جيش الخلافة إلاّ أننا يجب أن لا ننلق وراء ما ذكره المؤرخون عن حجم الجيش كثرةً أو قلةً إلاّ أنه ومن خلال استقراء الأوضاع السياسية والعسكرية في هذا العصر ، يمكن أن نقرر بأن حجم الجيش لم يكن كبيراً [3] ، يؤكد لجوء الخلافة إلى استخدام أساليب مختلفة لتجميع الجند كلما داهمها خطر ، كالتجنيد الوقتي،وتسليح العامة، واعلان الجهاد واستنفار المسلمين ، فضلاً عن الاستنجاد بجيوش أمراء الأطراف ، فضلاً عن ذلك لم يستطع الجيش العباسي أن يقوم

(١) الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص ٢٥ .

(٢) فاروق عمر فوزي : النظم الاسلامية (الشارقة ، دار الخليج للطباعة ، ١٩٨٣) ، ص ١٨٥ .

(٣) القزاز : الحياة السياسية في العراق ، ص ١٤٤ .

بدور حاسم لمواجهة الأخطار التي تعرض لها العالم الإسلامي من قبل المغول في المشرق والصليبيين في المغرب .

من خلال ذلك يمكننا القول استناداً إلى الواقع السياسي والعسكري أن حجم الجيش لم يكن كبيراً ، وأسباب ذلك تكمن في أن الخلافة لم يعد في امكانها تجنيد اعداد كبيرة كما هو الحال في عصرها الأول ، وذلك لانفصال أكثر أقاليمها عنها ، وقيام الدول والامارات التي كان لها جيوشها التي اعتمدت على تجنيد السكان المحليين فأقتصرت سلطتها الفعلية على بغداد والبصرة وتكريت واربل وبعض المناطق الصغيرة [(١)] ، مما أدى بالنتيجة إلى معاناة الخلافة من الضائقة الاقتصادية لانقطاع الموارد المالية التي كانت ترد إليها من هذه الأقاليم ، فأصبحت الخلافة عاجزة عن مواصلة سياستها في تجنيد العناصر الأجنبية التي تعرض خدماتها في مقابل الأموال والامتيازات ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان لعجز الخلافة عن دفع رواتب الجند وتحسين أوضاعهم الاقتصادية سبباً لتخلي الكثير منهم عن الخدمة في جيشها وترك بغداد إلى أماكن أخرى ، ولتخلص الخلافة من اعبائهم الاقتصادية لجأت إلى تسريح اعداد كثيرة من الجند" فلم يبقَ إلاّ القليل النزر"[(٢)] .

كما أن النظام الاداري للخلافة في هذا العصر، قام على منح الولايات التي استعادت الخلافة السيطرة عليها ، استقلالية في حربها وخراجها ، مما يسمح للأمير بتشكيل جيش خاص به ضمن ولايته [(٣)] . ولم يرد في المصادر ما يشير إلى حجم هذه الجيوش واوضاعها ودورها في الأحداث ، لهذه الأسباب كانت الخلافة تلجأ إلى أسلوب الاستنفار وقبول المتطوعة واعلان الجهاد الديني والاستنجاد بالحكام المسلمين كلما تعرضت للخطر . كما لا يمكن القبول بما ذهب إليه عدد من المؤرخين من أن هدف الخليفة الناصر لدين الله من احياء نظام الفتوة بهيكليته ومبادئه ، ومن ثم قيادته له ومن اعقبه من الخلفاء قد أضاف قوة عسكرية عززت الخلافة في أزمتها إذ أن هذا التنظيم لم يتمخض عن تعبئة قوى العامة وتوحيدها في أرجاء العالم الاسلامي ، بما يمثل قوة احتياطية هائلة تسخرها الخلافة في درء الأخطار التي أحدقت بها وخاصة الاجتياح المغولي والغزو الصليبي ، مما يدل على ذلك استمرار الخلافة العباسية حتى أيامها الأخيرة في انتهاج أساليب عسكرية تستند على الاستنفار واعلان الجهاد والدعوة للتطوع ،

---

(١) القزاز : الحياة السياسية في العراق ، ص ١٢٢ .

(٢) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٧٠ .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ١٨٦/٩، ٢٠٦ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة، ص ١٨١ . ١٨٢ .

وهي أساليب وقتية تلجأ إليها في ظروف الأزمات وتنتهي بانتهائها ، لذلك لم يحقق نظام الفتوة استناداً إلى الوقائع التاريخية أية نتائج على صعيد واقع المؤسسة العسكرية العباسية مما ذهب إليه الباحثون المحدثون (١) . لذلك لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن عناية الخليفة الناصر لدين الله ومن أعقبه من الخلفاء باحياء نظام الفتوة ورئاستهم له ودعوة الملوك والأمراء للانضمام إليه ، كان لإغراض اعتبارية دعائية استهدفت اعلاء شأن الخلافة وسموها ووصايتها على القوى الاسلامية وتنظيماتها الشعبية .

فضلاً عن ذلك لم تستطع الخلافة العباسية بسبب قلّة مواردها المالية ومشاكلها الاقتصادية من تطوير وتحديث تجهيزاتها العسكرية ونوعية التسليح والتدريب لغرض تحسين ادائها القتالي فاقتصر التسليح على الأسلحة التقليدية والتي كانت مستخدمة في العصور العباسية السابقة ـوعلى الرغم من ذلك فقد مثّلت النفقات العسكرية عبئاً ثقيلاً على ميزانية الخلافة وافقدتها توازنها الاقتصادي (٢) .

لقد مثّلت رواتب الجند إحدى مشاكل الخلافة وأسباب ضعفها في الوقت نفسه إذ خصت زعماء الجيش وأمرائه بالرواتب العالية ، فضلاً عن الأرزاق العينية الجارية والجوائز والاقطاعات مما جعلت منهم طبقة ثرية مترفة في حين لم يكن باقي الفئات من الجند تحظى إلاّ بالقليل من العطاء وربما تأخر عنهم ، فضلاً عن حرمانهم من بقية الامتيازات ، مما أحدث هوة واسعة بين أمراء الجيش وقاعدته، فضلاً عن عدم احساس الأمراء بمعاناة جندهم (٣) ، وأصبحت مطالبة الجند برواتبهم المتأخرة من أهم المشاكل الاقتصادية التي تواجه الخلافة وبعد تولي المستعصم بالله الخلافة سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م طالبت جماعة من الجند من مماليك الظاهرية والمستنصرية قائد جيش الخليفة شرف الدين اقبال الشرابي بزيادة في معايشهم ، غير أن القائد رفض طلبهم وأجابهم : " ما نزيدكم بمجرد قولكم بل نزيد منكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها " (٤) . فنفروا وخرجوا إلى ظاهر البلد وأحدثوا الشغب في باب البدرية (٥) ، وتكرر ذلك

---

(١) الديوه جي : الفتوة في الاسلام ، ص ٤٠ . ٤٥ ؛ كاهن : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٠٧ . ٢٠٩ .

Philb – Hitti . History of the Arabs (London 1960) P . 481 .

(٢) ابن كثير : البداية ١٣ / ٤١ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٢٩٣ .

(٣) رشيد الدين :جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٩٢ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٣٧ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦٨ . ١٦٩ ؛ خصباك : العراق في عهد المغول ، ص ٢١ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ٢٢٧ . ٢٢٨ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦٨ . ١٦٩ .

سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م وثاروا بسبب تأخر أرزاقهم [١] ، إذ لم يمثلوا لديهم سوى مرتزقة وموالي متى ما طالبوا باستحقاقاتهم لم يجد الأمراء ما يمنعهم من إقصائهم والتخلي عن خدماتهم .

لقد انعكست الأوضاع الاقتصادية سلبياً على المؤسسة العسكرية فقد أفسد الترف الاقتصادي قادة الجيش في حين لم يكن لقاعدته ما يغريها في تأدية واجبها العسكري . ويصفهم قطب الدين الحنفي [٢] بقوله : " ... مرفهون بلين المهاد ساكنون على شط بغداد في ظل ثخين وماء معين وفاكهة وشراب واجتماع أحباب وأصحاب ، فما كابدوا حرباً ولا دافعوا طعناً وضرباً ... " . ويقول عنهم الأشرف الغساني : [٣] " اهتموا بالاقطاعات والمكاسب واشتغلوا بما لا يجوز من الأمور الدنيوية واشتغلوا بتحصيل الأموال " .

هذه التركيبة أوجبت على الخلافة السعي لتوفير الأموال اللازمة للانفاق على الجيش وبأية صيغة ، ولّما كانت رقعتها الجغرافية محدودة ومواردها قليلة ، ذلك كله جعلها غير قادرة على أن تتوسع في حجم الجيش من جهة ، وألزمتها الضرورة في محاولة لارضاء الأمراء والزعماء الكبار إلى اللجوء إلى صيغ ادارية وعسكرية لتوفير الأموال اللازمة مثل الاقطاع والضمان . في حين لم تتمكن من النهوض بالمستوى الاقتصادي بقاعدة الجند ممن امتهنوا الجندية حرفة لهم ، إذ بقيت أرزاقهم متدنية ، فضلاً عن تأخرها فاضطروا إلى ممارسة مهن أخرى لتعويض ذلك ، في حين غادر قسم آخر عاصمة الخلافة إلى أماكن أخرى لتعرض خدماتها . وفي رواية أن الوزير أسقط في شهر واحد خمساً وثلاثين ألفاً من الديوان وأخرجهم من بغداد [٤] .

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٧ / ٢٠ .

(٢) الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، نقلاً عن ناجي معروف . عصر الشرابي ببغداد ، ص ١٠ .

(٣) العسجد المسبوك ، ص ٦٢٤ .

(٤) الديار بكري : تاريخ ،ص ٣٧٦ . ٣٧٧ .

سابعاً . موقعة الدجيل وحصار بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م :

١ . الواقع السياسي والعسكري للمغول :

في اجتماع القوريلتاي سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م قرر " مانغو خان " الذي تولى قيادة المغول ، السيطرة على البلاد الغربية ومنها العراق بعد أن استعرض ممالك العالم ، فوجد أن قسماً منها لم يدخل تحت طاعتهم (١) . إذ أن السياسة المغولية منذ أيام جنكيز خان كانت تستهدف إقامة إمبراطورية مغولية عالمية على وفق مفهوم يقوم على تقسيم الأمم إلى عبيد خاضعين لسلطانهم ، أو أعداء يجب القضاء عليهم (٢) . لذلك ضموا إلى نفوذهم، منذ أن بدأت حركة توسعهم ، مناطق واسعة شملت أغلب بلاد الصين وتركستان وجزءاً من الهند وأكثر بلاد ايران وآسيا الصغرى وجورجيا والقفقاس وروسيا وبولندا وأجزاء أخرى من أوربا الشرقية (٣) ، وهذا بلا شك قد جعل تحت سيطرتهم مصادر بشرية واقتصادية وعسكرية هائلة .

بدأ احتكاك المغول بالعالم الاسلامي منذ سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م حين احتكوا بدولة خوارزم (٤) ، ولم يتوقف غزوهم لاقليم الخوارزمية عند حدود ما وراء النهر أو خراسان بل استمر ، ليحطم المشرق الاسلامي كلّه بضمنهم العراق وحاضرة الخلافة بغداد ، وتم ذلك خلال اربعين سنة من بدء تحرك المغول باتجاه العالم الاسلامي (٥) .

---

(١) النسوي : سيرة ، ص ٣٨ . ٤٠ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٣٣ . ٢٣٤ ؛ علاء محمود خليل قداوي : " **تحالف ملوك ارمينيا الصغرى وانطاكية الصليبية مع المغول** " ، مجلة التاريخ العربي ، العدد العاشر (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الحديثة ، ١٩٩٩) ، ص ١٥١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٥٨ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ١٨٨ .

(٣) خصباك : العراق في عهد المغول ، ص ١ . ٢ ؛ فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠) ١ / ٢٥٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٥٨ ، ٣٦٩ ؛ النسوي : سيرة ، ص ٤٣ . ٤٦ .

(٥) فوزي : الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ص ١١٩ .

إلاّ أن السد الذي وقف حاجزاً بين المغول والخلافة العباسية كانت الدولة الخوارزمية [١] ، وبانهيارها أمام المغول سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م [٢] انفتح الطريق أمامهم فتوغلوا في البلاد دون مانع يمنعهم فوصلوا إلى ديار بكر وآمد وميافارقين والجزيرة والموصل وأربل ودقوقا [٣] ، وتعرضت سراياهم المهاجمة لمدن العراق لأكثر من ثلاث عشرة مرة منذ وفاة جنكيز خان سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢١٣ م إلى سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥٧ م [٤] . ويبدو أن هدف هذه السرايا لم يكن بقصد الاحتلال والاستقرار ، بقدر ما كان تهدف إلى اشاعة الخراب وبث الخوف والفزع وتجريد المناطق من خيراتها بعد الاستيلاء عليها وجس النبض لقوة الخلافة وقدرة جيشها على المواجهة فضلاً عن تعرفهم على المنطقة بطرقها ومسالكها وعوامل قوتها وضعفها [٥] .

إلاّ أن الزحف المغولي ، الذي استهدف السيطرة على المشرق الاسلامي ، والعراق بالذات ، قد تقرر في قراقورم سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م [٦] وعهد بهذه المهمة إلى هولاكو الذي عرف بصلابته وهيبته .

٢ . استعدادات المغول :

بعد أن عيّن مانغوخان أخاه هولاكو قائداً للحملة ، أمر بأن يعد لذلك جيشاً كبيراً يتناسب وطبيعة الأهداف التي أنيطت به لتحقيقها ،فأصدر أمراً بمضاعفة الجند الذين يرافقون هولاكو وذلك بتخصيص اثنين من كل عشرة جنود من الجيوش المشرقية والمغربية على أن يرافقه أخوته وأقاربه وعبيده ، والأمراء من نسل جنكيز خان ، بأعداد كبيرة يصعب حصرها ، وأرسل معه ألف بيت من قبائل الخطا [٧] المختصين

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ٢ / ٦٧٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٤٩٥ ؛ ابن العبري : مختصر الدول ، ص ٢٤٧ .

(٣) ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٥١ . ٢٥٥ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٠٩ ، ١٩٩ . ٢٠٠ .

(٤) ينظر : القزاز : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (العراق ، مطبعة النجف ، ١٩٧٠) ، ص ٥٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ١٢ / ٣٨٦ ؛ القزاز : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص ٥٢ ، ٦١ .

(٦) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٣٦ . ٢٣٧ .

(٧) **الخطا** : قبائل بدوية وثنية ، استقرت في بلاد ما وراء النهر . ينظر : بنامين التطيلي : الرحلة ، ص ١٦٠ .

بصناعة المنجنيقات وزراقات النفط ورماة السهام ، واصلاح آلات القتال وأرسلت الأوامر مقدماً بحجز جميع المراعي والمروج التي سيمر بها الجيش بعد تحركه من العاصمة قراقورم ومنعت جميع الحيوانات من الرعي فيها ، وتم تجهيز كل مقاتل بكميات كبيرة من الدقيق وقربة من النبيذ ، ووجه الأمراء والحكام المحليين الواقعين على طريق مسيرة الجيش بتهيئة المؤن والأرزاق ومعلوفات الحيوانات لتموين الجيش عند مروره بهم ، كما عّبدت الطرق التي رسم الجيش المروربها ونصبت الجسور على الأنهار ومجاري المياه السريعة ، وهيأت القوارب والسفن في النقاط التي يحتاج إليها الجيش من أجل العبور ، كما أمر بتحرك بايجو وجرماغون إلى بلاد الروم وأرسل القائد (كبتوغا نويان) في اثني عشر ألف مقاتل بهدف الاستطلاع [١] .

أقيم احتفال كبير لهولاكو معلناً بداية العمليات العسكرية ، بعد أن زوده الخان بحيثيات خطته ، وهي أن يبدأ بأقليم قوهستان[٢] في ايران، ثم يتوجه بعدها إلى العراق ، مؤكداً عليه أن يغرق كل من يعترض طريقه أو يخالف ارادته في الذلة والمهانة ، بضمنهم خليفة بغداد [٣] .

غادر هولاكو معسكره في غنجه في منتصف شهر ربيع الأول ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م وأخذت جيوشه تتحرك من مختلف النقاط التي كانت ترابط فيها ، وكانت حركة الجيش بطيئة،بحيث استغرق أكثر من سنتين حتى وصل معسكره في كش القريبة من سمرقند ، حيث توافد ملوك وأمراء المنطقة للترحيب به وتقديم الهدايا واعلان طاعتهم واستعدادهم لمرافقته [٤] ، وفي هذه الأثناء بدأت طلائعه بقيادة (كبتوغا) بمهاجمة قلاع الاسماعيلية ومحاصرة قلاعها والاستيلاء عليها الواحدة بعد الأخرى ، في حين كان هولاكو يرسل إلى ملك الاسماعيلية " خورشاه " يأمرة بالاستسلام ، وبعد أن أدرك عبث المقاومة أعلن استسلامه في ذي القعدة سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، وأرسل إلى الخان فأمر بقتله [٥] ،

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٣٥ . ٢٣٦ ؛ خصباك : العراق في عهد المغول ، ص ٤٥ . ٤٦ .

(٢) **قوهستان** : يطلق على السلسلة الجبلية الممتدة بين هراة ونيسابور . (ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٣ / ١١٣٥) .

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٣٦ . ٢٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ، م ٢ ج ١ / ٢٣٩ . ٢٤٠ .

(٥) المصدر نفسه م ٢ ج ١ / ٢٥١ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٧ / ٣٧٩ ؛ أدور جرانفيل بروان : تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة : ابراهيم أمين الشواربي (القاهرة ، ١٩٥٤) ٢ / ٥٨١ .

وتوجه هولاكو في ربيع الأول سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م إلى همدان وأرسل " بايجونويان " في حملة إلى بلاد سلاجقة الروم ، فأستولى على بلادهم جميعها (١)

وفي همدان انصرف هولاكو إلى إعادة تنظيم جيشه وترتيبه واستكمال تجهيزه ، وتفرغ بذلك للخلافة العباسية ، وبدأ يعد العدة للزحف عليها، مبتدئاً ذلك بتبادل الرسل ، لكي يطلع على حقيقة موقفها وطبيعة استعداداتها .

٣ . الواقع السياسي والعسكري للخلافة العباسية :

أشرنا سابقاً إلى طبيعة أوضاع الخلافة العباسية في عقودها الأخيرة ، وأن عوامل متعددة أسهمت في ضعفها وانحسار نفوذها وسلطانها على البلاد بحيث انحصرت رقعتها بين قرية العقر حدود أتابكية الموصل شمالاً إلى عبادان جنوباً ومن القادسية غرباً إلى حلوان شرقاً (٢). وهذا يعني في حسابات القوى إنحساراً في امكانياتها البشرية والاقتصادية مما له أثر في سلطتها السياسية وقوتها العسكرية ، هذا فضلاً عن لضطراب أوضاعها السياسية والاقتصادية والداخلية ، مما أثر كثيراً في استعداداتها العسكرية لمواجهة الخطر المغولي .

فعلى المستوى السياسي،لم يكن الخليفة المستعصم بالله ،لا في صفاته أو مؤهلاته ، رجل الساعة الذي يرتجى لقيادة البلاد في ظروفها الصعبة والحرجة (٣)، فعلى المستوى الخارجي ، لم يسع لتكوين جبهة موحدة من القوى الاسلامية ، مستعيناً بمكانته الدينية

---

(١) خصباك : العراق في عهد المغول ، ص ٤٨ ؛ صالح محمد العابد ، وعماد عبد السلام رؤوف : العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي ، ضمن كتاب العراق في التاريخ (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٣) ، ص ٥٤٦ ؛ عباس اقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ترجمة : عبد الوهاب علوي (أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، ٢٠٠٠) ، ص ١٩٩ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ٣ / ١٩٤ ؛ عبد القادر أحمد اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر (بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٩) ، ص ٢٥١ ؛ عبدو محمد : هولاكو في بغداد (اللاذقية ، دار الحرية ، ١٩٨٤) ، ص ١٨ ؛ سلمان التكريتي : بغداد مدينة السلام وغزو المغول (بغداد ، مكتبة الشرق الجديد ، ١٩٨٨) ، ص ١٤١ .

(٣) الأربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٩١ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٢٠ / ١٣٢ ؛ الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٢٥٢ ؛ طقوش : تاريخ الأيوبيين ، ص ٤٠٦ .

والمعنوية في نفوس المسلمين ، لمواجهة الخطر المغولي الذي اشتد في عهده [١]، وعلى المستوى الداخلي افتقد القدرة في التوفيق بين سياسة مستشاريه وقادته ، المتعارضين في الأهواء والمصالح مما أدى إلى انقسام القيادة السياسية والعسكرية وبلغ الخلاف أوجه بين وزيره مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي ، وقائد جيشه أبو الميامن مجاهد الدين ايبك المستنصري الدويدار الصغير في الوقت الذي كان المغول على الأبواب [٢] ، ولم يعد له من طموح سوى الابقاء على وجوده في بغداد والتلويح بقدسية منصبه وأن العالم الاسلامي من الشرق إلى الغرب ، سيهب للدفاع عنه ، إذا ما تعرض له غازٍ أم مغتر [٣] .

وجابهت الخلافة خلال هذه المدة ظروفاُ اقتصادية بالغة السوء ، إذ تتابعت الكوارث المختلفة ممثلة بالفيضانات المدمرة وشحة الأمطار والأوبئة ، والآفات الزراعية،مما أدى إلى خراب الأراضي الزراعية،وحدوث أضرار بالمحاصيل وبالسدود والجسور والدور والمباني وهجرة الفلاحين وترك قراهم [٤] ، فكان ذلك من أسباب انخفاض واردات الخلافة وعجز ميزانيتها ، فضلاً عن انعدام الغلات وارتفاع الأسعار مما كان له انعكاساته السلبية على الوضع الداخلي ، الذي زاده اضطراباً توالي حدوث الفتن والاضطرابات التي أحدثت التناحر والاقتتال بين فئات الشعب وانتشار العابثين فعمّت الفوضى [٥] ، وافتقد المجتمع وحدته وتماسكه في الوقت الذي كان فيه المغول يستعدون للزحف على بغداد ، فتفاقم الضعف مع ضعف الدولة وعدم سيطرتها على الأحداث في

---

(١) ابن الكازروني : مختصر ، ص ٢٦٨ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٩٩ ، ٢٤١ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الدولة العباسية ، (بيروت ، دار النفائس ، ١٩٩٦) ، ص ٢٥٢ .

(٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦١٦ ـ ٦١٩ ؛ خصباك : العراق في عهد المغول ، ص ٢٤ ـ ٢٥؛ ادريس سليمان محمد : نفوذ الوزراء السياسي في الدولة العباسية، اطروحة دكتوراه ، (جامعة الموصل ـ كلية الآداب ، ١٩٩٦) ، ص ١٧٤ .

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١٢ /٤٤٧ ـ ٤٤٩ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ / ١٦١ ؛ باقر أمين الورد : حوادث بغداد في ١٢ قرن (بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٨٩) ص ١٢٦ ؛ محمد أحمد موسى هياجنة : محاضرات في تاريخ المغول والمماليك (اربد ، مطبعة الدستور ، ١٩٩٠) ، ص ٤٤ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ ، ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣١٤ ـ ٣١٥ ؛ الذهبي : دول الاسلام ٢ / ١٥٩ ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ص ٨٦ .

الداخل بعد أن شغلتها هذه الفتن وانهكت قواها ووجهت أنظارها إلى الداخل أكثر من توجيه عنايتها إلى الخارج ، حيث أصبح الخطر يشكل تهديداً حقيقياً لوجودها [١] .

لقد أثّرت هذه العوامل بلا شك في الموقف العسكري للخلافة واستعداداتها لمواجهة الزحف المغولي ، وبات واضحاً أن الخلافة لم يكن لها القدرة على المواجهة ، فلم يكن لها سياسة عسكرية واضحة أو قيادة موحدة ، فضلاً عن رضوخها لضغط الظروف الاقتصادية التي كان لها انعكاس كبير على استجابة الخلافة لمتطلبات الأخطار التي تفرض عليها تعزيز المؤسسة العسكرية عدداً وعدة .

ففضلاً عن محدودية اعدادها ، فقد عجزت الخلافة عن توفير رواتب هذه القلة التي لا تنسجم وحجم التحديات ، فمنذ عهد الخليفة المستنصر بالله عانى الجند من تأخر أرزاقهم ، مما جعل الخلافة تفرض على أهل الأسواق في بغداد توفير هذه الأرزاق بما يشبه الضريبة ، يقول ابن خلدون [٢] : " وضاقت الأحوال على المستعصم ، فأسقط أهل الجند وفرض أرزاق الباقين على البياعات والأسواق وفي المعايش فاضطرب الناس وضاقت الأحوال وعظم الهرج ببغداد " . ويقول عن الوزير ابن العلقمي " وتربص بالدولة وأسقط معظم الجند ، يموه بأنه يدافع التتر ، بما يتوفر من أرزاقهم في الدولة " ، فمثل الجيش عبئاً على الناس فأصاب الفقر والعوز فئات الجند ، فلجأوا إلى ممارسة مهن أخرى، بل لجأ البعض إلى الاستجداء في الأسواق والجوامع في حين فضّل آخرون مغادرة بغداد لعرض خدماتهم لجهة أخرى [٣] .

٤ . استعدادات الخلافة العباسية :

بدأت الخلافة العباسية تدرك جدية الخطر المغولي ، عند تقدم هولاكو على رأس جيوشه الضخمة نحو الغرب ،إذ أرسل بعد استقراره في كش جنوب غربي سمرقند في أواخر سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م إلى الخليفة العباسي يدعوه لتقديم العون

---

(١) عبد المنعم رشاد : " **احتلال المغول لبغداد** " ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الأول ، أب ١٩٧١ ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ص ٦ ؛ اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٩٩ ؛
R – Levy . A Baghdad Chronicle (Cambridge 1929) . P . 259 – 260 .

(٢) العبر ، مجلد ٣ / ١١٠٥ ؛ التكريتي : بغداد مدينة السلام ، ص ١٤٠ .

(٣) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٢٦١ ، ص ٣٢٠ . ٣٢١ ؛ اليونيني : ذيل مرآة ١ / ٨٧ ؛ ابن أبي عذيبة : انسان العيون في مشاهر سادس القرون ، ورقة ٣٢٤ ؛ بارتولد شبولر : العالم الاسلامي في العصر المغولي ، نقله إلى العربية : خالد أسعد عيسى ، راجعه : سهيل زكار (دمشق ، دار حسان ، ١٩٨٢) ، ص ٤٥ . ٤٦ .

للقضاء على قلاع الاسماعيلية بناءً على توصيات الخان الكبير [1] ، إلاّ أن مؤسسة الخلافة لم تستجب لهذه الدعوة ، وشككت بنوايا هولاكو الذي كان يهدف من جراء ذلك حسب رأيهم ، اخلاء بغداد من الرجال ليسهل عليه عملية السيطرة على بغداد [2] ، فأرسل الخليفة جواباً على دعوة هولاكو ،بما يؤيد خطوته مع الاعتذار عن المشاركة [3] ، وبعد استكمال هولاكو القضاء على الاسماعيلية وعودته إلى همدان ، أرسل إلى الخليفة في رجب سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م رسالة شديدة اللهجة ، ملؤها التهديد والوعيد [4] ، وذلك بهدم الأسوار والمثول أمامه أو ارسال ثلاثة من كبار رجال دولته نيابةً عنه ، وهم الوزير ابن العلقمي وسليمان شاه والدويدار الصغير ،وإلاّ أنه سيتوجه إليه كما قال : "مندفعاً بصورة الغضب إلى بغداد ، فإنك لو كنت مختفياً في السماء أو في الأرض فسوف أنزلك من الفلك الدوار ... ولن أدعك حياً في مملكتك ... وسأجعل مدينتك وأقليمك وأراضيك طعمةً للنار " [5]، ويبدو أن الخليفة لم يزل متيقناً من أن هولاكو لم يتجرأ على مداهمته في عقر داره لِما له من مكانة دينية ومعنوية ، على الرغم من كل ما أحدثه المغول من تدمير ومجازر ، وأنهم لا يردعهم رادع ، فأرسل إلى هولاكو محذراً وناصحاً له في اللجوء إلى طريقة الود وزرع المحبة ويعلمه " أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشحاذين ومن الشيوخ إلى الشباب ، ممن يؤمنون بالله ويعلمون بالدين ، كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي ... وإن كنت تريد الحرب والقتال ... فلا تتوانى لحظة ولا تعتذر ، وإذا استقر رأيك على الحرب ، أن لي ألوفاً مؤلفة من الفرسان والرجال ، وهم متأهبون للقتال " [6] .

وبذلك رفض الخليفة مطالب هولاكو واستعد للحرب [7] ، وهذا ما جعل هولاكو يرد عليه مهدداً اياه بقوله : "فعليك أن تكون مستعداً للحرب والقتال ، فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد " [8] .

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٢٩ . ٢٤٠ .
(٢) ابن العبري : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٩ .
(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٦٧ .
(٤) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٦٧ ؛ حسن : التاريخ الاسلامي العام ، ص ٤٩١ .
(٥) المصدر نفسه : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٦٧ . ٢٦٨ .
(٦) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٦٩ . ٢٧٠ .
(٧) ابن كثير : البداية ١٣ / ٢٠٠ .
(٨) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٧١ .

وهكذا انتهت جولة المراسلات المتبادلة بين الخليفة المستعصم بالله وبين هولاكو ، والتي لم يهدف هولاكو من ورائها سوى كسب الوقت لإعادة ترتيب قواته ، والاطلاع على ردود فعل الخلافة وإشغالها في الوقت نفسه ، إذ أن خطة احتلال بغداد مرسومة مسبقاً وأن رحلة هولاكو كان مقرراً لها أن تنتهي بمصر [(١)] .

إلاّ أن ما يلفت الانتباه ، هو اعلان الخليفة المستعصم بالله استعداده للقتال ، دون أن يكون مستعداً لذلك ، سوى استناده على قدسية مركزه الذي أفشل كل من حاول النيل منه ، ومدعياً بضخامة جيشه من الفرسان والرجال ، ويبدو أن ذلك كان له تأثير معنوي على هولاكو على خططه واندفاعه متحسباً لكثرة الجند في بغداد [(٢)] من جهة ، وهيبة الخلافة وتأثيرها الديني من جهة أخرى ، فلجأ إلى المنجمين لاستشارتهم بشأن احتلال بغداد فأشار عليه حسام الدين المنجم بخطورة الاقدام على ذلك ، لِما للخلفاء العباسيين من حرمة عند الله والمسلمين ، إلاّ أن نصير الدين الطوسي أكد لهولاكو عدم صحة كل ما قيل وشجعه على غزو بغداد [(٣)] .

ويبدو أن الخليفة المستعصم بالله ، لم يكن مقتنعاً أيضاً ، بما قاله لهولاكو ، لذلك جمع أرباب دولته ، وسألهم عن التدبير لدفع هذا الخطر ، وفي مناقشته ذلك ظهر اتجاهان متعارضان ، الأول : أشار باسترضاء هولاكو ببذل الأموال الطائلة والاعتذار والدخول في الطاعة ، وقد مثّل هذا الاتجاه الوزير ابن العلقمي . أما الثاني :ممثلاً بقادة الجند ، فقد قرروا التصدي للجيش المغولي ومقاومته بكل الوسائل [(٤)] . أما الخليفة فإنه التزم الجانب السلمي، وذلك بإرسال هدايا بسيطة إلى هولاكو مقرونة بتحذيره من مغبة ما هو مقدم عليه ، مطلعاً اياه على مصير الذين تعرضوا للخلافة بسوء من الجبابرة الذين سبقوه [(٥)] .

إلاّ أن هولاكو تحرك بجيشه من معسكره بهمدان صوب بغداد في الأول من محرم سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م وأجرى أثناء ذلك اتصالاً آخر مع الخليفة يدعوه للحضور أمامه أو ارسال الوزير والدويدار وسليمان شاه لينوبوا عنه ، لكن الخليفة اكتفى بإرسال شرف

---

(١) القزاز : الحياة السياسية ، ص ٣٣١ ؛ محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي (مصر ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٥) ، ص ١٩٩ . ٢٠٠.

(٢) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ج ١ / ٢٧٧ ؛ محمد عبد الله عودة ، وآخرون : مختصر التاريخ الاسلامي (عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩) ، ص ١١٤ .

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٤) ابن العبري : مختصر ، ص ٢٧١ . ٢٧٢ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٧٢ .

(٥) المصدر نفسه م ٢ ج ١ / ٢٧٥ . ٢٧٦ .

الدين بن الجوزي ، لتولي مهمة اقناع هولاكو بالرجوع عن بغداد [١] . فلم يلقَ ذلك أي قبول لدى هولاكو الذي واصل تقدمه ، فأيقن الخليفة بأن خطر المغول أصبح مؤكداً ، وأن سياسته هذه لم تجدِ نفعاً ، لذا سعى للاستنجاد بأمراء الأطراف ، فأرسل نجم الدين البادرائي ليصلح بين صاحب الشام وصاحب مصر المعز ايبك وجمع جيوشهم لقتال المغول [٢] . ويذكر اليونيني [٣] أن الخليفة عندما علم بتقدم التتر أرسل إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام بأن يمده بالرجال ويكون الملك الناصر داؤد على رأس النجدة [٤]، واضطربت الأوضاع في بغداد، واجتمع أمراؤها في دار الوزير، ودعا سليمان شاه إلى الاستعداد العسكري وتشكيل جيش لمواجهة المغول ، فوافق الخليفة وأمر بتعبئة الجند ليقوم بالصرف عليهم ، وبعد أن اصبح تعداد الجيش كبيراً اعتذر عن تقديم الأموال [٥] .

٥ . سير المعركة :

باشر هولاكو في تنفيذ خطته لمحاصرة بغداد من جميع جهاتها ، وجنّد لذلك مائتي ألف جندي [٦] ، وفق خطة تفصيلية محكمة تتضمن حركة عدة جيوش من مناطق مختلفة تكتسح الطريق أمامها ، لكي تطبق على بغداد من جانبيها [٧] . وبالشكل الآتي :

يتحرك القائد (بايجو نويان) بقواته من آسيا الصغرى ويعبر نهر دجلة قرب الموصل ، ويتقدم القائد (سوغو نجاق) بجيشه نحو اربل ويعبر دجلة ويجتمع بقوات (بايجو) عند تكريت ، ويتقدمون نحو الجانب الغربي من بغداد ليمثلوا الجناح الأيمن للجيش المغولي[٨] ، ويتوجه الجناح الأيسر بقيادة (اقتبوقا نويان) إلى بغداد عن طريق

---

(١) المصدر نفسه م ٢ ج ١ / ٢٨١ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٠ .
(٢) أبو الفداء : المختصر ٣ / ١٩٣ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٢٠ / ٨٧ .
(٣) ذيل مرآة الزمان ١ / ١٧٣ .
(٤) ذيل مرآة الزمان ١ / ١٧٣ .
(٥) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٧٣ . ٢٧٥ .
(٦) السيوطي : تاريخ ، ص ٤٧١ ؛ أمين القضاة ومحمد عوض الهزايمة : محاضرات في التاريخ الاسلامي (عمان ، دار عمار ، ١٩٩٢) ، ص ١٦٨ .
(٧) القزاز : الحياة السياسية ، هامش (٢) ، ص ٣٣٤ .
(٨) ابن الطقطقا : الفخري ، ص ٣٣٥ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨١ ؛ الفيل : الحالة الاقتصادية ، ص ٢٩٤ .

لورستان ـ بيان ـ تكريت [1] ، أما هولاكو فإنه تولى قيادة القوات الرئيسة (القلب) ، وتوجه من ضواحي همدان لمحاصرة الجانب الشرقي [2] .

أما في بغداد ، فقد استعد الخليفة المستعصم بالله للمواجهة ، فأمر بإصلاح الأسوار ونصب المنجنيقات [3] ، ثم أوعز إلى قائد الجيش (الدويدار الصغير) بالخروج بجيشه على طريق حلوان ، فتحرك وعسكر قرب بعقوبا [4] ، وفي داخل بغداد استعدت العامة للمقاومة [5] .

تحرك الجناح الأيمن للجيش المغولي بقيادة بايجو وشوغونجاق ، بعد عبور نهر دجلة من الموصل، فساروا بمحاذاة ضفته الغربية ، واتجه هذا الجيش نحو نهر دجيل ، فاخترق المنطقة الواقعة غربيه حتى وصل إلى نهر عيسى ، فعسكر هناك ، ومن ثم وصل إلى محلة الحربية [6] ، على بعد فرسخ واحد من قنطرة البصرة [7]، وبعد ورد الأخبار إلى جيش الخلافة المعسكر في بعقوبا ، عبر دجلة إلى الضفة الغربية لمواجهة المغول ، ظنّ أن الهجوم الرئيس للمغول سيكون من هذه الجهة ، فترك الجبهة الشرقية خالية ، فأمر الخليفة أمراء الجند بالخروج تحت قيادة مرشد الهندي لتغطية الجبهة الشرقية ، إلاّ أن قادة الجند تمردوا على قيادة مرشد أنفاً منه وعصو أمر الخليفة [8] ، فأعطى الفرصة لهولاكو للتقدم نحو أسوار بغداد الشرقية بدون مقاومة .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن العبري :تاريخ ، ص ٤٧٠ ؛ عجمي محمود حطاب : المقاومة العربية للغزو المغولي حتى عين جالوت ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة بغداد ـ كلية الآداب ، ١٩٩٠) ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٥ .

(٤) المقريزي : السلوك ١ / ٤٠٧ .

(٥) الديار بكري : تاريخ ٢ / ٣٧٧ .

(٦) **محلة الحربية** : تقع شمال غرب الكاظمية الحالية . عبد الجبار محمود السامرائي : " **حصار المغول للعاصمة بغداد** " ، مجلة المورد ، المجلد السادس والعشرون ، العدد الثالث ، (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٩٨) ، ص ٢٤ .

(٧) **قنطرة باب البصرة** : القنطرة الواقعة في جوار موضع الجعيفر الحالية .
سوسة : ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ٢ / ٤٩٩.

(٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٠

التقى جيش الخلافة بالمغول في منطقة باب البصرة على بعد فرسخ منها وفي يوم الأربعاء التاسع من محرم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م [١] تمكن من الحاق الهزيمة بالجيش المغولي الذي هرب أمامه إلى الشمال في الأراضي السهلة الواقعة غربي نهر دجيل [٢] ، ولم يتريث الدويدار ويستمع لنصيحة الأمير فتح الدين بن كر الكردي الذي أشار عليه بأن يثبت في مكانه ويعبيء قواته لمواجهتهم مرة ثانية، إذ لم يكن هؤلاء غير مقدمة الجيش الزاحف [٣] ، ولا ينساق وراء خطتهم في سحبه وراءهم دون أن يلتفت إلى جناحه الأيمن الممتدعلى طول نهر دجيل شرقاً ، متجاهلاً ضرورة تأمين الخطوط الخلفية ليضمن سلامة جيشه في حالة الدفاع والهجوم [٤] ، وباندفاع الدويدار ابتعد عن مواقعه في بغداد ، وأصبح في منطقة مكشوفة ليس بها ما يحتمي به إذا ما تعرض لهجوم مضاد ، وعندما أدركه الليل ، عسكر في موضع شمال نهر بشير على بعد تسعة فراسخ من بغداد شمالاً ، ولم يتوقع أن الجيش المغولي قد أوقعه في كمين ، وسحبه إلى منطقة القتل ، إذ قام المغول مستغلين عتمة الليل بفتح السد المقام على نهر بشير ، فغمرت المياه الأراضي الواقعة خلف جيش الخلافة فحصروه فيها وقطعوا عليه خط الرجعة ، وفي صباح العاشر من محرم ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م شنَّ المغول هجوماً مقابلاً ، ولم تستطع قوات الخلافة من الصمود أمامه فتراجعوا ، إلاّ أن خيولهم عجزت عن سلوك الصحراء المغمورة بالمياه ووحلت فيه ، مما أدى إلى محاصرتهم وقتل منهم اعداداً كبيرة من بينهم الأمير فتح الدين بن كر والأمير قراسنقر ، أما الدويدار فقد فرّ هرباً مع نفر ضئيل من جنده ودخل بغداد [٥] .

---

(١) للمزيد عن هذه المعركة . ينظر : أحمد سوسة " **وقعة نهر دجيل واحتلال المغول لمدينة بغداد** " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٥ (بغداد ، ١٩٥٨) ، ص ١٠٧ . ١١٢ .

(٢) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٤ .

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٥ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٤ .

(٤) عبد الرؤوف عوف : الفن الحربي في صدر الاسلام (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦١) ، ص ٢١٩ ؛ عباس : جيش العراق ، ص ١٤٤ .

(٥) ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن الكازروني : مختصر ، ص ٢٧٠ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٥ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ٣٢٤ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٢٠ / ١٣٣ ، أحمد بن السيد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية (مكة ، المطبعة الميرية ، ١٣١١ هـ) ٢ / ٢٥ . ٢٦ ؛ اقبال : المغول ، ص ٢١٠ ؛ حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ص ١٥٨ .

أدت خسارة جيش الخلافة لمعركة الدجيل في يومها الثاني ، إلى اندفاع المغول بقيادة بايجو وسونجاق نحو الجانب الغربي لمدينة بغداد ، فاستولوا عليه في الحادي عشر من محرم وكان أهله قد أجلوا إلى الجانب الشرقي (١) ، وعسكر بايجو في محلة القرية مقابل دار الخلافة (٢) ، وفي الوقت نفسه وصلت قوات هولاكو وفرض الحصار على بغداد الشرقية (٣) ، وأقام استحضاراته الدفاعية فأمر ببناء سور وحفر خندقاً لكي يقي جيشه هجمات جيش الخلافة (٤) ، وأقام جسراً تحت بغداد ليمنع التسلسل إلى واسط والبطائح عبر دجلة (٥) ، واستعاض بأشجار النخيل للرمي بالمناجيق بدلاً من الحجارة التي كانت قليلة حول بغداد فكانوا يأتون بها من جبل حمرين وجلولاء (٦) .

في الثاني عشر من محرم ، استكمل المغول تطويق بغداد من جانبيها (٧) ، وبدأ المغول بتوجيه قصف عنيف بالحجارة وأشجار النخيل بهدف زعزعة أسوار المدينة وإشاعة الفزع والاحباط في نفوس المدافعين ، وركز المغول قصفهم تجاه برج العجمي لضعفه وقصره (٨) ، وبدأ القتال في الثاني والعشرين من محرم (٩) ، وقد حاول هولاكو إضعاف حركة المقاومة من خلال المنشورات التي كان يرميها على المدينة ، منح فيها الأمان لكل فرد لا يحارب (١٠)، فضلاً عن أن الوزير ابن العلقمي كان ينهي الناس عن القتال أملاً الصلح (١١) ، وكان القتال يشتد في كل يوم على الأسوار ، وحاول قائد الجيش (الدويدار

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٥ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ٨ / ٢٧٠ ؛ بابو اسحق : تاريخ نصارى العراق ، ص ١٠٧ .

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٦ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٥ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ٨ / ٢٧٠ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٦ .

(٦) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٦ . ٢٨٨ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٥ . ٣٢٦ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ٢٣٥ ؛ الجميلي : " **حملة هولاكو على بغداد** " ، ص ٦٣ .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٥ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٢٠٠ .

(٨) ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٧١ ؛ ابن الكازروني : مختصر ، ص ٢٧٢ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٦ ؛ كوك : بغداد مدينة السلام ، ص ٢١٧ .

(٩) ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٧١ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٧ .

(١٠) ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٧١ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٧ .

(١١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٦ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٢٠ / ١٣٣ ؛ حسن فاضل زعين:العلاقات السياسية الخارجية ، نشر ضمن كتاب حضارة العراق (بغداد، دار الحرية، ١٩٨٤) ٦ / ٣٧٧ .

الصغير) الهرب من بغداد بالسفن ،ولكنه اصطدم بالقوات المغولية المرابطة على الجسر الذي أقاموه جنوب بغداد فاضطر إلى العودة [(١)] .

وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من محرم هدم المغول برج العجمي ، وبعد قتال ثلاثة أيام استولوا في الثامن والعشرين من محرم على جميع الأسوار الشرقية للمدينة ، إزاء ذلك لجأ الخليفة إلى إثارة موضوع الصلح والسلام، وبادر بإرسال الوفود والهدايا إلى هولاكو الذي لم يستجب لمطالبه ومساعيه ، وأصر على خروج قادة الجيش (الدويدار الصغير وسليمان شاه) [(٢)] قادة المقاومة ، وفي الأول من صفر خرجا لمقابلة هولاكو فطلب منهما العودة إلى بغداد لاقناع اتباعهما بكف القتال والانضمام إلى الجيش المغولي الذي سيتوجه إلى الشام ومصر ، وكما هو واضح كان هولاكو يهدف إلى إيقاف المقاومة فخرجت اعداد من الجند ، وتبعهم الدويدار وسليمان شاه ، وكان مصيرهم القتل بدون رحمة [(٣)] .

أما الخليفة المستعصم بالله فقد أصبح وضعه في غاية الصعوبة ، بعد أن فقد قادة جنده وأمراء هـ ومعظم عسكره ، وقد حَسّنَ له وزيره الخروج للاتفاق مع هولاكو على صيغة لوقف القتال ، كأن يبذل له نصف خراج العراق ، وأن يقيم معه علاقة مصاهرة مقابل انسحابه وابقاء الخليفة في منصبه [(٤)] ، وفي يوم الأحد الرابع من صفر ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م خرج الخليفة وأولاده ومعه ثلاثة آلاف من السادات والأئمة والأعيان وطلب منه هولاكو أن يأمر أهل بغداد بوضع أسلحتهم وليخرجوا فألقى الناس السلاح من أيديهم وخرجوا فقتلوا عن آخرهم [(٥)] .

وفي يوم الأربعاء السابع من صفر ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، اندفع المغول إلى داخل بغداد وجردوا أهلها للقتل والنهب والحرق الذي استمر لمدة سبعة أيام [(٦)] ، وفي الرابع عشر

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٧ . ٢٨٨ .

(٢) ينظر ذلك : ابن العبري : تاريخ ، ص ٢٧١ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ٢٨٨/١ . ٢٨٩ ؛ خصباك : العراق ، ص ٥٣ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ٣٣٧ .

(٣) ابن العبري : مختصر ، ص ٢٧١ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٨ . ٢٩٠ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٧ .

(٤) الذهبي : دول ٢ / ١٢١ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٢٠١ ؛ سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٤٦ .

(٥) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١/ ٢٨٨ . ٢٩١ ؛ ابن كثير : البداية ١٣ / ٢٠٢ ؛ نظمي زاده : كلشن خلفا ، ص ١٤٧ ؛ اقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٠١ .

(٦) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ٢٩١/١ ؛ يذكر ابن الفوطي أن استباحة بغداد استمر أربعين يوماً ، الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٩ ؛ ابراهيم أيوب : التاريخ العباسي السياسي والحضاري (بيروت ، دار الكتاب العالمي ، ١٩٨٩) ، ص ٢٠١ .

من صفر قرر هولاكو مصير الخليفة وعائلته ، إذ أمر بقتله وأفراد عائلته وجميع أفراد الأسرة كي لا يبقى أحد من بني العباس حياً فيسعى إلى الخلافة [1] .

أظهرت موقعة الدجيل ووقائع حصار المغول لبغداد أن الجيش العباسي كان يفتقد إلى كل العوامل التي تمكنه من خوض معركة ناجحة ، أو المطاولة في المقاومة والصمود ، وقد أشرنا سابقاً إلى أن مقومات أية معركة لا تتحدد في ساحات القتال وحسب ، بل لابد من تهيئة وتوفير عوامل تعزيزها وديمومتها في الجوانب السياسية والاقتصادية والداخلية .

فعلى المستوى السياسي كانت القيادة السياسية من الضعف ، بحيث لم تكن قادرة على اتخاذ اجراءات كفيلة لتحقيق مواجهة جدية على الصعيدين الداخلي والخارجي . وعلى المستوى العسكري كانت المؤسسة العسكرية غير مهيأة لمواجهة التهديد المغولي فأعدادها قليلة لم تتجاوز في أحسن تقدير اثني عشر ألف مقاتل [2] ، في حين قدّرت المغول بأكثر من مئتي ألف مقاتل [3]، واستعداداتها ناقصة ، فضلاً عن افتقارها إلى الخبرة والسلاح [4] ، وانقسام قياداتها فكان كل واحد أمير نفسه وآراؤهم مختلفة لايجمعهم رأي واحد [5] . إذ أن قادة الجند لم ينصاعوا لأمر الخليفة بالخروج تحت قيادة مرشد الهندي المستعصمي لسد الجبهة الشرقية من بغداد ، فتركت سالكة لجيوش هولاكو لتطويقها دون عائق [6] ، أما الجند فلم يكن هناك ما يدفعهم للاستماتة في القتال للدفاع عن شرف الجندية وكرامة الوطن ، فهم أولاً مماليك لاتربطهم بالبلاد رابطة فضلاً عن اهمال الخلافة لأحوالهم ومعاناتهم في تدني مستواهم الاقتصادي ، يذكر ابن الكازروني [7]

---

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٢٧ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ٢٠ / ١٣٤ ؛ السبكي : طبقات ٨/٢٧١ ؛ عبد الله بن فتح الله الكاتب الغياث : التاريخ الغياثي ، تحقيق : طارق نافع الحمداني (بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٧٥) ، ص ٤٢ . ٤٣ ؛ خصباك : العراق ، ص ٥٤ . ٥٥ ؛ القزاز : الحياة السياسية ، ص ٣٢٩ ؛ حطاب : المقاومة العربية ، ص ١٣٠ . ١٣١ ؛ سهيل زكار : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٩٥) ٢٢ / ١٩٣ ؛ رشاد : احتلال المغول ، ص ٢٧ . ٣٠ .

(٢) ابن كثير : البداية ١٣ / ٢٠١ .

(٣) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٨٥ .

(٤) ابن الكازروني : مختصر ، ص ٢٧٢ ؛ ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٣٢٥ .

(٥) ابن أبي الحديد : عز الدين أبو حامد عبد الحميد : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل (بيروت ، دار الكتب ، ١٩٥٩) ٢ / ٣٧٠ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٣٢٠ ؛ محمد سعيد عمران : المغول وأوربا (مصر ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧) ، ص ٥٩ .

(٧) مختصر التاريخ ، ص ٢٧٢ .

أن الخليفة المستعصم بالله : " تقدم بأقامة جماعة من الرماة على السور واطلاق مال كثير اليهم فخرج جماعة من الأعيان وأعوان الديوان والمال معهم وشرعوا في الاثبات واطلاق اليسير وسرقة الباقي شرهاً إلى المال " .لذا لا نجد غرابةً في التحاق عدد من الأمراء والجند بصفوف الجيش المغولي ، ويتحولون من مدافعين إلى أدلاء ومهاجمين .. فضلاً عن تخبط قائد الجيش (الدويدار الصغير) الذي لم يكن له خطة واضحة في المواجهة والقتال [١] . وانساق وراء الكمين الذي أعده له المغول ، فكان سبباً في تحطيم قواته ، ولم يحاول بعد هذه المعركة من إعادة تنظيمها وتعبئة صفوفها، والتجأ إلى بغداد محتمياً بأسوارها ، بل آثر النجاة بنفسه محاولاً الهرب تاركاً المدينة تواجه مصيرها المحتوم [٢] .

وعلى المستوى الداخلي كانت الجبهة الداخلية ضعيفة وغير معبأة ومنقسمة على نفسها ، ولم تكن هناك أية خطة للمقاومة ، إذ افتقد أهل بغداد ومن دخلها من سكان الضواحي ، القيادة التي تتولى تعبئتهم وتكوين جبهة شعبية للدفاع وكانوا سبباً في إحداث الفوضى وإشاعة الرعب [٣] .

---

(١) محمد : هولاكو في بغداد ، ص ٣٨ .

(٢) رشيد الدين : جامع التواريخ ، م ٢ ج ١ / ٢٨٨ .

(٣) الغساني : العسجد المسبوك ، ص ٦٢٥ .

خارطة مواقع المعركة ٩ . ١٠ محرم من سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٦ م)
بين جيوش هولاكو وعساكر المستعصم في الجانبي الغربي من بغداد

خارطة توضح عمليات سقوط بغداد في
٥ شباط سنة ١٢٥٨ م

الخاتمة

١ . بدأت الخلافة ومنذ منتصف القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد بالتخلي عن مركزيتها الادارية خاصةً بالنسبة للأقاليم والمدن البعيدة عن العاصمة (بغداد ، سامراء) نتيجة لقيام حركات انفصال لم تكن الخلافة قادرة على فرض السيطرة عليها ، لأنكفاء الجيش في العاصمة وانشغاله بأمور السياسة فأنسلخت عنها معظم أقاليمها ، ولم يأت القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد إلاّ وليس للخليفة من نفوذ سوى على بغداد وضواحيها ، وإن كانت لهذا نتائج سلبية على سيادة الخلافة وانحسار نفوذها فإن انعكاساته على الوضع الاقتصادي كان كبيراً ، إذ انقطعت موارد مهمة عن خزينة الخلافة ، كانت تبعث بها هذه الأقاليم إلى العاصمة ، فكان ذلك أحد أسباب اخفاق الخلافة في سياستها الداخلية وحالة الفوضى التي انتابت مؤسساتها طيلة النصف الثاني من القرن الثالث ، دفع ثمنها الخلفاء ووزراؤهم لإخفاقهم في معالجة الأزمة الاقتصادية .

٢ . ونتيجةِ لِما آلت إليه أحوال الخلافة من ضعف انتهكت خلالها هيبتها ومكانتها ، وما أحدثه العجز الاقتصادي من فوضى على مختلف الصعد لم يكن أمام الخليفة الراضي بالله للنفاذ من هذه الضائقة ، سوى القبول بالعرض الذي قدّمه أمير واسط (ابن رائق) والمتضمن تكفله بنفقات الخلافة مقابل أن يتنازل له عن صلاحياته ، سوى الدينية ، فكان ذلك بداية لما اصطلح عليه بـ " عصر إمرة الأمراء " . عانت البلاد خلاله أقسى ظروفها نتيجة لصراع الأمراء والقادة العسكريين للإستئثار بالمنصب والامتيازات أوصلت البلاد إلى حافة الهاوية .

٣ . لكل ذلك أصبح العراق عامةً وبغداد خاصةً ، مطمعاً لكل من توافرت له القوة والامكانية إذ لم تعد سوى لقمة سائغة تنتظر من يستحوذ عليها ، لهذا لم تجد هذه القوى صعوبة ولم يقف أمامها عائق في دخول العراق والسيطرة على بغداد ، وبذلك أصبحت بغداد تحت السيطرة الفعلية لقوى الأطراف (البويهية والسلجوقية) لمدة امتدت لأكثر من قرنين جردت خلالها من كل شيء ، ولم يعد الخليفة سوى رمز لنيل تفويضه ، وعدّ موظفاً يتسلم راتبه من الأمراء والسلاطين .

٤ . لا شكَّ أن ثلاثة قرون من الفوضى السياسية والسيطرة الفعلية على الخلافة ومقدراتها كان لها انعكاس على مجمل نشاطات الحياة منها الاقتصادية ، إذ لم

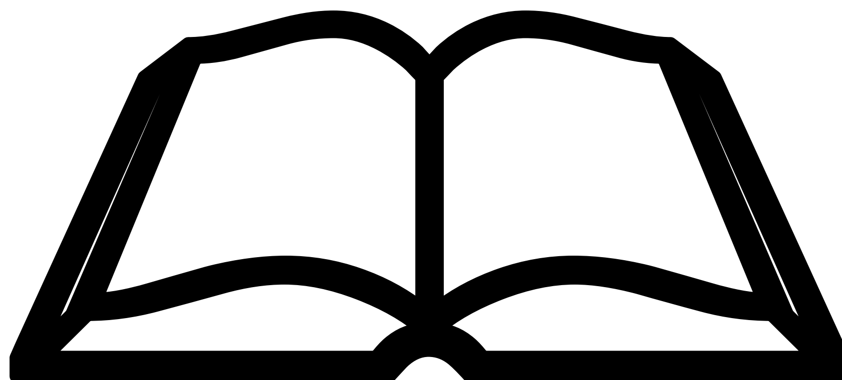
يكن بالإمكان في ظل هذه الظروف أن تتفرغ الخلافة أو من أنيب عنها ، للعناية بالجوانب الاقتصادية ، بمختلف أنشطتها ، بل أن حرص هؤلاء للحصول على الأموال لسد حاجتهم وتوفير مستلزمات قوتهم العسكرية ، أدى إلى تدهور النشاط الزراعي ، لما أحدثه المسيطرون من نظام استند إلى توزيع الأراضي بين القادة والجند إقطاعاً وضماناً يستلمون خراجها عوضاً عن الرواتب. مما أدى إلى استنزاف الأرض وخرابها ومن ثم الجائها للمتنفذين ، ومن ثَمَّ مغادرتها ، إذ لم يعد للفلاح ما يربطه بأرضه التي تحول فيها إلى أجير ، فضلاً عن السياسة الجائرة التي اعتمدها المقطعون مع الفلاحين فكان لتدهور الزراعة وأنظمتها تأثير في مجمل النشاطات الأخرى ، كالصناعة والتجارة، بما انعكس سلباً على الأوضاع المعاشية لعامة الناس مما أدى إلى افراز حركات ومظاهر اجتماعية أدى العامل الاقتصادي دوراً في تشكيلها .

٥ . حاولت الخلافة منذ عهد الخليفة المسترشد بالله النفاذ من هذه الأوضاع وفي مقدمة ذلك السيطرة السلجوقية التي حملتها مسؤولية ما آلت إليه البلاد من خراب إلاّ أن الخلافة لم يكن لديها من الإمكانيات الاقتصادية ما يمكنها من تحقيق ذلك، بدليل أن الخليفة المسترشد بالله لم يكن لديه ما يدفعه لحرسه الخاص ، ألاّ أن مساعدة بعض قوى الأطراف وبما توافر من امكانات ذاتية محدودة ساعدت الخلافة على اعادة تشكيل مؤسستها العسكرية ، وبالاستغلال الأمثل لظروف السلاجقة تمكنت خلال عهود ثلاثة من الخلفاء فاستعادت سيطرتها على مدن العراق وفرض هيبتها على عدد من أمراء القوى ، فضلاً عن نجاحها في تحقيق هدف التحرر من السيطرة السلجوقية .

٦ . لاشكَّ أن هذا أتاح للخلافة في عصرها الأخير عدداً من الامكانيات الاقتصادية والبشرية التي من خلالها تستطيع الارتقاء بمؤسستها العسكرية ، ومن ثَمَّ إداء دورها بوصفها ممثلة للعالم الاسلامي ، إلاّ أن واقع الحال كشف عن عدم قدرة هذه الامكانيات على تحقيق ما كانت تسعى إليه الخلافة ، إذ بقيت رقعة نفوذها الجغرافية محدودة ، فضلاً عن مواردها التي اعتمدت على مصادر استنزفت في المدة السابقة ، ولم تستطع الخلافة لأسباب كثيرة النهوض بها ، بل أبقت الحال على ما هو عليه إدارياً واقتصادياً ، لهذا بقيت على الرغم من محاولات

الاصلاح واللجوء إلى فرض ضرائب متنوعة على السكان ، تعاني من الضائقة الاقتصادية والأزمات المالية ، التي بلا شك ألقت بضلالها على توجهات الخلافة السياسية والادارية والعسكرية . إذ أرغمت تحت وطأة الحاجة الاقتصادية إلى التخلي عن مركزيتها الادارية ووزعت البلاد بين اقطاع وضمان ، مما أحدث قصوراً في جهازها الاداري الذي تخلله الفساد ، فأصبحت البلاد ، عرضةً للكوارث والأزمات أسهمت في تفاقم الأزمة .

٧ . ولعل أبرز ما أظهرته الدراسة من تأثير للأوضاع الاقتصادية،هو وضع المؤسسة العسكرية للخلافة ، إذ أن الخلافة بقيت منذ اعادة تشكيل جيشها غير قادرة على النهوض به بما يتناسب ومكانتها وما تفرضه عليها من مهام على صعيد العالم الاسلامي ، إذ بقيت هذه القوة قليلة العدد ، ضعيفة التسليح ، فاقدة للمهارات والخبرات القتالية ، توضح ذلك من خلالها مواجهتها للقوى الكبرى وبدلاً من أن تسعى للارتقاء بهذه القوة بدأت تدريجياً بالتخلي عنها فجعلها عاجزة عن أن تؤدي واجباتها تجاه العالم الاسلامي ، كموقفها من الحروب الصليبية والاستيطان الصليبي ، فضلاً عن عجزها في الدفاع عن البلاد والعباد أما الغزو المغولي ، فكانت نهاية كارثية .



ثبت

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً . المخطوطات :

. البصري : علي بن أبي الفتح (د . ت) .

١ . **المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية**

مخطوطة ميكروفيلم مصورة من مخطوطة باريس برقم (٦١٤٤) ، محفوظ لدى المكتبة المركزية ، جامعة بغداد ، تحت رقم (٢٢٥) .

. ابن حمدون : محمد بن الحسن (ت ٥٦٢ هـ / ١١١٦ م)

٢ . **التذكرة الحمدونية ، الجزء الثاني**

نسخة مصورة ، مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، تحت رقم (١٢٨٢) .

. ابن أبي عذيبة (عاش في القرن التاسع الهجري)

٣ . **أنسان العيون في مشاهير سادس القرون**

مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، تحت رقم (١٢٤٨) .

ثانياً . المصادر :

. ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

٤ . **الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية**

تحقيق : عبد القادر طليمات ، (القاهرة ١٩٦٣) .

٥ . **الكامل في التاريخ**

(بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥) .

. ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م)

٦ . **معالم القربة في أحكام الحسبة**

عني بنقله وتصحيحه:روبن ليوي، (كمبرج ، مطبعة دار الفنون ،١٩٣٧) .

. الأربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م)

٧ . **خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر سير الملوك**

تصحيح : مكي السيد جاسم ، (بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٤) .

. ابن الأزرق : أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم (ت ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م)

٨ . **بدائع السلك في طبائع الملك**

تحقيق وتعليق : علي سامي النشار (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٧) .

. الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م)

٩ . **تهذيب اللغة**

تحقيق : محمد علي النجار (القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د . ت) .

. الأصطخري : أبو اسحق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

١٠ . **المسالك والممالك**

تحقيق : محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة ، دار القلم ،١٩٦١)

. الأصفهاني : حمزة بن حسن (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م)

١١ . **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**

(بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٦١) .

. الأيوبي : محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت ٦١٧ هـ . ١٢٢٠ م)
١٢ . **مضمار الحقائق وسر الخلائق**
تحقيق : حسن حبشي (القاهرة ، دار الهنا للطباعة ، ١٩٦٨) .
. أخوان الصفا وخلان الوفا :
١٣ . **رسائل أخوان الصفا**
(بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٥٧) .
. ابن آدم : يحيى بن سليمان القرشي (ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م)
١٤ . **الخراج**
صححه وشرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٦٤) .
. ابن بسام : محمد بن أحمد (ت حوالي ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) .
١٥ . **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**
تحقيق : حسام الدين مصطفى السامرائي (بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨) .
. ابن بطوطة :أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد اللواتي (ت ٧٧٩ هـ /١٣٧٧م)
١٦ . **رحلة ابن بطوطة ، المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)**
(بيروت ، دار التراث ، ١٩٦٨) .
. البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)
١٧ . **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**
(بيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت) .
. البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)
١٨ . **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**
تحقيق : مصطفى السقا (مصر ، ١٩٥٤) .
. البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)
١٩ . **فتوح البلدان**
تحقيق :صلاح الدين المنجد (القاهرة ،مكتبة النهضة المصرية،١٩٥٦) .

. البنداري : الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م)

٢٠ . **تاريخ دولة آل سلجوق**

(بيروت ، دار الآفاق ، ١٩٧٨)

. ابن البيطار : ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)

٢١ . **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**

(القاهرة ، مطبعة محمد باشا توفيق ، ١٨٧٤ م) .

. التطيلي : بنيامين بن يونا البناري الأندلسي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)

٢٢ . **رحلة بنيامين**

ترجمة وتعليق : عزرا حداد ، الطبعة الأولى (بغداد ، المطبعة الشرقية ، ١٩٤٥) .

ـ ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)

٢٣ . **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**

(القاهرة ، دار الكتب المصرية ، د . ت) .

. الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧ م)

٢٤ . **لطائف المعارف**

تحقيق : ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي (القاهرة ، دار احياء الكتب ،١٩٦٠)

. الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)

٢٥ . **الدلائل والاعتبار في الخلق والتدبير**

نشره : الطباخ (حلب ، ١٩٢٨) .

٢٦ . **رسائل الجاحظ**

تحقيق : عبد السلام محمد هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤) .

. ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

٢٧ . **رحلة ابن جبير**

(بيروت ، دار التراث ، ١٩٦٨) .

ـ ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن (ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م)

٢٨ . **مناقب بغداد ، المنسوب خطأ**

تعليق على هوامشه ونشره : محمد بهجة الأثري (بغداد ، مطبعة السلام ، ١٩٢٣) .

٢٩ . **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**
(الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥٩) .
. ابن أبي الحديد : عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)
٣٠ . **شرح نهج البلاغة**
تحقيق : محمد أبو الفضل (بيروت ، دار الكتب ، ١٩٥٩) .
. الحسن بن عبد الله (عاش في القرن الثامن الهجري)
٣١ . **آثار الأول في ترتيب الدول**
(مصر ، بولاق ، ١٣٩٥ هـ) .
. ابن حسول :أبو العلاء محمد بن علي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)
٣٢ . **تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة العلية السلطانية**
(انقرة ، ١٩٤٠).
. الحسيني : صدر الدين علي بن ناصر (ت بعد ٦٢٢ هـ)
٣٣ . **زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)**
تحقيق : محمد نور الدين (بيروت ، دار اقرأ ، ١٩٨٦)
. الحسيني : علي بن السيد أحمد (عاش في القرن السابع الهجري)
٣٤ . **أخبار الدولة السلجوقية**
اعتناء : محمد اقبال (لاهور ، ١٩٣٣) .
. الحسيني : محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني (ت ٧٤٣ هـ / ١٣٤٣ م)
٣٥ . **العراضة في الحكاية السلجوقية**
ترجمة وتحقيق : عبد النعيم محمد حسنين وحسين أمين (بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٩)
. الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م)
٣٦ . **الروض المعطار في خبر الأقطار**
تحقيق : احسان عباس (بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥)
. ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)
٣٧ . **صورة الأرض**
تحقيق : كريمرز ، طبع دي غويه (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٩) .
. ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)
٣٨ . **مسالك الممالك**
(ليدن ، بريل ، ١٩٨٩) .

. ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
٣٩ . **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**
(بيروت ، مؤسسة جمال ، ١٩٧٩) .
٤٠ . **المقدمـة**
(بيروت ، دار البيان ، د . ت) .
. ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٧١ م)
٤١ . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**
تحقيق : احسان عباس (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٠) .
. الخوارزمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م)
٤٢ . **مفاتيح العلوم**
(القاهرة ، ادارة الطباعة المنيرية ، ١٣٤٢ هـ) .
. ابن الدبيثي : أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)
٤٣ . **ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد**
تحقيق : بشار عواد معروف (بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٧٩) .
. ابن دحية : عمر بن أبي علي حسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)
٤٤ . **النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**
(بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٦)
. الدمشقي : أبو الفضل جعفر بن علي (ت القرن السادس الهجري)
٤٥ . **الاشارة إلى محاسن التجارة**
تحقيق : البشرى الشوربجي ، الطبعة الأولى (الأسكندرية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٧) .
. الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ / ١٥٥٨ م)
٤٦ . **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**
(بيروت ، مؤسسة شعبان ، د . ت) .
. الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
٤٧ . **العبر في خبر من غبر**
تحقيق : صلاح الدين المنجد (الكويت، مطبعة حكومة الكويت ،١٩٦٣) .
٤٨ . **دول الاسلام**
تحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم (مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤) .

. الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م)

٤٩ . **راحة الصدور وآية السرور**

ترجمة : ابراهيم أمين الشواربي وآخرون ، (القاهرة ، دار الصياد ، ١٩٦٠) .

. ابن رستة : أبو علي أحمد بن عمر (ت ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م)

٥٠ . **الأعلاق النفيسة**

(ليدن ، ١٨٩١ م) .

. رشيد الدين : فضل الله الهمذاني (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

٥١ . **جامع التواريخ**

ترجمة : محمد صادق نشأت وآخرون

(القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٠ .

. الرماح : نجم الدين جسن (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م)

٥٢ . **الفروسية والمناصب الحربية**

تحقيق : عبد ضيف العبادي

(بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٤) .

. الروحي : أبو الحسن علي بن أبي عبد الله (ت القرن السابع الهجري)

٥٣ . **بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء**

(مصر ، ١٩٠٩) .

. الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ / ١٦١٦ م)

٥٤ . **تاج العروس في شرح القاموس**

الطبعة الأولى (القاهرة ، ١٣٠٦ هـ) .

. الزمخشري : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م)

٥٥ . **الأمكنة والمياه والجبال**

تحقيق : ابراهيم السامرائي (بغداد ، د . ت) .

. ابن الساعي : علي بن أنجب البغدادي (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م)

٥٦ . **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**

تحقيق : مصطفى جواد (بغداد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ،١٩٣٤) .

٥٧ . **نساء الخلفاء**

تحقيق : مصطفى جواد (القاهرة ، د . ت) .

. سبط ابن الجوزي : أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلو (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)

٥٨ . **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**

(الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥١ . ١٩٥٣) .

. السبكي : تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م)

٥٩ . **طبقات الشافعية الكبرى**

تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو (دمشق ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٠) .

. السرخسي : شمس الدين محمد بن أحمد بن سهل (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م)

٦٠ . **المبسوط**

(مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٤ هـ) .

. ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)

٦١ . **بسط الأرض في الطول والعرض**

تحقيق : خوان قرنيط فينبيس (المغرب ، تطوان ، ١٩٥٨) .

٦٢ . **كتاب الجغرافيا**

تحقيق : اسماعيل العربي ، الطبعة الأولى (بيروت ، ١٩٧٠) .

. السمرقندي : أحمد بن عمر بن علي (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٦ م)

٦٣ . **جهار مقالة**

تعليق : محمد عبد الوهاب القزويني ، ترجمة : عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ،الطبعة الأولى (القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩) .

. السمعاني : عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م)

٦٤ . **الأنساب**

(حيدر آباد الدكن ، مطبعة دار المعارف ، ١٣٨٣ هـ) .

. السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

٦٥ . **تاريخ الخلفاء**

الطبعة الثالثة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٩٦٤) .

ـ أبـو شـامة : شـهاب الـدين أبـي محمـد عبـد الـرحمن بـن اسـماعيل (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) .

٦٦ . **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين**

نشر : عزت العطار الحسيني (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤) .

. أبو شجاع : ظهير الدين محمد بن الحسين (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م)

٦٧ . **ذيل تجارب الأمم**

نشر : آمدروز (القاهرة ، مطبعة التمدن ، ١٩١٦) .

. ابن شداد : بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م)

٦٨ . **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين الأيوبي**

تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤) .

. شيخ الربوة : شمس الدين أبو عبد الله محمد أبو طالب (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م)

٦٩ . **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**

(لايبزك ، ١٩٢٣) .

. الصابي : هلال بن المحسن بن ابراهيم (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م)

٧٠ . **الـوزراء**

تحقيق : عبد الستار أحمد فراج (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٦)

٧١ . **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**

(بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤)

٧٢ . **المختار من رسائل الصابي**

نقّحـه وعلّـق علـى حواشيه : الأمير شـكيب أرسـلان (بيـروت ، دار النهضـة الحديثة ، د . ت) .

. الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)

٧٣ . **الوافي بالوفيات**

اعتناء : محمد يوسف نجم (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧١)

. الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م)

٧٤ . **أخبار الراضي بالله والمتقي بالله**

نشر : ج . هيوارت (القاهرة ، مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥) .

. الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
٧٥ . **تاريخ الرسل والملوك**
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٠ . ١٩٦٩) .
. ابن الطقطقا : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)
٧٦ . **الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية**
(بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٦) .
. ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م)
٧٧ . **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**
تحقيق : علي محمد البجاوي (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٥٤) .
. ابن العبري : غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
٧٨ . **تاريخ مختصر الدول**
(بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨) .
. العماد الكاتب : أبو عبد الله محمد بن محمد عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)
٧٩ . **الفتح القسي في الفتح القدسي**
(ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٨٧ م) .
٨٠ . **خريدة القصر وجريدة العصر**
تحقيق محمد بهجت الأثري وجميل سعيد (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٥) .
. ابن العمراني : محمد بن علي (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م)
٨١ . **الأنباء في تاريخ الخلفاء**
تحقيق قاسم السامرائي (القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٥) .
. الغزالي : أبو حامد محمد بن حامد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)
٨٢ . **احياء علوم الدين**
(مصر ، ١٩٣٩) .
. الغساني : الأشرف أبو العباس اسماعيل (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م)
٨٣ . **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**
تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم (بغداد ، دار البيان ، ١٩٧٥) .

. الغياث : عبد الله بن فتح الله الكاتب (د . ت)

٨٤ . **التاريخ الغياثي**

تحقيق : طارق نافع الحمداني (بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٧٥) .

. أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمد (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

٨٥ . **تقويم البلدان**

(باريس ، ١٨٤٠ م)

٨٦ . **المختصر في أخبار البشر**

(مصر ، المطبعة السنية المصرية ، د . ت) .

. ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)

٨٧ . **تاريخ ابن الفرات**

المطبوع منه مجلد ٢ ، الجزء ١ . ٢ ، والمجلد ٥ ، الجزء الأول . عني بتحرير نصه ونشره : الدكتور حسن محمد الشماع (بصرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠) .

. ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٨ م)

٨٨ . **مختصر كتاب البلدان**

(ليدن ، ١٨٨٤ م) .

. ابن الفوطي : أبي الفضل كمال الدين عبد الرزاق البغدادي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٢م)

٨٩ . **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة من المائة السابعة ، المنسوب**

تصحيح وتعليق : مصطفى جواد (بغداد ،مطبعة الفرات ، ١٣٥١ هـ) .

٩٠ . **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**

تحقيق : مصطفى جواد (دمشق ، ١٩٦٢ / ١٩٦٣ م) .

. الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م)

٩١ . **القاموس المحيط**

نشر: مصطفى البابي الحلبي ، اوفسيت (بيروت، دار الجيل، د . ت) .

. القاضي الرشيد : أبو الحسن أحمد بن الرشيد (ت القرن الخامس الهجري)

٩٢ . **الذخائر والتحف**

تحقيق : محمد حميد الله (الكويت ، ١٩٥٩) .

. ابن قاضي شهبة : بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقي الدين (ت ٧٩٨ هـ / ١٣٩٤ م)

٩٣ . **الكواكب الدرية في السيرة النورية**

تحقيق : محمود زايد (بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٨) .

. ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

٩٤ . **المعـارف**

تحقيق : ثروت عكاشة (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٩) .

. قدامة بن جعفر : (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م)

٩٥ . **الخراج وصناعة الكتابة**

شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨١) .

. القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م)

٩٦ . **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**

(بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٧٨) .

. القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)

٩٧ . **آثار البلاد وأخبار العباد**

(بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠)

. القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

٩٨ . **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**

(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧)

٩٩ . **مآثر الانافة في معالم الخلافة**

تحقيق : عبد الستار أحمد فراج (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٦٤)

. ابن القلانسي : أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)

١٠٠ . **ذيل تاريخ دمشق**

(بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨)

. ابن الكازروني : ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م)

١٠١ . **مختصر التاريخ (من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس)**

تحقيق : مصطفى جواد (بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٧٠)

١٠٢ . **مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية**

تحقيق:كوركيس عواد وميخائيل عواد(بغداد، مطبعة الارشاد،١٩٦٢).

. الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
١٠٣ . **عيون التواريخ**
تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داؤد (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٧٧) .
١٠٤ . **فوات الوفيات**
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر ،مطبعة السعادة ،١٩٥١) .
. ابن كثير : عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
١٠٥ . **البداية والنهاية**
(القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٢) .
. الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)
١٠٦ . **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**
الطبعة الأولى (مصر ، ١٩٦٠)
. مجهول : (عاش في القرن الخامس الهجري)
١٠٧ . **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**
الجزء الثالث ، تحقيق : عمر السعيدي (دمشق ، ١٩٧٢ و ١٩٧٣) .
. المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
١٠٨ . **مروج الذهب ومعادن الجوهر**
تحقيق : محمد محيي الدين (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٤٨) .
. مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)
١٠٩ . **تجارب الأمم**
اعتناء : آمد روز (مصر ، ١٩١٤) .
. ابن المعمار : أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم البغدادي (ت ٦٤٢هـ /١٢٤٤م)
١١٠ . **الفتوة**
تحقيق : مصطفى جواد (بغداد ، ١٩٦٠)
. المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م)
١١١ . **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**
(ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٩) .

. المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م

١١٢ . **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**
(القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٩٤ هـ)

١١٣ . **السلوك في معرفة دول الملوك**
تصحيح : محمد مصطفى زيادة (مصر ، ١٩٥٦) .

. ابن مقرب العيوني جمال الدين علي : (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م)

١١٤ . **ديوانـه**
تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة ، ١٩٦٣)

. ابن المقفع : عبد الله بن روذويه (ت ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م)

١١٥ . **رسالة الصحابة**
(القاهرة ، ١٩٥٤) .

. المنذري : زكي الدين أبو محمد عبد العظيم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

١١٦ . **التكملة لوفيات النقلة**
تحقيق: بشار عواد معروف (النجف ، مطبعة الآداب ،١٩٦٨. ١٩٧١).

. ابن منظور : محمد بن مكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م

١١٧ . **لسان العرب**
(بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٦)

. ناصر خسرو : (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م)

١١٨ . **سفر نامة**
تعريب : يحيى الخشاب (القاهرة / ١٩٥٤) .

. النسوي : محمد بن أحمد (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م)

١١٩ . **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**
تحقيق : حافظ أحمد حمدي (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٣) .

. نظمي زادة : مرتضى أفندي (ت ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م)

١٢٠ . **كلش خلفا**
ترجمة : موسى كاظم نورس (النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٧١)

. النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)

١٢١ . **نهاية الأرب في فنون الأدب**
(القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٩) .

. الهمداني : محمد بن عبد الملك بن ابراهيم (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)
١٢٢ . **تكملة تاريخ الطبري**
تحقيق : البرت يوسف كنعان (بيروت، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦١) .
. ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)
١٢٣ . **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**
تحقيق :جمال الدين الشيال (القاهرة،مطبعة جامعة فؤاد الأول،١٩٥٣).
. ابن الوردي : أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
١٢٤ . **تاريخ ابن الوردي**
(النجف ، ١٩٦٩) .
. اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليمني (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)
١٢٥ . **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**
الطبعة الثانية ، (بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ١٩٧٥) .
. ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي
(ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
١٢٦ . **معجم البلدان**
(بيروت ، دار صادر . دار بيروت ، ١٩٥٧) .
١٢٧ . **معجم الأدباء**
(بيروت ، دار المشرق ، د . ت) .
. اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٨ م)
١٢٨ . **البلدان**
نشر : دي غويه (ليدن ، ١٨٩٢)
١٢٩ . **تاريخ اليعقوبي**
(بيروت ، دار صادر . دار بيروت ، ١٩٦٠)
. أبو يعلى : محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٨٤ هـ / ١٠٦٥ م)
١٣٠ . **الأحكام السلطانية**
الطبعة الثانية ، صححه : محمد حامد الفقي (القاهرة ، ١٩٦٦) .
. أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م)
١٣١ . **الخراج**
الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد الباجي (تونس ، ١٩٨٤) .

. اليونيني : أبو الفتح موسى بن محمد البعلبكي (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م)

١٣٢ . **ذيل مرآة الزمان**

(الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥٤ . ١٩٥٥) .

ثالثاً . المراجع :

. الأعظمي : عواد مجيد

١٣٣ . **الزراعة ١٥ . ٦٥٦ هـ / ٦٣٦ . ١٢٥٨ م**

من كتاب (حضارة العراق) ، الجزء الخامس ، (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥) .

. ابراهيم : ناجية عبد الله

١٣٤ . **ريف بغداد ، (دراسة تاريخية لتنظيماته الادارية وأحواله الاقتصادية ٥٧٥ . ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ . ١٢٥٨ م)**

الطبعة الأولى (بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨) .

. أحمد : محمد حلمي

١٣٥ . **الخلافة والدولة في العصر العباسي**

الطبعة الثانية ، (مصر ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٥) .

. أشتور : أ

١٣٦ . **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**

ترجمة : عبد الهادي عبلة ، مراجعة : غسان سانو (دمشق ، دار قتيبة ، ١٩٨٥) .

. اقبال : عباس

١٣٧ . **الوزارة في عهد السلاجقة**

ترجمة : أحمد كمال (الكويت ، مطبوعات الجامعة ، ١٩٨٤) .

١٣٨ . **تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**

ترجمة : عبد الوهاب علوي (أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، ٢٠٠٠) .

. أمين : حسين

١٣٩ . **تاريخ العراق في العصر السلجوقي**

(بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٥) .

. أيوب : ابراهيم

١٤٠ . **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**

(بيروت ، دار الكتاب العالمي ، ١٩٨٩) .

. بابو اسحق : رفائيل

١٤١ . **تاريخ نصارى العراق (منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا)**

(بغداد ، مطبعة المنصور ، ١٩٤٨) .

. بارتولد : ف

١٤٢ . **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**

ترجمة : أحمد السعيد (القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٨) .

. الباشا : حسن

١٤٣ . **الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**

(مصر ، لجنة البيان العربي ، ١٩٥٧).

١٤٤ . **الفنون الاسلامية والوظائف في الآثار العربية**

(القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦٥) .

. بدر : مصطفى طه

١٤٥ . **محنة الاسلام الكبرى زوال الخلافة العباسية على يد المغول**

(القاهرة ، ١٩٤٦) .

. بروان : أدور جرانفيل

١٤٦ . **تاريخ الأدب في ايران**

ترجمة : ابراهيم أمين الشواربي (القاهرة ، ١٩٥٤) .

. بروي : ادوارد

١٤٧ . **تاريخ الحضارات العام**

نقله إلى العربية : يوسف أسعد داغر، وفريد داغر، الطبعة الأولى (بيروت ،١٩٦٥).

. بيضون : ابراهيم وسهيل زكار

١٤٨ . **تاريخ العرب السياسي من فجر الاسلام حتى سقوط بغداد**

(بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٤) .

. تشنر : فرانس

١٤٩ . **الفتوة والخليفة الناصر**

من كتاب (المنتقي من دراسات المستشرقين)

ترجمة : صلاح الدين منجد (القاهرة ، ١٩٥٥) .

. تقي الدين : عارف الدوري

١٥٠ . **عصر أمرة الأمراء في العراق ٣٢٤ . ٣٣٤ هـ / ٩٣٦ . ٩٤٦ م**
دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية
(بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٧٥) .

. التكريتي : سلمان

١٥١ . **بغداد مدينة السلام وغزو المغول**
(بغداد ، مكتبة الشرق الجديد ، ١٩٨٨) .

. الجميلي : رشيد عبد الله

١٥٢ . **دولة الأتابكة بعد عماد الدين زنكي**
(بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥).

. الجنابي : خالد جاسم

١٥٣ . **الجيش والشرطة**
من كتاب (حضارة العراق) ، الجزء الخامس
(بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٤)

١٥٤ . **تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني**
(بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩) .

. حسن : حسن ابراهيم

١٥٥ . **النظم الاسلامية**
(القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٢) .

. حسن : زكي محمد

١٥٦ . **الصين وفنون الاسلام**
(دار الآثار العربية ، ١٩٣٧) .

١٥٧ . **النظم الاسلامية**
(القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٢)

. حسن : علي ابراهيم

١٥٨ . **التاريخ الاسلامي العام**
الطبعة الثانية (القاهرة ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، ١٩٥٩) .

. حسنين : عبد المنعم محمد

١٥٩ . **سلاجقة ايران والعراق**

الطبعة الثانية (القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٧٠) .

. الحسيني : محمد باقر

١٦٠ . **العملة الاسلامية في العهد الأتابكي**

(بغداد ، مطبعة دار الجاحظ ، ١٩٦٦) .

. حسيني : مولوي

١٦١ . **الادارة العربية**

ترجمة : ابراهيم العدوي (القاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتها، ١٩٥٨) .

. حمدي حافظ أحمد

١٦٢ . **الدولة الخوارزمية والمغول**

(القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٤٩) .

. الخازن : وليم

١٦٣ . **الحضارة العباسية**

(بيروت ، المكتبة الشرقية ، ١٩٨١) .

. الخالدي : فاضل عبد اللطيف

١٦٤ . **الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق في القرن الخامس الهجري**

(بغداد ، ١٩٦٨)

. خصباك : جعفر حسين

١٦٥ . **العراق في عهد المغول الايلخانيين٦٥٦-٧٣٦هـ /١٢٥٨- ١٣٣٥م**

الطبعة الأولى (بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٨) .

. الخضري : محمد بك

١٦٦ . **تاريخ الأمم الاسلامية**

الجزء الثاني (مصر ، ١٩٧٠) .

. خليل : عماد الدين

١٦٧ . **عماد الدين زنكي**

(الموصل ، مطبعة الزهراء الحديثة ، ١٩٨٥) .

. دحلان : أحمد بن السيد زيني

١٦٨ . **الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**

(مكة ، المطبعة الميرية ، ١٣١١ هـ) .

. الدوري : عبد العزيز عبد الكريم

١٦٩ . **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**

(بغداد ، مطبعة السريان ، ١٩٤٥) .

١٧٠ . **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**

(بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٨)

١٧١ . **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**

(بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩) .

. ديماند : م . س

١٧٢ . **الفنون الاسلامية**

ترجمة : أحمد موسى عيسى (مصر ، د . ت) .

. الديوه جي : سعيد

١٧٣ . **الفتوة في الاسلام**

(موصل ، المطبعة الكلدانية ، ١٩٤٠) .

. الرفيعي : عبد الأمير

١٧٤ . **العراق (بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية)**

الطبعة الأولى (بيروت ، الفرات للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢) .

. الريس : محمد ضياء الدين

١٧٥ . **الخراج في الدولة الاسلامية**

الطبعة الأولى (القاهرة ، ١٩٥٧) .

. الزبيدي : محمد حسين

١٧٦ . **العراق في العصر البويهي (التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية ٣٣٤ . ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ . ١٠٨٥ م)**

(القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩) .

. زعين : حسن فاضل

١٧٧ . **العلاقات السياسية الخارجية**

نشر ضمن كتاب (حضارة العراق)، الجزء السادس (بغداد ، دار الحرية ،١٩٨٤) .

. زكار : سهيل

١٧٨ . **تاريخ العرب والاسلام منذ المبعث حتى سقوط بغداد**

(بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٥) .

١٧٩ . **الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية**

(دمشق ، دار الفكر ، ١٩٩٥) .

. زكي : عبد الرحمن

١٨٠ . **السلاح في الاسلام**

(القاهرة ، ١٩٥٦) .

. زيات : حبيب

١٨١ . **الخزانة الشرقية (أبحاث وأماليّ في تاريخ الشرق وآدابه وحضارته في عهد العباسيين)**

(بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٤٨) .

. زيادة : نقولا

١٨٢ . **الحسبة والمحتسب في الاسلام**

(بيروت ، ١٩٦٣) .

١٨٣ . **مشرقيات في صلات التجارة والفكر**

الطبعة الأولى (بيروت ، رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٨) .

. زيدان : جرجي

١٨٤ . **تاريخ التمدن الاسلامي**

(القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٨).

. سعداوي : نظير

١٨٥ . **جيش مصر في أيام صلاح الدين**

(القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٦) .

. سلمان : عيسى

١٨٦ . **الأوضاع الاقتصادية**

نشر ضمن كتاب (العراق في التاريخ) (بغداد ، دار الحرية،١٩٨٣) .

. سليمان : أحمد السعيد

١٨٧ . **تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة**

(مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٦) .

. سوسة : أحمد

١٨٨ . **ري سامراء في عهد الخلافة العباسية**

الطبعة الأولى (بغداد ، مطبعة المعارف ،ر١٩٤٨ . ١٩٤٩) .

١٨٩ . **فيضانات بغداد في التاريخ**

(بغداد ، ١٩٦٣) .

. سيديو : ل . أ .

١٩٠ . **تاريخ العرب العام**

ترجمة : عادل زعيتر (مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٩) .

. شبولر : بارتولد

١٩١ . **العالم الاسلامي في العصر المغولي**

نقله إلى العربية : خالد أسعد يحيى ، راجعه : سهيل زكار (دمشق ، دار حسان للطباعة والنشر ، ١٩٨٢) .

. الشريف أحمد ابراهيم

١٩٢ . **العالم الاسلامي في العصر العباسي**

(القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧)

. الشيخلي : صباح ابراهيم سعيد

١٩٣ . **الأصناف في العصر العباسي (نشأتها وتطورها بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الاسلامي)**

(بغداد ، ١٩٧٦) .

. الصياد : فؤاد عبد المعطي

١٩٤ . **المغول في التاريخ**

(بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠)

. ضامن : محمد

١٩٥ . **امارة حلب في ظل الحكم السلجوقي**

(دمشق ، دار أسامة ، ١٩٩٠) .

. طرخان : ابراهيم

١٩٦ . **النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**

(القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨) .

. طقوش : محمد سهيل

١٩٧ . **تاريخ الدولة العباسية**

الطبعة الأولى (بيروت ، دار النفائس ، ١٩٩٦) .

١٩٨ . **تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام**

الطبعة الأولى (بيروت ، دار النفائس ، ١٩٩٩) .

١٩٩ . **التاريخ الاسلامي الوجيز**

(بيروت ، دار النفائس ، ٢٠٠٢) .

. الطيباوي : عبد اللطيف

٢٠٠ . **محاضرات في تاريخ العرب والاسلام**

(بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٧٩)

. العابد : صالح محمد وعماد عبد السلام رؤوف

٢٠١ . **العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي**

نشر ضمن كتاب (العراق في التاريخ) الجزء الخامس

(بغداد ، دار الحرية ،١٩٨٣).

. عاشور : سعيد عبد الفتاح

٢٠٢ . **العصر المماليكي في مصر والشام**

(مصر ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥) .

٢٠٣ . **الحركة الصليبية**

(القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣) .

. العاني : عبد الرحمن وحمدان عبد المجيد الكبيسي

٢٠٤ . **التجارة الداخلية والخارجية**

نشر ضمن كتاب (حضارة العراق) ، الجزء الخامس

(بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥) .

. العبيدي : صلاح حسين

٢٠٥ . **الجيش والسلاح في العصور العربية الاسلامية**

نشر ضمن موسوعة(الجيش والسلاح) (بغداد ، دار الحرية،١٩٨٧) .

٢٠٦ . **الفنون الزخرفية والتشكيلية**

نشر ضمن كتاب (العراق في موكب الحضارة ، الأصالة والتأثير) ،
الجزء الرابع ، (بغداد ، ١٩٨٨) .

. عثمان : شوقي عبد القوي

٢٠٧ . **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية**

(الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٩٠)

. العريني : السيد الباز

٢٠٨ . **المغول**

(بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧) .

. العزاوي : عباس

٢٠٩ . **تاريخ الضرائب العراقية (من صدر الاسلام إلى آخر العهد العثماني ١٢ . ١٣٣٥ هـ / ٦٣٣ . ١٩١٧ م)**

(بغداد ، شركة التجارة والطباعة ، ١٩٥٩) .

. العسكري : سليمان ابراهيم

٢١٠ . **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**

(القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٩٧٢)

. العلي : صالح أحمد

٢١١ . **التسلط الأجنبي**

نشر ضمن كتاب(العراق في التاريخ)،(بغداد ، دار الحرية ،١٩٨٣) .

٢١٢ . **بغداد مدينة السلام**

(بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٥) .

٢١٣ . **معالم بغداد الادارية والعمرانية**

(بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨) .

. علي : سيد أمير

٢١٤ . **مختصر تاريخ العرب**

الطبعة الثانية ، نقله إلى العربية : عفيف البعلبكي ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٧) .

. عمران : محمد سعيد

٢١٥ . **المغول في اوربا**

(مصر ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧) .

. العمري : ياسين خيرالله
٢١٦ . **غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام**
(بغداد ، ١٩٦٨) .
. عودة : محمد عبد الله وحكمت عبد الكريم فريحات وابراهيم ياسين الخطيب
٢١٧ . **مختصر التاريخ الاسلامي**
(عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩) .
. عوف : عبد الرؤوف
٢١٨ . **الفن الحربي في صدر الاسلام**
(مصر ، دار المعارف ، ١٩٦١) .
. غنيمة : يوسف رزق الله
٢١٩ . **تجارة العراق قديماً وحديثاً**
(بغداد ، ١٩٢٢) .
. فاخوري : عبد الباسط
٢٢٠ . **تحفة الأنام . مختصر تاريخ الإسلام**
(بيروت ، ١٣٢٠ هـ)
. فهد : بدري محمد
٢٢١ . **العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري**
(بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٧) .
٢٢٢ . **تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ٥٥٢ . ٦٥٦ هـ / ١١٥٧ . ١٢٥٨م**
(بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٣) .
. فوزي : فاروق عمر
٢٢٣ . **الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة**
(الشارقة ، دار الخليج للطباعة والنشر ، ١٩٨٣) .
٢٢٤ . **النظم الاسلامية**
(الشارقة ، دار الخليج للطباعة ، ١٩٨٣)
٢٢٥ . **واردات الدولة ونفقاتها**
نشر ضمن كتاب (حضارة العراق) ، الجزء الخامس
(بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥) .
٢٢٦ . **تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية**
الطبعة الأولى (بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٨٨) .

. القزاز : محمد صالح داؤد

٢٢٧ . **الحياة السياسية في العراق في عصر السيطرة المغولية**
(العراق ، مطبعة النجف ، ١٩٧٠).

٢٢٨ . **الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير**
(النجف ، مطبعة القضاء ، ١٩٧١) .

. القضاة : أمين ومحمد عوض الهزايمة

٢٢٩ . **محاضرات في التاريخ الاسلامي**
(عمان ، دار عمار ، ١٩٩٢) .

. كاهن : كلود

٢٣٠ . **تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الأمبراطورية العثمانية**
نقله إلى العربية : بدر الدين قاسم (بيروت ، ١٩٧٢) .

. الكبيسي : حمدان عبد المجيد

٢٣١ . **الصناعة**
نشر ضمن كتاب (حضارة العراق) الجزء الخامس (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٥) .

٢٣٢. **النظام النقدي في الدولة العربية الاسلامية**
الطبعة الأولى (بغداد ، ١٩٨٨) .

. كحالة : عمر رضا

٢٣٣ . **دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية**
(دمشق ، المطبعة التعاونية ، ١٩٧٣) .

. الكفراوي : عوف محمود

٢٣٤ . **سياسة الانفاق العام في الاسلام**
(اسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٩) .

. كنعان : علي

٢٣٥ . **الاقتصاد الاسلامي**
(سوريا ، دار المعارف ، ١٩٩٧) .

. كوك : ريجارد

٢٣٦ . **بغداد مدينة السلام**
ترجمة : فؤاد جميل ومصطفى جواد (بغداد ، مطبعة شفيق ،١٩٦٢) .

. لسترنج : كي

٢٣٧ . **بلدان الخلافة الشرقية**

نقله إلى العربية : بشير يوسف فرنسيس وكوركيس عواد

(بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٤) .

. لويس برنارد

٢٣٨ . **السياسة والحرب من كتاب (تراث الإسلام)**

ترجمة : محمد زهير (الكويت ، سلسلة تراث الاسلام ، ١٩٧٨) .

. ماجد : عبد المنعم

٢٣٩ . **العصر العباسي الأول**

(القاهرة ، ١٩٧٣) .

. متز : آدم

٢٤٠ . **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري**

ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) .

. محمد : سوادي عبد

٢٤١ . **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي**

الطبعة الأولى (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٩) .

. محمد : عبدو

٢٤٢ . **هولاكو في بغداد**

(اللاذقية ، دار الحوار للنشر ، ١٩٨٤) .

. محمود : حسن أحمد وأحمد ابراهيم الشريف

٢٤٣ . **العالم الاسلامي في العصر العباسي**

الطبعة الخامسة ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢) .

. المختار : فريال داؤد

٢٤٤ . **المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة العباسية**

(بغداد ، دار الحرية ، ١٩٧٦) .

. المسري : حسين علي

٢٤٥ . **تجارة العراق في العصر العباسي**

(الكويت ، ذات السلاسل ، ١٩٨٢) .

. المشهداني : محمد جاسم
٢٤٦ . **معركة بغداد ٥٥١ . ٥٥٢ هـ**
نشر ضمن موسوعة (الجيش والسلاح) الجزء الرابع
(بغداد ، دار الحرية ،١٩٨٧) .
. مظهر : جلال
٢٤٧ . **الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمي الحديث**
(القاهرة ، مطبعة مخيبر ، د . ت) .
. معروف : ناجي
٢٤٨ . **تاريخ علماء المستنصرية**
الطبعة الأولى (بغداد ، ١٩٦٥) .
٢٤٩ . **حياة اقبال الشرابي**
الطبعة الأولى (بغداد ، ١٩٦٦) .
. المنجد : صلاح الدين
٢٥٠ . **الحركات التقدمية في العراق حتى غزو التتار**
(بيروت ، دار العلم للملايين ، د . ت) .
. مهنا : محمد نصر
٢٥١ . **الاسلام في آسيا منذ الغزو المغولي**
(الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٩٠) .
. ناجي : عبد الجبار
٢٥٢ . **الأمارة المزيدية(دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي)**
(بغداد ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٠) .
٢٥٣ . **الدولة العربية في العصر العباسي**
(جامعة البصرة ، مطابع التعليم العالي ، ١٩٨٩) .
. نوري : دريد عبد القادر
٢٥٤ . **سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة**
(بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٦) .
. هنتس : فالتر
٢٥٥ . **المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري**
ترجمة : كامل العسلي (الأردن ، د . ت) .

. هياجنة : محمد احمد موسى

٢٥٦ . **محاضرات في تاريخ المغول والمماليك**

(أربد ، مطابع الدستور التجارية ، ١٩٩٠) .

. الورد : باقر أمين

٢٥٧ . **حوادث بغداد في ١٢ قرن**

(بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٨٩).

. اليوسف : عبد القادر أحمد

٢٥٨ . **علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر**

(بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٩) .

. يوسف : عبد الرقيب

٢٥٩ . **الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى**

(بغداد ، ١٩٧٢) .

رابعاً . الرسائل والأطاريح الجامعية :

. الياس : دخيل أسود
٢٦٠ . **العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والدويلات الاسلامية في الشام والجزيرة من سنة ٥٥٥ . ٦١٥ هـ / ١١٦٠ . ١٢١٨ م**
رسالة ماجستير،غير منشورة، (جامعة الموصل . كلية الآداب،١٩٧٨) .
. الياس : عبد الوهاب خضر
٢٦١ . **الاقطاع في العصر العباسي(دراسة في أنماطه وادارته١٣٢.٤٤٧هـ / ٧٤٩ . ١٠٥٥ م) .**
أطروحة دكتوراه،غير منشورة،(جامعة الموصل . كلية الآداب،١٩٩١).
. البكر : راغب حامد عبد الله
٢٦٢ . **الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي**
رسالة ماجستير، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٣).
. الجبوري : محمد ضايع حسون
٢٦٣ . **الخلافة العباسية (دراسة في أحوالها السياسية والادارية والاقتصادية ٥٣٠ . ٥٧٥ هـ / ١١٣٥ . ١١٧٩ م)**
رسالة ماجستير،غير منشورة ، (جامعة بغداد . كلية الآداب،١٩٨٨) .
. الجميلي : حسين حديس جاسم
٢٦٤ . **عصر الخليفة المستنصر بالله ٦٢٣ . ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ . ١٢٤٢ م**
رسالة ماجستير،غير منشورة ،(جامعة الموصل . كلية الآداب ،١٩٨٩).
. حسن : صالح رمضان
٢٦٥ . **مقاومة الخلافة العباسية للنفوذ السلجوقي في العراق٥١٢ . ٥٥٥ هـ / ١١١٨ . ١١٦٠ م**
رسالة ماجستير،غير منشورة،(جامعة الموصل . كلية الآداب ،١٩٨٧) .
. حطاب : عجمي محمود
٢٦٦ . **المقاومة العربية للغزو المغولي حتى عين جالوت**
اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة بغداد . كلية الآداب ، ١٩٩٠) .

. الخالدي : فاضل عبد اللطيف

٢٦٧ . **النظم في العراق في أواخر العصر العباسي ٤٤٧ . ٦٥٦ هـ / ١٠٥٥ . ١٢٥٨ م .**

اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة القاهرة . كلية الآداب ، ١٩٧٢) .

. السعدي : أمل عبد الحسين

٢٦٨ . **الصيرفة والجهبذة في العراق من القرن الثاني إلى نهاية القرن السابع الهجري**

أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة بغداد . كلية الآداب ، ١٩٨٥) .

. سلطان : طارق فتحي

٢٦٩ . **العرب والصين في القرون الوسطى (دراسة سياسية حضارية) ١ .٧٦٩ هـ / ٦٢٢ . ١٣١٨ م**

رسالة ماجستير ،غير منشورة،(جامعة الموصل . كلية الآداب،١٩٨٠).

. الطائي : فوزي أمين يحيى

٢٧٠ . **الخدمات الوقفية في العراق وبلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين**

أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٩٧) .

. عباس : ندى موسى

٢٧١ . **جيش العراق في أواخر العصر العباسي ٥١٢ . ٦٥٦ هـ / ١١١٨ . ١٢٥٨ م**

رسالة ماجستير ،غير منشورة،(جامعة الموصل . كلية الآداب،١٩٩١).

. قادر : نزار محمد

٢٧٢ . **الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة العربية الاسلامية منذ تأسيسها وحتى سقوط بغداد ١ . ٦٥٦ هـ / ٦٢٢ . ١٢٥٨ م**

رسالة ماجستير ،غير منشورة ،(جامعة الموصل . كلية الآداب،١٩٨٤).

. محسن : ابراهيم جدوع

٢٧٣ . **امارة البطائح العربية (دراسة في أحوالها السياسية والفكرية منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي**

رسالة ماجستير، غير منشورة ، (جامعة البصرة . كلية الآداب،١٩٨٦).

. محمد : ادريس سليمان

٢٧٤ . **نفوذ الوزراء السياسي في الدولة العباسية**

اطروحة دكتوراه ، غير منشورة (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٩٦) .

. محمد : جاسم ياسين

٢٧٥ . **الخليج العربي (دراسة في أحواله السياسية والاقتصادية منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حتى بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)**

أطروحة دكتوراه،غير منشورة،(جامعة البصرة . كلية الآداب،١٩٩٣).

. مطشر : رعد زهراو

٢٧٦ . **عصر الخليفة المقتفي لأمر الله ٥٣٠ . ٥٥٥ هـ /١١٣٥ . ١١٦٠ م**

رسالة ماجستير،غير منشورة (جامعة البصرة . كلية الآداب،١٩٨٧) .

. نجم : وليد مصطفى

٢٧٧ . **الأوضاع الاقتصادية في عصر الخليفة المستعصم بالله٦٤٠. ٦٥٦هـ / ١٢٤٢ . ١٢٥٨ م**

رسالة ماجستير،غير منشورة (جامعة الموصل . كلية الآداب ، ١٩٨٩) .

. النقيب : أحلام مصطفى

٢٧٨ . **سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية**

رسالة ماجستير،غير منشورة ، (جامعة بغداد . كلية الآداب ،١٩٨٨).

خامساً . البحوث والدوريات :

. الأعظمي : خالد خليل

٢٧٩ . " **عمارات بغداد في العصر العباسي** "

مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الرابع (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٩) .

. أمين : حسين

٢٨٠ . " **نظام الحكم في العصر السلجوقي** "

مجلة سومر، المجلد العشرون ، العدد الثاني ، (بغداد ، دار الجمهورية، ١٩٦٣) .

٢٨١ . " **حصار بغداد في العصر العباسي " صمودها وانتصارها** "

مجلة المورد،المجلد الثالث والعشرون ، العدد الثاني (بغداد ،١٩٩٥) .

. بارتولد :

٢٨٢ . " **مادة جنكيز خان** "

دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد السابع .

. بصرى : صبر

٢٨٣ . " **العراق طريق تجاري عالمي** "

مجلة غرفة تجارة بغداد،العدد الثامن ، السنة الثالثة (بغداد ،١٩٤٠) .

. بيليايف : ي . آ .

٢٨٤ . " **الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية** "

ترجمة : د . جليل كمال الدين ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد الثالث ، أيلول ١٩٧٣ (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٣) .

. بوزورث : س ، أي

٢٨٥ . " **التنظيم العسكري عند البويهيين في العراق وايران** "

ترجمة : عبد الجبار ناجي، مجلة المورد، المجلد الرابع ، العدد الأول ، (بغداد ، ١٩٧٥) .

. الجميلي : رشيد عبد الله

٢٨٦ . " **حملة هولاكو على بغداد** "

مجلة سومر ، العدد الخاص عن بغداد (بغداد ، ١٩٧٨) .

. جواد : مصطفى
٢٨٧ . " **الفتوة والفتيـان** "
مجلة لغة العرب ، المجلد الثامن ، (بغداد ،١٩٣٠) .
٢٨٨ . " **الأزهار والأثمار** "
مجلة الزراعة العراقية، المجلد الثامن، الجزء الثاني (بغداد ،١٩٥٣) .
٢٨٩ . " **الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين** "
مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الخامس (بغداد ، ١٩٥٨) .
. الجومرد : جزيل عبد الجبار الجومرد ونزار محمد قادر
٢٩٠ . " **دور الخلافة العباسية في العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية** "
مجلــة دراســات ، المجلــد الســادس والعشــرون (أ) ، العــدد الخــامس (عمان ، ١٩٩٤) .
٢٩١ . " **أثر الخلافة العباسية في تكوين العلاقات السياسية بين قوى الأطراف** "
مجلــة دراســات ، المجلـد الرابــع والعشــرون ، العـدد الثــاني ، (عمــان ، ١٩٩٧) .
. حتاملة : عبد الكريم عبده
٢٩٢ . " **دور الخليفة المقتفي لأمر الله في اضعاف النفوذ السلجوقي** "
مجلـة المنـارة ، جامعـة آل البيـت ، العـدد الأول ، المجلـد الأول ، كـانون الثاني (الأردن ، المفرق ، ١٩٩٦) .
. الدوري : عبد العزيز
٢٩٣ . " **نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية** "
مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العشرون (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٠) .
. رشاد : عبد المنعم
٢٩٤ . " **احتلال المغول لبغداد** "
مجلـة آداب الرافـدين ، العـدد الأول ، آب ١٩٧١ ، كليـة الآداب (جامعـة الموصل ، ١٩٧١) .

. رؤوف : عماد عبد السلام

٢٩٥ . " **تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد** "

مجلة المورد، المجلد الثامن ، العدد الرابع (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ،١٩٧٩) .

. زيادة : نقولا

٢٩٦ . " **الجزيرة العربية في كتابات المؤرخين الصينيين** "

مجلة المؤرخ العربي ، العدد السادس (الرباط ، ١٩٧٨) .

. السامرائي : عبد الجبار محمود

٢٩٧ . " **حصار المغول للعاصمة بغداد** "

مجلة المورد ، المجلد السادس والعشرون ، العدد الثالث (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٩٨) .

. السعدي : أمل عبد الحسين

٢٩٨ . " **دور بادوريا في الاقتصاد العباسي** "

مجلة الجمعية الحغرافية العراقية ، العدد الثاني والعشرون (بغداد ، ١٩٨٨) .

. سوسة : أحمد

٢٩٩ . " **وقعة نهر دجيل واحتلال المغول لمدينة بغداد** "

مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الخامس (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٨) .

٣٠٠ . " **الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي** "

مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العاشر (بغداد ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٩٦٣) .

. شوكت : ابراهيم

٣٠١ . " **الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** "

مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثالث والعشرون ، (بغداد ، ١٩٧٣) .

. الطائي : فوزي أمين

٣٠٢ . " **جهود أهالي بغداد في دعم الخلافة العباسية** "

مجلة التربية والعلم ، العدد الثامن ، كلية التربية (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) .

. العابد : صالح

٣٠٣ . " **الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة** "

مجلة المورد ، العدد الرابع ، (بغداد ، ١٩٨٧) .

. العبود ، نافع توفيق

٣٠٤ . " **جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري** "

مجلة المورد ، المجلد التاسع عشر ، العدد الأول (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٩٠) .

. العبيدي : صلاح حسين

٣٠٥ . " **فنون بغداد وحرفها في العصر العباسي** "

مجلة دراسات تاريخية ، العدد الثالث ، تموز . أيلول ، السنة الثالثة ، بيت الحكمة (بغداد ، ٢٠٠١) .

. العزاوي : عباس

٣٠٦ . " **تاريخ النقود العراقية** "

مجلة غرفة تجارة بغداد، العدد الأول ،السنة الرابعة ، كانون الثاني (بغداد ،١٩٤١) .

. غنيمة : يوسف رزق الله

٣٠٧ . " **صناعات العراق في عهد العباسيين** "

مجلة غرفة تجارة بغداد ، الجزء الثامن ، السنة الرابعة ، (بغداد ، ١٩٤١) .

. فهد : بدري محمد

٣٠٨ . " **الخلافة العباسية في أواسط القرن الخامس والسابع** "

مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني والخمسون (بغداد ، اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٩٥) .

. الفيل : محمد رشيد

٣٠٩ . " **الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الايلخاني** "

مجلة كلية الآداب ، العدد السادس ، (بغداد ، ١٩٦٣) .

. قادر : نزار محمد

٣١٠ . " **سياسة المسترشد بالله العسكرية وأثرها في مقاومة النفوذ الأجنبي** "

مجلة التربية والعلم ، العدد السابع ، كلية التربية (جامعة الموصل ، ١٩٨٩) .

٣١١ . " **الجيش في عهد المستعصم بالله العباسي ٦٤٠ . ٦٥٦ هـ / ١٢٤٢ . ١٢٥٨م** "

مجلة التربية والعلم ، العدد العاشر ، كلية التربية (جامعة الموصل ، ١٩٩١) .

. قداوي : علاء محمود خليل

٣١٢ . " **تحالف ملوك أرمينيا الصغرى وانطاكية الصليبية مع المغول** "

مجلة التاريخ العربي ، العدد العاشر (الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الحديثة ، ١٩٩٩) .

. كرامرز :

٣١٣ . **مادة تكريت**

مقالة معربة عن دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخامس ، نقله إلى العربية : محمد ثابت افندي وآخرون ، (د . ت) .

. الكرملي : أنستاس ماري

٣١٤ . " **الحياكة في العراق** "

مجلة غرفة تجارة بغداد ، العدد الأول ، السنة الرابعة ،كانون الثاني (بغداد ، ١٩٤١) .

. ماسينون :

٣١٥ . " **مادة الشّدْ** "

دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث عشر .

. مجيد : ميسون هاشم
٣١٦ . " **هدايا أمراء الدويلات إلى الخلافة العباسية ومردوداتها** "
مجلة آداب الرافدين ، العدد الثاني والثلاثون ، كلية الآداب (جامعة الموصل ، ١٩٩٩) .

. المديرس : عبد الرحمن مديرس عبد المحسن
٣١٧ . " **أقليم البحرين في العصر العباسي ٤٦٩ ـ ٦٣٦ هـ / ١٠٧٦ ـ ١٢٣٨ م** "
مجلة كلية الآداب ،المجلد الخامس عشر، العدد الأول (جامعة الملك سعود ،١٩٨٨) .

. المشهداني : محمد جاسم حمادي
٣١٨ . " **نهاية النفوذ السلجوقي في العراق** "
مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس والعشرون (بغداد ، اتحاد المؤرخين العرب ، ١٩٨٤) .

. المعاضيدي : عبد القادر سلمان
٣١٩ . " **المقاومة العربية للتحدي السلجوقي** "
مجلة المورد ، المجلد السادس والعشرون ، العدد الثالث (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٩٨) .

. معروف : ناجي
٣٢٠ . " **عصر الشرابي ببغداد** "
مجلة الأقلام ، الجزء التاسع ، السنة الثانية (بغداد ، وزارة الارشاد ، ١٩٦٦) .

. مؤنس : حسين
٣٢١ . " **المغول والاسلام** "
مجلة العربي ، العدد الواحد والسبعون (الكويت ، ١٩٧١) .

. المياح : علي محمد
٣٢٢ . " **العرب والمحيط الهندي في العصور الوسطى** "
مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الأربعون ، الجزءان الثالث والرابع ، (بغداد ، ١٩٨٩) .

. نوري : دريد عبد القادر

٣٢٣ . " **الأجور والرواتب في العصر العباسي** "

مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني والثلاثون (بغداد ، ١٩٨٧) .

. هارثمان :

٣٢٤ . " **مادة البصرة** "

مقالة معربة عن دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث ، المجلد الخامس .

٣٢٥ . " **مادة دجلة** "

مقالة معربة عن دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخامس .

. هوتسمان

٣٢٦ . " **مادة التتار** "

دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الرابع .

. الهيتي : صبري فارس

٣٢٧ . " **تخطيط مدينة بغداد** "

مجلة المورد ،المجلد الثامن ، العدد الرابع (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٧٩) .

٣٢٨ . " **أنهار بغداد** "

مجلة المورد ، المجلد الثامن، العدد الرابع (بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ،١٩٧٩) .

. اليوزبكي : توفيق سلطان

٣٢٩ . " **دور العناصر الأجنبية في تجزئة الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي**"

مجلة آداب الرافدين ، العدد التاسع والعشرون ، كلية الآداب (جامعة الموصل ، ١٩٩٧) .

سادساً . المراجع والدراسات الأجنبية :

- Bosworth . C . E .
330 - Islamic Dynasties . (Edinburgh University Press 1976) .
- Cahen . C . L .
331 – Art - Baweyhods ! Encyclopedia of Islam .(London 1960) New Edition Vol I .
- Duri . A . A .
332 - (Baghdad) Encyclopaedia of Islam . (London 1964) . New Edition , Vol . I .
- EL – Ali : Salih and Streck .
333 - (AL – Batiha) Encyclopedia of Islam (London 1960) Vol . I .
- Hitti : Philb .
334 - History of the Arabs . (London 1960) .
- Levy . R .
335 - Abaghdad . Chronicle . (Cambridge 1929) .
- Rashad : Abdul Mnuim .
336 - The Abbasid Caliphate 575 – 656/ 1179 – 1258 thesis PH .D (London . University of London 1963) .
- Richards . D . S .
337 - Islam and and The trade of Asia (Penncylvania 1970) .
- Simkin . C . G. F .
338 - The Traditional Trade of Asia . (London 1968) .
- Taeshner - Die :
339 - Islamische futuwwa bunde .
- Z . D . M . G . 1933 , P. 6 Ff .
Zeitschrift der Deutschen Morgan land Gesellschschaft
- Wilson : Arnold . T .
340 – " The Persian Gulf " (London 1959) .

الملاحق

مرسوم الفتوة

بسم الله الرحمن الرحيم

من المعلوم أن الذي لا يتبارى في صحته ولا يرتاب في براهينه وأدلته أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . كرّم الله وجهه . هو أصل الفتوة ومنبعها ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها وعنه تروى محاسنها وآدابها ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها وإليه دون غيره تنتسب الفتيان وعلى منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج الرفقاء والأخوان وانه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ويستوفيها من أصناف الحسبات على تباين جناياتها ومللها ونحلها ومذاهبها غير مقصر عمّا أمر به الشرع المطهر وقرره ولا مراقب في ما رتبه من الحدود وقرره امتثالاً لأمر الله تعالى في إقامة حدوده وحفظاً لمناظم الشرع وتقويم عموده فإنه عليه السلام فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ومشهد من أخبار الصحابة ومجمع فلم يسمع أن أحداً من الأمة لامه ولا طعن عليه طاعن في حد اقامة وحقيق بمن أورثه الله مقامه وناط به شرائع الاسلام وأحكامه وانتمى إليه عليه السلام في فنونه واقتفى شريف شيمه وكريم سجيته أن يقتدي به عليه السلام في أفعاله ويحتذي في ما استرعاه الله تعالى واضح مثاله غير ملوم في ما يأتيه من ذلك ولا معارض فتوة ولا شرعاً في ما يورده ويصدره وقد رسم أعلى الله المراسم العلية المقدسة النبوية الامامية وزادها نفاذاً معضوداً بالصواب وتأييداً ممتد الاطناب محكم الأسباب على كل من تشرف بالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة المكرمة الطاهرة الزكية النبوية الامامية الناصرة لدين الله تعالى شرّف الله مقامها وخلّد أيامها وأعلى كلمتها ونصر رايتها انه من قتل له رفيق نفساً نهى الله تعالى عن قتلها وحرمه وسفك دماً حقنه الشرع المطهر وعصمه وصار ذلك مما قال الله تعالى في حقه حيث ارتكب هذا المحرم واحتقب عظيم هذا المأثم ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ (1)

---

(1) سورة النساء ، الآية ٩٣ .

الآية أن ينزل عنه في الحال في جميع الفتيان عند تحققه لذلك ومعرفته ويبادر إلى تغيير رفقته مخرجاً له بذلك عن دائرة الفتوة التي كان متسماً بها مسقطاً لها من عداد الرفاقة التي لم يقم نواحيها ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، وان كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويساعده على أمره ويؤويه ينزل كبيرة عنه ويغير فاقته ويتبرأ عنه وان من حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ومن آوى طريد الشرع فقد ظلّ وهوى والنبي ﷺ يقول: "من آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً "، ولا حدث أكبر من قتل النفس عدواناً وظلماً ولا ذنب أعظم منه وزراً واثماً فإن الفتى متى قتل من حزبه سقطت فتوته ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملاً بقوله : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ** ﴾ (١) .وأن قتل غير فتى عوناً من الأعوان أو متعلقاً بديوان في بلد سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحزب بالقتل فكأنما عيب على كبيرة فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح ووجب أخذ١ القصاص منه عند كل فتى راجح وليعلم الرفقة الميمونة ذلك وليعلموا بموجبه وليجروا الأمر في أمثال ذلك على مقتضى المأمور به وليقفوا عند المحدود في هذا المرسوم المطاع ويقابلوه بالانقياد والاتباع ـإن شاء الله تعالى .وكتب في تاسع صفر سنة أربع وستمائة،وسلّم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته: " قابل العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع وقابله بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلاً ، وقد ألزمت نفسي اجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف فمتى جرى ما ينافي في المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي والمؤاخذة مستحقة على ما يراه صاحب الحزب ثّبت الله دولته وأعلى كلمته وكتب فلان ابن فلان في تاريخه " (٢) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ٢٢٣ . ٢٢٦ .

الرسائل المتبادلة بين هولاكو والخليفة العباسي

(١)

وصية منكو خان لأخيه هولاكو عندما وجهه نحو العرب :

ثمَّ تقدم منكو قاآن مندفعاً بعاطفة لهولاكو ونصحه قائلاً : انك الآن على رأس جيش كبير وقوات لا حصر لها ، فينبغي أن تسير من توران إلى إيران وحافظ على تقاليد جنكيز خان وقوانينه في الكليات والجزئيات ، وخص كل من يطيع أوامرك ويجتنب نواهيك في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي بلاد مصر ، بلطفك وبأنواع عطفك وانعامك ، أما من يعصيك فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه ، وكل ما يتعلق به ،وابدأ باقليم قهستان في خراسان فخرب القلاع والحصون .

فإذا فرغت من هذه المهمة فتوجه إلى العراق وأزل من طريقك اللورو والأكراد الذين يقطعون الطرق على سالكيها .

وإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقاً ، أما إذا تكبر وعصى ... فألحقه بالآخرين من الهالكين .

كذلك ينبغي أن تجعل رائدك في جميع الأمور العقل الحكيم والرأي السديد ، وان تكون في جميع الأحوال يقظاً عاقلاً ، وأن تخفف على الرعية التكاليف والمؤن ، وان ترفه عنهم .

وأما الولايات الخربة فعليك أن تعيد تعميرها في الحال ، وثق أنك بقوة الله العظيم سوف تفتح ممالك الأعداء ، حتى يصير لك فيها مصايف ومشاتي عديدة ، وشاور دوقوز خاتون في جميع القضايا والشؤون " [١] .

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٣٦ . ٢٣٧ .

رسائل هولاكو

(٢)

رسالة هولاكو الأولى

دعوة ملوك المسلمين للمساهمة معه في حرب الملاحدة

" بناءً على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وازعاج تلك الطائفة فإذا أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات ، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم ، وستحمد لكم مواقفكم . أما إذا تهاونتم في امتثال الأوامر وأهملتم ، فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة ، فإننا لا نقبل عذركم ، ونتوجه إليكم فيجري على ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم " (١) .

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٤٠ .

رسالة هولاكو الثانية إلى الخليفة بعد انتهائه من حرب الاسماعيلية

(٣)

"لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة وطلبنا مدداً من الجند ، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند ، وكانت آية الطاعة والاتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة ، فلم ترسل إلينا الجند ، وألتمست العذر ، ومهما تكن أسرتك عريقة وبيتك ذا مجد تليد ...

ولابد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ما حل بالعالم والعالمين علي يد الجيش المغولي ، منذ عهد جنكيز خان إلى اليوم ، والذل الذي حاق بأسر الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والأتابكة وغيرهم ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة ، وذلك بحول الله القديم الدائم،ولم يكن باب بغداد مغلقاً في وجه أية طائفة من تلك الطوائف ... واتخذوا منها قاعدة ملك لهم ، فكيف يغلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان ؟ ولقد نصحناك من قبل ، والآن نقول لك احذر الحقد والخصام ، ولا تضرب المخصف بقبضة يدك ، ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب .

ومع هذا فقد مضى ما مضى ، فإذا أطاع الخليفة ، فليهدم الحصون ويردم الخنادق ويسلم البلاد لأبنه ويحضر لمقابلتنا ، وإذا لم يرد الحضور فليرسل كل من الوزير وسليمان شاه والدويدار ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص ، فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكنْ له الحقد ، وسنبقي له دولته وجيشه ورعيته ، أما إذا لم يصغ إلى النصح وآثر الخلاف والجدال ، فليعبئ الجند وليعين ساحة القتال فأننا متأهبون لمحاربته ، وواقفون له على استعداد ، وحينما أقود الجيش إلى بغداد مندفعاً بسورة الغضب ، فإنك لو كنت مختفياً في السماء أو في الأرض ... فسوف أنزلك من الفلك الدوار ... وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد ... ولم أدع حياً في مملكتك .. وسأجعل مدينتك وأقليمك وأراضيك طعمة للنار ... فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء وإلاّ فسأرى كيف تكون ارادة الله " [١] .

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٦٧ . ٢٦٨ .

(٤)

رسالة الخليفة جواباً على رسالة هولاكو الثانية

" أيها الشاب الحدث ..المتمني قصر العمر ، ومن ظن نفسه محيطاً ومتغلباً على جميع العالم مغتراً بيومين من الإقبال ، متوهماً أن أمره قضاء مبرم وأمر محكم ، لماذا تطلب مني شيئاً لم تجده عندي ...

ألا يعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى الشحاذين ومن الشيوخ إلى الشباب ، ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين ، كلهم عبيد هذا البلاط ، وجنود لي ؟

انني حينما أشير بجمع الشتات ، سأبدأ بحسم الأمور في إيران ، ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، وأضع كل شخص في موضعه وعندئذٍ سيصير وجه الأرض جميعه مملوءاً بالقلق والاضطراب ، غير أنني لا أريد الحقد والخصام ولا أن أشتري ضرر الناس وايذائهم ، كما انني لا أبغي من وراء تردد الجيوش أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح أو القدح . خصوصاً وأنني مع الخاقان وهولاكو خان قلب واحد ولسان واحد ، وإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة ، فما شأنك بخنادق رعيتي وحصونهم ، فأسلك طريق الود ، وعد إلى خراسان ، وإن كنت تريد الحرب والقتال .. فلا تتوانى لحظة ، ولا تعتذر إذا استقر رأيك على الحرب ، أن لي ألوفاً مؤلفة من الفرسان والرجالة ، وهم متأهبون للقتال .. وأنهم يثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان " (١) .

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٦٩ . ٢٧٠ .

(٥)

رسالة هولاكو الثالثة إلى الخليفة

" إنّ الله الأزلي رفع جنكيز خان ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب فكل من سار معنا وأطاعنا واستقام قلبه ولسانه ، تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه ، ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك " .

ثم عاتب الخليفة بشدة قائلاً : " لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية ، بحيث لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير ، وإنّ في أذنيك وقراً فلا تسمع نصح المشفقين ، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك ، وإذن فعليك أن تكون مستعداً للحرب والقتال ، فإنني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد ، ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى فتلك مشيئة الله العظيم " [١] .

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٧١ .

(٦)

رسالة الخليفة الثانية جواباً على رسالة هولاكو الأخيرة

" لو غاب عن الملك فله أن يسأل المطلعين على الأحوال ؛ إذ أن كل ملك . حتى هذا العهد . قصد أسرة بني العباس ودار السلام بغداد ، كانت عاقبته وخيمة . ومهما قصدهم ذووا السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين ، فإن بناء هذا البيت محكم للغاية وسيبقى إلى يوم القيامة .

وفي الأيام السالفة قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة ، وتوجه بجيش لجب إلى بغداد فلم يبلغ مأربه ، إذ مات بعلة الزحار ، والأمر كذلك مع أخيه عمرو ، إذ قبض عليه اسماعيل بن أحمد الساماني وكبله وأرسله إلى بغداد ، لكي يجري عليه الخليفة ما حكم به القضاء . وكذلك جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد ، وقبض على الخليفة وسجنه في الحديثة .

وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة عامين باسم المستنصر الذي كان خليفة الاسماعيلية في مصر .

وفي النهاية علم طغرلبك بذلك فأسرع من خراسان وقصد البساسيري في جيش جرار وقبض عليه وقتله ، وأخرج الخليفة من السجن وأعاده إلى بغداد ، وأجلسه على عرش الخلافة . وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد ، فعاد منهزماً وهلك في الطريق ، وجاء محمد خوارزمشاه بجيش عظيم قاصداً استئصال هذه الأسرة فابتلي في روابي (أسد آباد)بالثلج والعواصف بسبب غضب الله عليه وهلك أكثر جنده وعاد خائباً خاسراً . ثم لاقى ما لاقى من جدك جنكيز خان في جزيرة (آبسكون) فليس من المصلحة أن يفكر الملك في قصد أسرة العباسيين . فاحذر عين السوء من الزمان الغادر " [(١)] .

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ج ١ / ٢٧٥ . ٢٧٦ .

Abstract

Occupying Baghdad by the Mongols and the collapse of the Abbassid Caliphate 656 A.H/1258 A.D. were a trauma that shocked the Islamic World, because of the religious cultural, and political status of Baghdad in the Islamic world. Since it was their political capital for approximatly 5 centuries. They used to direct their vision towards it, flock to visit it from different destinations, as well as to the religious and respected status of the caliph who is the protector of belief, and he represents the unity of the Islamic world.

This Catastrophe cast shadows on Muslims with their different trends. When they had recoveres from the impact of that catasrophe, they realized that thing was over; nothing was left of Baghdad and its caliphate, except the name and history.

Under the impact of what happened, all started searching for causes . Historians and scholar of different, diologies tented to reduce that catastrphice effect.

Some of them considered the last caliph (AL. Mustasem Bi-allah) responsible for that effect, for being unque lified for his position as a caliph, who was uns engaged in his personal matters, neglegting the issuse of country and people, he was n't the perfect person to face risk's against his nation

So he left them facing their destiny, while he was staying in his capital and palace. Others blamed the caliphate. For its aiming to weaken the Islamic power by making confentations among each other, which led to absence of existing qualified and great Islamic power to face the Mangolian expansion. On the other hand, others blamed kings and princes of those powers for what happened to the Islamic world, because they were engaged in their own interests, and conflictes with each other, which created a state of distrust and hostility that aborted each attempt to find a military front to face danger. Also, the internal front and its divisions, because of its religious and political differences, had part of those justifications. Others related that to the failure of military policy of the caliphate by its depending on recruiting members of (mamaliks) who had n't had feeling of

loyalty and belonging. Their main concern was getting capitals and privileges and neglected depending on citizens of country and preparing them to defend their country.

They are sustainable sources that led the army of the caliphate to be aspectacular army more than an army ready for hard missions. Thus, they all attempted to search for reasons motivated by their political and idiological stances and trends to review their view points.

However, a deep and conscious reading for events devoid of all trends, fair, and a way from strictness, should take the historyback to get more logical results. What happened not only because of Mangol savagenes and power of their armies, but also the weakness of the caliphate specially, and the weakness of the Islamic world generally participated in that desting that weakness wasn't provisional and some one or group of people were in charge of it, but sereal elements came together along a period of time to put the caliphate in this intricorts situation.

The decline of the caliphate power, its status, and influence on its territories started approximatly since the 3rd A.H / 9th A.D century, for several causes which had its offect on different levels, which finaly brought the caliphate under the direct influence of Buwayhis and Saljuks for more than two centuries which deprived the caliphate of every thing, these things were tackled by many studies, so it is out of place to mention details.

When the caliphate got rid of that influence and achieved its liberation it couldn't get back as it was previously, it was satisfied, according to its own abilities, with limited authority on few Iraqi cities.

At the point we can say that the caliphate didn't have abilities to help in rebuilding its power and making it qualified to play its role as are presentative of Islamic world – probably, the biggest obstacle for policy, and plans of caliphate was the economic codition which was represented by limited resources as well successive economic crises because of the administrative policy and natural disasters, which made the caliphate treasury suffering from deficit that in its turn imposed policies which may seem limited, but it was governed by abilities starting from this point, study of this subject has been conducted to under

stand reabilty of the caliphate economic conditions on the period extending from 575 – 656 H. / 1179-1258 A.D., and its positive, and negative reflection on the caliphate policy, how finally participated in the caliphate collapse, not from its effect associated with other elements of the event.

With no doubt, many previous studies tackled the economic aspects of the caliphate specifically in this period of time which participted in giving clear image, and decreased efforts but those studies were abstracted, i.e., they weren’t connected with political and military facts and its reflections on strength and weakness of caliphate, which is the goal of this study.

The thesis consists of five chapters and a conclution. The first chapter discusses the general circumstonces which the Abbasid caliphate undergo during the period which extended from 512 – 575 A.H. / 1118 – 1179 A.D. as a preface to the subject being dealt with , and through which we get acquainted with the nature of the circumstances of the caliphate in order to be able to analyze the changes which take place during the period of the study.

The second condition of the caliphate during the period of the study which extended from 575 – 656 H. / 1179 – 1258 A.D. The thesis gives an explanatory description of the variance of the economical status of the caliphate in order to be able to analyze it, and conseqnently to show its effects on the power and weakness of the caliphate. Also, this chapter is concerned with the economical activities, and it takles in detail the nature of the economical position of the caliphate, which enable us to understand its negative and positive influence on the policy of the caliphate.

The third chapter deals with the resources and the expenditure of the caliphate including the religious taxes such as the land taxes, the tribute and almsgiving, and the taxes which are not concerned with religion. In addition, the chapter discusses other financial resources, the expenditure of the caliphate and the level of the prices in order to be able to analyze the standard of living which the people under go during this epoch.

Abstract

The fourth chapter is concerned with the effects of the economical circumstances on the political aspects, especially on the administrative policy which can be characterized as negative. In fact, such economical conditions lead to negative consequences on the centralization of the administarative system of the caliphate and its sovereignty on the cities and provinces. Also, these conditions affect the caliphate's policy towards the Islamic powers and the external countries.

The fivth chapter deals with the influence of the economical conditions on the military establishment in defending the country and facing the external dangers that threaten it, especially the Mongolian invasion.

At last, the thesis pressents the most important conclusions by extracting the factors of degenration which emanate from the economical position.

Economic Conditions of Iraq and their effect on the Collapse of the Abbasid Caliphate
575 – 656 H / 1179 – 1258 A . D

A Thesis Submitted

By

Khalid Yousif Salih

To

The Council of the College of Education

University of Mosul

As Partial fulfilment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy

In

Islamic History

Supervised By

Prof . Dr . Nazar Mohammed Kader AL – Ni`emi

2005 A.D 1426 A.H